كتاب سراج الملوك في قواعد السلطنة

عدد ١٩

آيا صوفية

٢٨٨١

٢٨٨١

٣٨٨١

سراج الملوك في الفروسية

الراجي عفو ربه الماجد حسين بن حسن بن حامد عفي عنه الواجد

كتاب سراج الملوك في امور السلطنة
الرازي

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها علي الخلق طرًّا انها تتقلب
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي تذهب

لئن اضمر الاعداء نار عنادهم وجاء جميع الناس بالضر قاصدا
فلا تعتمد الا علي الله مخلصا يعاديهم الرحمن بالكيد واحدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وقف هذه النسخة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان [illegible]
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر واعتبر [illegible]
[illegible] احمد شيخ زاده المفتش
[illegible] الحرمين الشريفين غفر لهما

متيما اعتري لانسان امر ولم يمكن لذاك الامر صبر
عليه الانتصار بالملوك والا كان للسلطان وزر
وان ينصر بدفع الظلم عنه له اجر علي الاعداء نصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خلق الاعيان والاثار ومكور النهار
على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات وبما تنطوي عليه الارضون والسموات سوا عنده
الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وبالنهار الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
خلق الخلق بقدرته واحكمهم بعلمه وخصصهم بمشيته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين
ولا في تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن او يستظهر من يقدر على
الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه
ادراكا له ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما جعل اقرار المقرين بوقوف
عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانا لهم لا يلزمه كم ولا يجاوره اين ولا تلحقه حيث
ولا يحل ما ولا يعده كم ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله اى ولا يظله فوق
ولا يقله تحت ولا يزاحمه عند ولا يقابله حد ولا ياخذه خلف ولا يحده
امام ولا يظهره قبل ولا يفنيه بعد ولا يجمعه كل ولم يوجده كان من لم
يفقده ليس وصفه لا صفة له وكونه لا امد له ولا تخالطه الاشكال
والفتور ولا تغيره الاثار والغير ولا تجوز عليه المماسة والمقارنة
ويستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم سبق العلل ذاته ومن كان
معلولا كانت له غيره علة تساويه في الوجود وهو مبطل جميع الاعتبار بل لا علة
لافعاله فقدر الله في الاشيا بلا مزاج وصنعة الاشيا بلا علاج وعلة كل
شي صنعه ولا علة لصنعه وان قلت اين هو فقد سبق المكان وجوده الى ان هو بعد خلق
المكان غني بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحد فيما منه بدا ويعود اليه ما هو انشا
وان قلت والقديم تعالى لا حس له لان الحس مخصوص بمغير داخل تحت الماهية
وان قلت كم هو فهو واحد في ذاته منفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه

بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت ذاته وان قلت كيف هو فمركب
الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير وان قلت
هو فالها والواو خلقه بل لزم الكل الحدث كما قال بعض الاشياخ لان القدم
فالذي ... فالعرض والذي بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه
والذي يولفه وقت تفرقه ... نعمه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم
يظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن ادركه ... ادركه ابن وما كان له جنس
طالبه كيف وجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من
خلقه فما تصور في الاوهام فهو بخلافه لا تماثله العيون ولا تخالطه الظنون
ولا تصوره الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا تقدر قدره الانام ولا تحويه
مكان ولا ... زمان ولا يحصره امد ولا يشفعه ولد ولا يجمعه عدد
قربه كرامته وبعده اهانته ... وهو من غير تنقل هو الاول
والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثله شي وهو السميع
البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من
الاسما الحسنى ... العلى والنعوت الاوفى له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين وامنت به وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله ونحن له مسلمون واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه
المرتضى ارسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين واصحابه
المنتجبين **اما بعد** فاني لما نظرت في سير الامم
الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول
والتزموه من القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام المشتملة على ما عقدوه من الحلال والحرام والبيوع والانكحة
والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود

على من خالف شيا منها فاما السياسات فامر اصطلحوا عليه بعقولهم
ليس على منه برهان ولا انزل الله به من سلطان ولا اخذوه عن تدبير ولا
اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادره عن خزنة النيران وسدنه بيوت الاصنام وعبدة
الانداد والاوثان وليس يعجز احد من خلق الله ان يصنع من تلقا نفسه امثالها
واشباهها واما السياسات التي وضعوها في التزام الحكام والذب عنها والحماية
بها وتعظيم من عظمها واهانه من استهان بها وخالفها فقد ساروا في ذلك
بسيره العدل وحسن السياسه وجمع القلوب عليها والتزام النصفه فيها بينهم
على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال
وصون الحرم والاعراض كل ذلك قد ساروا فيه بسيره جميله حميله لا
المعمول به بشي منه لو كانت الاصول صحيحه والقواعد واجبه فكانوا في
حسن سيرتهم بحفظ تلك الاصول الفاسده كمن زخرف كنيفا وبنى على ميت
قصرا منيفا كما قال الشاعر ولو لبس الحمار ثياب خز لقال الناس يا لك من
محاسن ما   عليه سيرهم خاصه من ملوك الطوايف وحكما الدول
فوجدت ذلك في سته من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والصين
فاما ملوك الصين وحكماوها فلم يبلغ الى ارض العرب من سياستهم كثير شي لبعد
الشقه   وما منع   ولانهم لم يكونوا اهل حكم بارعه وقرايح ناقده واذهان
ثاقبه وانما صدر عنهم   اليسير من   فنظمت ما الفيت في
كتبهم من الحكم البالغه والسير المستحسنه   والطريقه
المالوفه والتوقيع الجميل والامر النبيل لما رويته وجمعته من سير
الانبيا صلى الله عليهم ومن اثار الاوليا وبراعه العلما وحكمة الحكما ونوادر
الخلفا وما انطوى عليه القران العظيم الذي هو بحر العلوم
وينبوع الحكمه ومعادن السياسات ومغاص الجواهر المكنونه
ان احصر فلحدد   حفظه وان اطال فالفاظ بارعه وايات معجزه وهو الهادي من

الضلال

الضلاله والحاوي لمحاسن الدنيا وفضايل   ورتبته ترتيبا انيقا وترجمته تراجما
بارعه حاويه لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها تلج الاذن من غير اذن وتروح المامون
من غير استيمار الفاظها قوالب لمعانيها ليس الفاظها الى السمع باسرع من معانيها الى
القلب اسطر الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غايه في بابه غريبا في فنونه واسبابه خفيف
المحمل كثير الفايده لم تسبق الى مثله اقلام العلما ولا جالت في نظمه افكار الفضلا
ولا حوته خزاين الملوك والروسا ولا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه
ولا رييس الا استحسنه واسترشده عصمه لمن عمل به من الملوك واهل الرياسه وجنه لمن تحصن
به من اولي الامر والسياسه وجمالا لمن تحلى به من اهل الادب والمحاضره وعنوانا لمن فاوض
به من اهل المجالسه والمذاكره وسميته سراج الملوك يستغني الحكيم بدراسته عن مباحثة الاطبا
والملوك عن مشاوره الوزرا واعلموا وفقكم الله ان احق من اهديت اليه الحكم واوصلت اليه
الصنايع وحملت اليه العلوم من اتاه الله سلطانا نافذا في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله
ولما رايت الاجل نظام الدين ادام الله لاعزاز الدين نصره وانفذ
في العالمين بالحق امره واوزع كافه الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره قد تفضل الله
على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر في مصالح احوالهم كلمته وعرف الخاص والعام يمنه وبركته
وتقلد امر الرعيه فساد فيهم على احسن القضيه متحريا للصواب راغبا للثواب طالبا سبل العدل
ومناهج الانصاف والفضل رغبت ان اخصه بهذا الكتاب رجا لطف الله تعالى في يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولذكر
فضايله ومحاسنه مدى الدهر كما قيل
الناس يهدون على قدرهم لكنني اهدي على قدري يهدون ما يفنى واهدي الذي يبقى على الايام

فان العلم عصمة الملوك والامرا ومعقل السلاطين والوزرا لانه يمنعهم من الظلم
ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقه
...كر واجلته ويستنبطوا اهله وهذه ابواب الكتاب وجملتها اربعة وستون بابا
...ر ذلك وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول
في مواعظ الملوك

الباب الثاني
في مقامات العلما والصالحين

الباب الثالث
... في الولاية والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر

الباب الرابع
في معرفة ملك سليمن بن داود ووجه طلبه الملك

الباب الخامس
...ل الولاة والقضاة اذا عدلوا ...

الباب السادس
في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن
وخاسر غير رابح

الباب السابع
في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض

الباب الثامن
في منافع السلطان ومضاره

الباب التاسع
في معرفة منزلة السلطان من الرعية

الباب [العـ]اشر
في معرفة ...سائل ورد الشرع بها فيها نظام الملك و... الدول

الباب الحادي عشر
في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها

الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم ومدت سلطانهم

الباب الثالث عشر
في معرفة الصفات التي زعم الحكما انها لا تدوم معها المملكة

الباب الرابع عشر
في الخصال المحمودة في السلطان

الباب الخامس عشر
في معرفة الخصال التي يعز بها السلطان

الباب السادس عشر
في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

الباب السابع عشر
في معرفة خير السلطان وشره

الباب الثامن عشر
في معرفة منزلة السلطان من القرآن

الباب التاسع عشر
في معرفة خصال جامعة لامر السلطان

الباب العشرون
في معرفة الخصال التي ... السلطان

الباب الحادي والعشرون

في بيان حاجة السلطان الى العلم

الباب الثاني والعشرون

في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه وسلامه

الباب الثالث والعشرون

في معرفة العقل والدها والخبث والمكر

الباب الرابع والعشرون

في الوزرا واصحابهم والجلسا وادابهم

الباب الخامس والعشرون [illegible]

الباب السادس والعشرون

في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

الباب السابع والعشرون

في المشاورة والنصيحة

الباب الثامن والعشرون

في العلم ومحاسنه ومحمود عواقبه

الباب التاسع والعشرون

فيما يسكن به الغضب

الباب الثلثون

في الجود والسخاء

الباب الحادي والثلثون

في معرفة الشح والبخل وما يتعلق به

الباب الثاني والثلثون

في معرفة الصبر وجميل عواقبه

الباب الثالث والثلثون

في كتمان السر ومحاسنه

الباب الرابع والثلثون

في بيان الخصلة التي هي رهن بساير الخصال وتعم بالمزيد من النعما والالا من ذي الجلال وهي الشكر

الباب الخامس والثلثون

في بيان الخصلة التي تصلح عليها الامير والمامور وبسببها صحبة الخلايق اجمعين

الباب السادس والثلثون

في معرفة الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان للخلايق اجمعين

الباب السابع والثلثون

في معرفة الخصلة التي فيها ملجا السلاطين عند الشدايد ومعقل الملوك وشفا الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس

الباب الثامن والثلثون

في بيان الخصلة الموجبة لنفر الرعية عند اضطراب الممالك

الباب التاسع والثلثون

في مثل السلطان العادل والجاير

الباب الاربعون

فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان

الباب الحادي والاربعون
في كما تكونوا يولى عليكم

الباب الثاني والاربعون
في بيان الخصلة التي فيها تصلح الرعية

الباب الثالث والاربعون
فيما يملك السلطان من رعيته

الباب الرابع والاربعون
في التحذير من صحبة السلطان

الباب الخامس والاربعون
في صحبة السلطان

الباب السادس والاربعون
في سيرة السلطان مع الجند

الباب السابع والاربعون
في سيرة السلطان في استخراج الخراج

الباب الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت المال

الباب التاسع والاربعون
في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال

الباب الخمسون
في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وتدبير العمال

الباب الحادي والخمسون
في احكام اهل الذمة

الباب الثاني والخمسون
في بيان الصفة المعتبرة في الولاة

الباب الثالث والخمسون
في بيان الشروط والعهود التي توخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشا على الشفاعات

الباب الخامس والخمسون
في معرفة حسن الخلق

الباب السادس والخمسون
في الظلم وشومه وسوء عاقبته

الباب السابع والخمسون
في السعاية والنميمة وقبحها

الباب الثامن والخمسون
في القصاص وحكمه

الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة

الباب السبعون
في الشجاعة وثمراتها

الباب الحادي والسبعون
في الحروب وتدبيرها

الباب الثاني والسبعون
في القضا والقدر واحكامهما

الباب الثالث والسبعون
في الجامع

الباب الرابع والسبعون
يشتمل على امثال مشهوره ومواعظ الكتاب

وبه كملت الابواب والله المستعان لا شريك له

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه نتوكل

الباب الاول
في مواعظ الملوك

لقد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا، اعلم ايها الرجل وكلنا ذلك
الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مستغرقه بكثرة الاشغال
فتستدعي من المواعظ ما ينبه على تلك الافكار ويشغل فيها من تلك الاسرار
فترفع تلك الاستار وتقلع تلك الاكنة والاقفال وتصقل ذلك الصدا
والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله جميع الدنيا بانه قليل

وانت

وانت تعلم ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به
ولم تعص الله فيه فهو لعب ولهو وزينة قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو ثم قال وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع ايها العاقل
لعبا يفنى بحياة الابد وحياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمة
الله عليه لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا
يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تأمل بعقلك
ما اتاك الله من الدنيا ما اوتي سليمن بن داود عليهما السلم حيث اتاه ملك جميع الدنيا
والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم زاده الله تعالى
ما هو اعظم منها فقال تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها
نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل قال عند ذلك
هذا من فضل ربي ليبلوني أاشكر ام اكفر وهذا افضل الخطاب لمن تدبره ان يقول له
ربه في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ثم خاف سليمن عليه السلم
ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولسائر اهل الدنيا فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون ثم قال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين ه تأمل بعقلك الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الا ترى تسمع الى ما
نزل به جبريل عليه السلم من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد
ان الله يقول لك عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما
شئت فانك مجزي به فانظر الى ما اشتملت عليه هذه الكلمات من صرعة الموت

وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم ينزل من السماء غيرها لكانت كافية
انظر بفهمك الى ما رواه الحسن ان النبي عليه السلام مر بمزبلة قوم قد ارتحلوا
عنه واذا ظلا مطروح قال اترون هذا هان على اهله فقالوا من هوانه عليهم
القوه قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذا على اهله فجعل الدنيا اهون
على الله من الجيفة المطروحة وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه
وسلم الا اريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى قال فاخذ بيدي واتى بي الى واد من اودية
المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا ابا
هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتامل امالكم ثم هي اليوم تساقط عظاما
بلا جلد ثم هي صائرة رمادا رميما وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها
من حيث اكتسبوها وقذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه
الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام
عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا
فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وقال ابن عمر اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كانك غريب او كعابر
سبيل واعدد نفسك في الموتى ه يا ايها الرجل ان كنت لا تدري متى يفجاك الاجل
فلا تغتر بالامل فانه ينسي القلب ويفسد العمل وقد عير الله تعالى اقواما مد لهم في الاجل
فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون انشد بعضهم

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

يا ايها الرجل الق الي سمعك واعر لي لبك

فلو كنت لا تدري متى الموت فاعلم بانك لا تبقى الى اخر الدهر

اين ادم ابو الاولين والاخرين اين نوح شيخ المرسلين اين ادريس رفيع رب العالمين
اين ابرهيم خليل الرحمن الرحيم اين موسى الكليم من بين سائر النبيين والمرسلين اين عيسى
روح الله وكلمته راس الزاهدين وامام السائحين اين محمد خاتم النبيين اين اصحابه
الابرار المنتجبين اين الملوك السالفة اين القرون الخالية اين الذين نصبت على مفارقهم
التيجان الحالية اين الذين اغتروا بالاجناد والسلطان اين اصحاب السطوة والولايات
اين الذين خفقت على رؤوسهم الالوية والرايات اين الذين قادوا الجيوش والعساكر اين الذين
عمروا القصور والدساكر اين الذين اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواكب اين الذين
دانت لهم المشارق والمغارب اين الذين تمتعوا في اللذات والمآرب اين الذين تاهوا على الخلائق
كبرا وعتيا اين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا اين الذين استلانوا الملابس اثاثا
ورئيا اين الذين ملأوا ما بين الخافقين فخرا وعزا اين الذين فرشوا القصر
اين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة ومنا اين الذين استذلوا العباد قهرا وازا هل
تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا افناهم والله مفني الامم وابادهم مبيد الامم
واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضنك القبور تحت الجنادل والصخور
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم تعاقب الدود في اجسامهم والبلى في ابدانهم
فسالت العيون على الخدود وامتلات تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء

الحوف

وتخرقت الجلود وتناثرت الجلود وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا
اغنى عنهم ما كسبوا اسلمك الاحبة والاوليا وهجرك الاخوان والاصفيا ونسيك
البعدا والقربا فاسمعت ولو نطقت لانشدت قولنا عن سكان الثرى ورهاين
الموت والبلاه

مقيم بالحجون رهين رمس ... واهلي راحلون بكل وادي
كاني لم اكن لهم حبيبا ... ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان ابيتم ... فاوموا بالسلام على بعاد
فان طال النوى وصفا خليل ... سوانا فاذكروا صفو الوداد
وذاك اقل ما لك من حبيب ... واخره الى يوم التناد
فلو انا بموقفكم وقفنا ... سقينا الترب من مهج الفواد

وقال مكرم بن يوسف العابد اوحى الله تعالى الى نبي من انبيا بني اسرايل اذ قف
على المداين والحصون ثم بلغهم عني حرفين لا تاكلوا الا طيبا ولا تتكلموا الا بالحق
ولما دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد قال يا امير المومنين
اعلم انك اول خليفة تموت فبكا عمر وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المومنين ليس بينك
وبين ادم الا اب ميت فبكا وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المومنين ليس بين الجنة
والنار منزل فسقط مغشيا عليه ٥ يا ايها الرجل لا تغفل عن تذكر ما تتيقنه
من وجوب الفنا وتقضي المساعي وذهاب اللذات وانقضا الشهوات وبقا التبعات
وانقلابها حسرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل
له وعليها يعادي من لا فقه له وعليها يحسد من لا علم له من صح فيها سقم ومن سلم
فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب

ومتشابهها عقاب من ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن نظر اليها
اعمته ومن نظر بها بصرته لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها المخاوف بقا
يا ايها الرجل لا تخدعن نفسك كما خدع من قبلك فان الذي اصبحت فيه من النعم
انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك فلو
بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تصل للاخر يا ايها الرجل لو كانت
الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة والقت اليك مقاليدها وافلاذ
كبدها ثم كنت طريد الموت ما كان لك ان تهنا بعيشه لا تغتر فيما يزول
ولا غنا فيما لا يبقى وهل الدنيا كلها الا كما قال الاول قد ربعلي وكيف
بملا

قال الشاعر

ولقد سالت الدار عن اخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... اموالهم ونوالهم عندي

ولقد اصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظني وبيده شربة من ما
فقال يا امير المومنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة ما كنت تفديها بملكك قال
نعم قال يا امير المومنين فلو حبس عنك خروجها اكنت تفديها بملكك قال نعم قال فاي خير
في ملك لا يساوي شربة ولا بوله ٥ يا ايها الرجل لا تغتر بشبابك فان اكثر من
يموت الشبان والدليل عليه ان اقل الناس الشيوخ ٥ يا ايها الشاب كم من حمل في
التنور وابوه يرعى وكم طفل في التراب وحده يحبي ٥ وقال علي بن ابي طالب
لاسقف قد اسلم [illegible]ني قال يا امير المومنين ان كان الله عليك فمن ترجوا قال احسنت
زدني قال ان كان الله معك فمن تخاف قال احسنت فزدني قال احسب ان الله

٦

قد غفر ذنب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي ثم بكا
على اربعين صباحا ○ وقال الحسن قدم الحسن يعني عم الفرزدق على النبي صلى الله
عليه وسلم فسمعه يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا اسمع اية غيرها ○ وقال سليمن
بن عبد الملك لحميد الطويل عظني فقال ان كنت اذا عصيت ظننت انه يراك
فلقد اجترات على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب كريم
وكتب علي بن ابي طالب رضوان الله وسلامه عليه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل
الحية لين لمسها ويقتل سمها فاعرض عنها وعن ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها
ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون بها احذر ما تكون لها
فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه

وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى ودار الفناء ودار العبر
فلو نلتها بحذافيرها لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الحيوة وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد الكبر

وما بلغ مريد من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه ... اليه همته رفضها
ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه
هلك وغنا لولا انه فنا وجسيم لولا انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود
وغنا لولا انه عنا وارتفاع لولا انه اتضاع وعلا لولا انه بلا وحسن لولا انه حزن

وهو يو

٦٠

وهو يومئذ لو وثق له بغد يا ايها الرجل لا تكن كالمنخل يرسل الطيب ما فيه
ويمسك الحثالة واعلم ان من قسا قلبه لا يقبل الحق وان كثرت دلايله قال الله تعالى
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب
مانعة من قبول الحق للقلوب وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون اى غطاها وغشيها فلا يقبل خيرا ولا تنفع لموعظة
جاء في الخبر اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سودا ثم اذا اذنب نكتت في
قلبه نكتة سودا حتى يسود القلب ○ وقال حذيفة القلب كالكف فاذا
اذنب العبد انقبض وقبض اصبعا ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعا اخر ثم كذا الثالث
والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الرين ○ وقال بكر بن عبد
الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخز الابرة ثم كلما اذنب صار في قلبه كوخز
الابرة ثم كلما اذنب صار في قلبه كوخز الابرة حتى يعود القلب كالمنخل
وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يرين القلب ○ وقال ابن شبرمة اذا كان
البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة

وفيه قيل

ولا ارى اثر الذكرى يحسن في والحبل في الصخرة الصما له اثر
اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

ويروى ان ابا العتاهية مر بدكان الوراق فاذا كتاب فيه بيت من الشعر
وهو

لن ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

قال الاصمعي

لمن هذا فقيل لابي نواس قال وددت انه لي بنصف شعري ○

ان النعمن بن امرى القيس الاكبر الذي بنى الخورنق اشرف على الخورنق يوما فاعجبه
ما اوتي من الملك والنعمة وتفرد الامر واقبال الوجوه نحوه فقال لاصحابه
هل اوتيت فقال له حكيم من حكما اصحابه اهذا الذي اوتيت شي لم يزل لك ولا
يزول ام شي كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شي كان لمن قبلي زال
عنه وسيزول عني قال فسررت بشي يذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فاين
المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس امساحا وتلحق بجبل تعبد ربك فيه
وتفر من الناس حتى ياتيك اجلك قال فاذا فعلت ذلك فما لي قال حيوة لا تموت
وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله
لاطلبن عيشا لا يزول ابدا فانخلع من ملكه ولبس الامساح وساح في الارض وتبعه الحكيم
وجعلا يسيحان ويعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد

وتبين رب الخورنق اذ اصبح يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبطة حي الى الممات يصير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
ثم بهته ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي نباتني ان السبيل سبيل ذي الاعواد
ماذا اؤمل بعد ال محرق تركوا منازلهم وبعد اياد

ارض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجي من اطواد
ارض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن ام دواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكانما كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال وهب بن منبه اصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بارض صنعا
اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية
فاذا هي ابيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم ينفعهم القلل
واستنزلوا من اعالي عز معقلهم فاسكنوا حفرا يا بيس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سايلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهرا وما نعموا فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد اكلوا

قرى على القاضي ابي الوليد الباجي وانا اسمع لبعض الشعرا والحكماء

ويحك يا نفس ما شاني اظللتني والله ما شاني
الموت حق فاعلمي بان لي يسيرني لحد واكفان
قد كنت ذاه لولا الذي اعطاني العيش واغناني
ما قرت العين به ساعة الا تذكرت فابكاني

على بأني صابر للبلا وفاقد أهلي وجيراني
وتارك مالي على حاله نهبا للشيطان بن شيطان
لا امرأة ابكي ولا ارج ابني بالك من غنى وخسران
بسعدي مالي واشقى به قوم على بغل وشنآن
ان احسنوا كان لهم اجره وخف من ذلك ميزاني

وممن استبصر من ابنا الملوك فرأى عيب الدنيا وفناها وبغضها وزوالها
ابرهيم بن ادهم من ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد في ثمانين
سنة بن قال ابرهيم بن بشار سالت ابرهيم بن ادهم كيف كان بدو امرك حتى صرت
الى هذا قال غير هذا اولى بك قلت يرحمك الله لعل الله يرحمني به يوما ثم سالته
ثانية فقال ويحك اشتغل بالله ثم سالته ثالثة فقلت ارايت يرحمك الله ان تخبرني
لعل الله ينفعني به فقال كان ابي من ملوك خراسان وكان من المياسير
وكان قد حبب الي الصيد فبينا انا راكب فرسا وكلبي معي فاثرت ارنبا او ثعلبا
فحركت فرسي فسمعت ندا من ورائي ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت انظر
يمنة ويسرة فلم ار احدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت ندا
اقوى من الاول يا ابرهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت فتشعرت انظر يمنة
ويسرة فلم ار شيا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قربوس سرجي
يا ابرهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت وقلت هيهات جاني النذير من رب
العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا ثم رجعت الى اهلي وخليت
فرسي وجيت الى بعض رعاة ابي فاخذت جبته وكساه والقيت اليه ثيابي فلم

تزل ارض تقلني وارض تضعني حتى وصلت الى العراق فعملت بها اياما
فلم يصف لي شي من الحلال فسالت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام
قال فانصرفت الى المدينة يقال لها المنصورية وهي المصيصة فعملت بها اياما
فلم يصف لي شيا من الحلال فسالت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك
بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فبينا انا قاعد على باب البحر جاني
رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان اياما كثيرة
فاذا بخادم قد اقبل ومعه اصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد
في مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب وايتنا باخير رمان تقدر عليه واطيبه فاتيته
برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا انت مذ كذا
وكذا في بستاننا تاكل من فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت
والله ما اكلت من فاكهتكم شيا وما اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم
اصحابه وقال الا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابرهيم بن ادهم ما زاد على هذا
فلما كان الغد حدث الناس في المسجد بالصفة فجا الناس عنقا الى البستان فلما رايت
كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابرهيم بن ادهم
ياكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ
كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما امرني به صاحبه فاخذ يضربه
بالسوط فطاطا راسه وقال اضرب راسا طال ما عصى الله فاعجز الرجل ومضى
وقال سهل بن ابرهيم صحبت ابرهيم بن ادهم فمرضت فانفق على نفقته فاشتهيت شهوة
فباع حماره وانفق علي فلما تماثلت قلت يا ابرهيم اين الحمار قال بعناه قلت فعلى ما

أدرك قال يا أخي على عنقي قال فحملني إلى منازل رحمه الله **وأنشدوا**

أيها المرء إن دنياك بحر طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها مبين وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني أن بالهند يوما يخرج الناس فيه إلى البرية فلا يبقى في البلد بشر
من طفل لا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة
من يوم مثله فإذا اجتمع الخلائق في صعيد واحد نادى منادي الملك لا يصعد هذا الحجر
المجر هناك منصوب إلا من حضر في الجمع الأول الذي قد خلا من مائة سنة فربما جاء الشيخ الهرم
الذي قد ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه وانحنى العجوز يرجف لم يبق منها إلا رسمها
وقد أخنى الدهر عليها فيقعدان على الحجر الذي هناك وربما لم يجئ أحد ويكون قد فني القرن
بأسره ويقول الشيخ حضرت الجمع الأول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان
الملك فلانا ويصف الجيوش الخالية والأمم الماضية وكيف طحنهم البلى وصاروا تحت أطباق
الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة الفوت فيبكي
القوم ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلحون على ذلك
مدة **وقال وهب** بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد
منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت إليه في اليوم السابع
فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير
والتوفيق تاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع إلى
ربك أن يهب لك تاج كل خير قال كيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من
الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء فشبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبالبرق

الخلب

الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ولا ينفع [illegible]
وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام النائم يرى في الرؤيا في منامه فإذا
استيقظ لم يكن في يده إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل قد برت
هذه الأحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك
من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدي في المنام فقال يا بني أشهد أنك مني وأنا منك
هي والله كالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها قلت فبأي شيء يكون الزهد في
الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال
خذها منا فلا أراك تلقى الأحرار أبدا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به **قلت**
وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعم من هذه الصفة فقال سبحانه وتعالى
اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل
غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شد يد
فالكفار ههنا الزراع فكما أن الزرع يكون في بدايته خضرا ناعما اهتزت الأرض أول
به تعجب بنضارتها في العيون كأملح ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا أي يكبر وييبس
فيجف ويحترق وينكس أعلاه ويستثقل سنبله ثم ييبس فيكون حطاما أي تبنا منكسرا
منقطعا وهذا مثل ضربه الله تعالى لابن آدم إذ كانوا أطفالا أول الولادة وفي حال
الطفولية كأحسن ما يعجبون العيون الآباء ويعشقون ذوي الأرحام والنهاية يكبرون
فيصيرون شيوخا منكسة رؤوسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم وجمالهم
ووهنت عضادتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم واليبس ثم يموتون فيصيرون عظاما
في القبور كالتبن في الخزائن هذا بعد ما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة

وتكاثر وتفاخر وكان الصدر الاول يسمى الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما
اقبح لسموها به وكانوا ايضا يسمونها ام دفر والدفر النتن **وقال مالك**
بن انس بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فتشرف
له الناس ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه لا يلتفت اليه ولا
رفع راسه اليه فوقف الملك عليه فقال كل الناس ينظرون الي الا انت فقال
الرجل اني رايت ملكا مثلك وكان على هذه القرية مات هو ومسكين فدفنا في
جنبه في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم
كشف عنهما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على
عملي وتركت النظر اليك ٥ وروي ان داود عليه السلام بينما هو يسبح في الجبال
اذ اتى على غار فنظر فاذا فيه رجل خلق عظيم من بني ادم واذا عند راسه حجر مكتوب
بكتاب محفور فيه انا دوسيم الملك ملكت الف عام وفتحت الف مدينة وهزمت
الف جيش وافتضضت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي
والحجارة وسادي فمن راني فلا تغره الدنيا كما غرتني ٥ وقال وهب بن منبه خرج
عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار مروا
بزرع قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله اليه ان ايذن لهم في قوتهم
فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون وياكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع
وهو يقول زرعي وارضي ورثته عن ابائي باذن من تاكلون يا هولاء قال فدعا عيسى عليه
السلام ربه فبعث الله جميع من ملك تلك الارض من لدن ادم الى ساعته فاذا عند كل
سنبلة او ما شاء الله رجل او امراة ينادون زرعي وارضي ورثته عن ابي ففزع الرجل منهم

وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول
الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء
كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ويحك
ليس لك ارض ولا مال ٥ **وقال ابو العتاهية**

وعظتك احداث صمت ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور شتت
وارتك قبرك في القبور وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ان المنية لم تفت
ولربما انقلب الزمان فحل بالقوم الشمت

وروى عن علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه وسلامه لما راى فاطمة
رضوان الله عليها مسجاة بثوبها بكا حتى رثي له ثم قال ٥

لكل اجتماع من خليلين فرقة وان الذي دون الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد دليل على ان لا يدوم خليل
الا ايها الموت الذي ليس تاركي ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيرا بالذين احبهم كانك تنحو نحوهم بدليل

ارى علل الدنيا علي كثيرة

فاطمة بعد احمد

ولما نفض يديه من ترابها تمثل يقول بعض بني ضبة ٥

اقول وقد فاضت دموعي حسرة ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال العتابي

قلت للفرقدين والليل ملق سود اكنافه على الافاق

ابقيا ما بقيتما سيرمى بين شخصيكما بسهم الفراق
غرّ من ظن ان يفوت المنايا وعراها قلائد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقا للخلق لكن دام طول البقا للخلاق

وانشدني بعضهم

اسعداني يا نخلتي حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما ان بقيتما ان نحسا سوف ياتيكما فتفترقان
فلعمري لو ذقتما الم الفرقة ابكاكما الذي ابكاني

ولما سار الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حرّ اصابه فقال له الطبيب لا يبرئك الا جمّار النخل وكان نزوله قريبا من هاتين النخلتين فامر بقطع جمّار احدى النخلتين فلما مثل بين يديه انشده بعض الجلسا هذه الابيات لبعض الشعرا في هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتها ما امرت بقطعها ه ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس ايها الملك لقد حركتنا بسكونك ه وقال بعض الحكما من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس ه نظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة ه

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه اذا ما تخطته الاماني باطل

وما اقبح

وما اقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الراس شاعل
ترحّل عن الدنيا بزاد من التقى فعمرك ايام تعدّ قلائل

ولما دخل ابو الدردا الشام قال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا ه وروى الجاحظ قال وجد مكتوبا في حجر ابن ادم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجوا من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا انت في عملك زايد ولا الى اهلك عايد ه وقال مالك بن انس بلغني ان امراتين اتتا عيسى عليه السلم فقالتا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج ابانا فانه هلك ونحن غايبتان عنه قال تعرفان قبره فقالتا نعم فذهب معهما فاتيا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله فاخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فرده ثم دلتاه على قبر اخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو فسلمتا عليه ولزمتاه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه معنا فقال وكيف ادعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف ه

وانشدني بعض الادبا

واسفا من فراق قوم هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسي والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالي حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

وكان النعمن بن المنذر خرج يوما متصيدا ومعه عدي بن زيد

فمروا بشجرة فقال عدي بن زيد ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا
قال انها تقول من كان يحدث نفسه انه موفٍ على قرب زوال
وصروف الدهر لا تبقي لها ولما تاتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن امنِي دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حالا بعد حال
قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدي ايها الملك اتدري ما تقول هذه
المقبرة قال لا قال تقول ايها الركب المخبون على الارض المجدون
كما انتم كذا كنا وكما نحن تكونون . فقال النعمن قد علمت ان
الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وعلمت انك انما اردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما
السبيل التي تدرك بها النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال او في
هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة الاوثان وتنصر يومئذ واخذ في العبادة والاجتهاد

وقال عبد الله المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرويثة نزلنا
فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له منظر وهيئة فقال من يبغ خادما من يبغ ساقيا فقلت
دونك هذه القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات ثوبه
طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال لكم غير هذا فقلنا لا واطعمناه قرصا
باردا فاخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد ياكله اكل جائع
فادركتني عليه الرقة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص

بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال عند ذلك انما هي فورة جوع
فما ابالي باي شيء رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبه اتعرفه قلت لا قال انه
من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن بالبصرة فتاب فخرج منها ففقد
فما عرف له اثر ولا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم تجمعت معه وانسته وقلت له هل
لك ان تكون معي فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت مثلا لكان معدا ثم انس
الي فجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن بالبصرة وكنت ذا كبر
شديد وبذخ واني امرت خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعلت واني
لنائم اذا بقمع وردة قد اغفلته الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد
اخراج القمع من المخدة فاتاني ات في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال افق من غشيتك
ابصر من حيرتك . ثم انشا يقول

يا خد انك ان توسد لينا وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي . **وقال عبد الواحد**
ابن زيد ذكر لي ان في جانب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى
وجدتها في خربة جالسة على حجر عليها جبة صوف ومقنعة محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت
من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحمك الله بك عجبت من معرفتها
بي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك قلت جئت لتعظيني فقالت واعجباه لواعظ
يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا
سلبه الله حلاوة الزهد فيظل والها حيرانا فان كان له نصيب عند الله عاتبه وحيا

في سره وقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملايكتي وحملة عرشي واجعلك
دليلا لاوليايي وامين طاعتي في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثك
الوحشة بعد الانس والفقر بعد الغنا والذل بعد العز عبدي ارجع الي ما كنت عليه
ارجع الي ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني وانصرفت عنها
وبقلبي حسرة منها ه وانشدوا

انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها امل الآمل
يعجل الذنب بما يشتهي ويامل التوبة من قابل
والموت ياتي بعد ذا غفلة ماذا بفعل الحازم العاقل

ولما نزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قيل له هاهنا عجوز من بنات الملوك الحرقة ابنة
النعمن بن المنذر وكانت من اجمل عقايل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها
نشرت عليها الف قطيفة خز وديباج ومعها الف وصيفة ووصيف فارسل اليها
سعد فجاءت كالشن البالي فقالت يا سعد كنا ملوك هذا القصر قبلك يجبا
الينا خراجه ويطيعنا اهله مدة من المدد حتى صاح بنا صايح الدهر فشتت ملانا
والدهر ذو نوايب وصروف ولو رايتنا في ايامنا لارعدت فرايصك فرقا منا قال لها
سعد ما انعم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا
ثم انشات تقول

وبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتبا الدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت كبيرة الا والدهر يعقبهم عبرة حتى ياتي
امر الله على الفريقين فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد
لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة
ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعلك سببا الى ردها وقال بعضهم

من كان يعلم ان الموت مدركه والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه يوم القيامة او نار ستنضجه
فكل شي سوى التقوى به سمج وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروي ان عيسى بن مريم عليه السلم كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما الجوع
وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية
وقام عيسى عليه السلم يصلي فجا الرجل بثلثة ارغفة فابطا عليه انصراف عيسى فاكل
رغيفا فقال ما كانا الا رغيفين قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظبا فدعا عيسى
عليه السلم ظبيا منها فذكوه فاكلوا منه ثم قال عيسى عليه السلم قم باذن الله
فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلم بالذي اراك هذه الايه
من صاحب الرغيف الثالث قال ما كانا الا اثنين قال فمضيا على وجوههما فمرا بنهر
عجاج عظيم فاخذ بيده عيسى عليه السلم فمشى به على الما حتى جاوزا الما فقال الرجل
سبحان الله فقال له عيسى عليه السلم بالذي اراك هذه الايه من صاحب الرغيف الثالث
قال ما كانا الا اثنين فمرا حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قرب منها لبن ثلثة
من ذهب فقال الرجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف

الثالث فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى عليه السلم هي لك كلها
ففارقه فاتى وعليها لبس معه ما يحملها عليه فمر به ثلثة نفر فقتلوه واخذوا اللبن
فقال الاثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فاتنا بطعام فذهب فقال احد الباقين
للاخر تعال نقتل هذا اذا جا ونقتسم هذا بيننا قال الاخر نعم وقال الذي ذهب اجعل
في الطعام سما فاقتلهما واخذ اللبن ففعل فلما جا قتلاه واكلا من الطعام
الذي جا به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلم وهم حولها مصروعون فقال هذا تفعل
الدنيا باهلها **وقال عبد الملك بن عمير** رايت في هذا القصر
عجبا رايت راس الحسين رضي الله عنه بين يدي ابن زياد على ترس مصبوغين ثم رايت راس ابن
زياد بين يدي المختار ثم رايت راس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رايت راس مصعب
بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان **وقال الاصمعي** لما زخرف الرشيد
مجالسه وخدم فيها ونجدها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي العتاهية
وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك آمنا في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور
واذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

فبكى هرون الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المومنين لتسره فاحزنته
فقال هارون دعه فانه رانا في ضلالة وعمى فكره ان يزيدنا ويروى ان سليمن
بن عبد الملك لبس افخر ثيابه وقال انا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته

كيف ترين **فقالت**

انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقا للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير انك فان

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع اخر المسجد فركبته الحمى فلم
يزل صوته ينقص حتى ما يسمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار
على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار وانا خارج قالت ما رايتك ولا قلت
لك شيا واني لي الخروج الى صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الي
نفسي ثم عهد عهده واوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو في قبره

ووجد على قصر سيف بن ذي يزن هذه الابيات

من كان لا يطا التراب برجله وطى التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى لم يعرف المولى من العبد

وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك فيه رجل
مسجا على سرير من ذهب وعند راسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية انا
سبا بن نواس بن سبا خدمت عيصو ابن اسحق بن ابرهيم خليل الرب الديان الاكبر
وعشت بعده عمرا طويلا ورايت عجبا كثيرا ولم ار فيما رايت اعجب من غافل عن
الموت وهو يرى مصارع ابائه وقبور احبابه ويعلم انه صاير اليهم ثم لا يتوب وقد
علمت ان الاجلاف الجفاة سيبتزون ملكي عن سريري ويتولونه في ذلك حين يتغير
الزمان وتتامر الصبيان ويكثر الحدثان فمن ادرك هذا الزمان عاش قليلا ومات

ويروي ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها املاك سبعة وبادوا
فقال هل بقي منهم احد من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احد قالوا
رجل يكون في المقابر فدعا به وقال له ما حملك على لزوم المقابر قال اردت
ان اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سوا قال فهل لك ان
تتبعني فاحيي بك شرف ابايك ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة ان
كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حيوة لا موت فيها وشباب لا هرم
معه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يغيره مكروه قال ما اقدر على ذلك قال فانفذ
لشانك ودعني اطلب بغيتي ممن هي عنده قال الاسكندر هذا احكم من رايت
وروي في الاسرايليات ان عيسى بن مريم عليه السلم بينا هو
في بعض سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوام
بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولد لي الف ولد وافتضضت الف بكر
وهزمت الف عسكر وقتلت الف جبار وافتتحت الف مدينة فمن راني فلا يغتر
بالدنيا فما كانت الا كحلم النايم فبكا عيسى عليه السلم ووجد مكتوبا على قصر
لبعض الملوك قد باد اهله واقفرت ساحته هذين البيتين

هذي منازل اقوام عهدتهم يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها ترنم المجد بين الحلم والكرم

وقال عبد الله بن ابي سرح نزل حي من العرب شعبا من شعاب اليمن
فتشاجوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صايح يصيح يا مولاي على رسلكم
على ما القتال في فوالله لقد ملكني سبعون اعور كلهم اسمه عمرو

فصل

١٩

فصل ايها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال
وكيف بسطت لهم الدنيا واتسعت لهم الاجال وافسح لهم في المنا والآمال وامدوا
بالالات والعدد والاموال كيف طحنهم بكلكله المنون واختزعهم بزخرفه
الدهر الخوون واسكنوا من بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العين اثرا
والملك خبرا فاما اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم تحفة
لكل مسلم كان الخير اصبح خاملا والشر اصبح ناظرا وكان الغي اصبح ضاحكا
وادبر الرشد باكيا وكان العدل اصبح غايرا واصبح الجور غالبا وكان العقل
اصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم اصبح باسقا والكرم ذاويا موطوا وكان
الود اصبح مقطوعا والبغضا موصولة وكان الكرامة قد نكبت من الصالحين
وتوخى بها الاشرار وكان الجبن اصبح مستيقظا والوفا نايما وكان الكذب اصبح
مثمرا والصدق قاحلا وكان الاشرار اصبحوا يساموا السما واصبح الاخيار يردون
بطون الارض اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول
وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة
ولذاتها فانيه وتبعاتها باقيه فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك
لنفسك وتزود من يومك لغدك لا تنافس اهل الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم
ولاكن انظر الى سرعة ظعنهم وسو منقلبهم قال الشاعر

رب مغروس يعاش به عدمته عين مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه اقرب الاشيا من عرسه

وقال التهامي

تنافس في الدنيا غرورا وانما قصارا غناها ان تصير الى فقر

وانا في الدنيا كركب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يجري

وقال بعض الشعراء

تروح لك الدنيا بغير التي غدت وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره فذاك محال لا يدوم سرور
عفى الله عمن صير الهم واحدا وايقن ان الدائرات تدور

وقال وهب بن منبه قرأت في كتب بعض الانبيا عليهم السلام ان المسيح عليه السلام اجتاز بجمجمة بالية عظيمة نخرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سالت الله تعالى ان يستنطق هذه الجمجمة فعسى تخبرنا بما راته من العجائب ففعل فانطقها الله تعالى فقالت يا روح الله اني عشت الف سنة واستولدت الف ذكر وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وصحبت الدهر واستخبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم ار اشد من طالح نال امر صالح ولم اجد لهذا الدهر شيا انفع من الصبر ومسالمة اهله ولم ار هلاكا لاهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضا بالقسم

وقال محمد بن ابي العتاهية اخر شعر قاله في مرضه الذي توفي فيه

الهي لا تعذبني فاني مقر بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي وعفوك ان عفوت وحسن ظني
اذا فكرت في ندمي عليها عضضت اناملي وقرعت سني
وكم من زلة لي في الخطايا وانت علي ذو فضل ومن
نعر بزهرة الدنيا جنونا واقطع طول عمري بالتمني

وبين يدي ميقات عظيم كأني قد دعيت له كأني
ولو اني صدقت الله فيها قلبت لاهلها ظهر المجن

وقال ابن عباس لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول ايها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور اقسم قس قسما بالله لا كذب فيه ولا اثم لئن كان في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ايكم يروي شعره فانشدوا

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليك ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا ان البيوت هي المقابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم قال رجل لقد رايت منه عجبا انتجعت واديا فاذا انا بعين جارية وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا انا بقس بن ساعدة قاعد في اصل شجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا

وقال تنح حتى يشرب الذي ورد تبلك فلما رايت ذلك ذعرت منه ذعرا
شديدا فالتفت اليّ وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت
ما هذان القبران فقال هما قبرا اخواي كانا يعبدان الله تعالى معي في هذا
الموضع وانا اعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت له افلا تلحق بقومك فتكون
في خيرهم فقال ثكلتك امك او ما علمت ان ولد اسمعيل تركت دين ابيها الاشعث
الاضداد وعظمت الانداد ثم تركني واقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طال ما قد رقدتما اجدكما ما تقضيان كراكما
ارى النوم بين الجلد والعظم منكما كان الذي يسقي المنون سقاكما
الم تعلما اني بسمعان مفرد وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي او يجيب صداكما
ابكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة ان بكاكما
كانكما والموت اقرب غاية بروحي في قبريكما قد اتاكما
سلام وتسليم وروح ورحمة ومغفرة الولي على ساكنيكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي ان تكون فداكما

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قس بن ساعدة يبعث امة وحده
يعني ان كل امة امنت بنبيها تبعث امة وحدها لا يختلطها غيرها ويبعث قس
ايضا وحده ليس معه احد ه وروي ان المهدي نام يوما فانشد في منامه هذه الابيات

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات ثواكله

فمات عليه عاشره حتى مات وانشدني القاضي ابو العباس
الجرجاني بالبصرة رضي الله عنه هذه الابيات

بالله ربك كم قصر مررت به قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه فصار من بعده بالويل والحرب
ايها الرافع البناء رويدا لن تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يفنى وتفنى كل شيا بقا من الانسان

وانشدني ايضا

وقال الحكيم بن عمر قال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم
اني ارتكبت الامور العظام جراة مني عليك فقد اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة
ان لا اله الا الله منا منك لا منا عليك ه وكان سبب اخراجه من الحضرة انه كان
يوما نايما فاتاه ات في منامه فقال

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة الى تربة يسفي عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا ثم نام فانشده

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن اعددته او منجم ابا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع اريد الحج ايتني بطهوري فقام واغتسل ولبس وتجهز ثم قال يا ربيع الفتى
في حرم الله تعالى ه وانشدني القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها فانظر الى ملك الاملاك قارون
رم الامور فاعطته مقادتها وسخر الناس بالتشديد واللين

حتى اذا ظن ان لا شي غالبه ومكنت قدماه اي تمكين
راحت عليه المنايا روحة تركت ذا الملك والعز تحت الترب والطين

وانشدني ابو محمد التميمي ببغداد

لمن ابني لمن اجمع المطايا لمن اسائف الشي الجديدا
اذا ما صار اخواني رفاتا وصرت لتقديم فردا وحيدا
اعانق معشر الموتى شكولا واشكالا قد اعتنقوا اللحودا

وممن زهد في الدنيا واعرض عنها من ابنا الملوك ابو عقال علون بن الحسن من بني الاغلب وهم من ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله ثروة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا فاق نظراه فرفض المال والاهل وهجر النسا والوطن وبلغ من العباده مبلغا اربا فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوه وكان عالما اديبا قد صحب عدة من مشايخ سحنون وسمع منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى باباهارون الاندلسي منقطعا متبتلا لله تعالى فلم ير منه كثير اجتهاد في العمل فبينما ابو عقال يتهجد في بعض الليالي وابو هارون نايما اذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر نام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو ارحت نفسي فوضع جنبه فراى في منامه شخصا قد تلا عليه ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخر الاية فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ ابا هارون وقال له سالتك بالله هل اتيت كبيرة قط قال لا يا ابن اخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال ابو عقال لهذا انام انت ولا يصلح لمثلي الا الكد والاجتهاد ثم رحل الى مكة ولزم بيت الله تعالى الحرام

وحج مرارا واربى على عباد المشرق وكان يعمل بالقربة على ظهره لقوته ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة في المسجد الحرام سنة ست وتسعين ومايتين وقال له رجل كان يصحبه يوما الك حاجة قال مقضية بعد الجهد به قال ان كانت لك شهوة اخبرني بها قال نعم اشتهي اكل راسا فاشتريت له راسين ودفنتهما في رقاق وجيته بهما ثم سالته بعد ايام هل طاب لك الراسان قال لا اما هو الان فجيتهما فاذا هما محشوتان دودا ليس فيهما الا الدود فاتيت الرواس فاخبرته فاطرق متعجبا ثم قال ما ظننت ان احدا يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك الروس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم اعطاني راسين من غير تلك الغنم فاتيت بهما ابا عقال فاكلهما فاخبرته بما قال الرواس فبكا ثم قال يا رب ما كان يستحق عبدك ابو عقال منك هذه الحماية ولكنه برب فضلك وكرمك فلك علي يا رب الا اكل طعاما بشهوة اشتهيتها حتى القاك ان شا الله وكانت له اخت متعبدة فلما مات لحقت قبره بمكة وكتبت هذه

هذه الابيات على قبره

ليت شعري ما الذي عاينته بعد دوم الصوم مع نفي الوسن
مع عزوب النفس عن اوطانها والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيقا ليس في وجدي به علة تمنعني من ان اجن
وكما يبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

وروي ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنة ثم مت وصرت رميما الف

مدا

سنة فاخذني خراف والخذني خرفا ثم اخذني وضربني لسنة وانا في الجدار منذ
كذا وكذا سنة فلم ننار عاني في هذه الارض ∴ **وبعضهم**

الا حي من اجل الحبيب المغانيا لبسن البلا مما لبسن الليا ليا
اذا ما تقاضى المربوم ليلة تقاضاه شي لا يمل التقاضيا
حننتك الليالي بعدما كنت مدة سوى العصا لو كنت زبا قيا

وكان في بلاد الروم مما يلي ارض الاندلس رجل نصرانيا قد بلغ من التخلي من
الدنيا مبلغا عظيما فاعتزل الخلق ولزم قلل الجبال والسياحة في الارض الى الغاية
القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامر فاكرمه ابن هود واخذ بيده
وجعل تعرض عليه ذخاير امواله وخزاين ملكه وما حوته من البيضا والحمرا والحجار الياقوت
والجواهر وامثالها ونفايس الاعلاق والجوار والحشم والاجناد والكراع والسلاح فاقاموا
في ذلك اياما فلما انقضى قال له كيف رايت ملكي قال قد رايت ملكا ولاكنه يعوزك
فيه خصلة ان انت قدرت عليها تم انتظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك شبيه
لا شي قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطاء عظيما حصينا قويا ويكون مساحته
قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين
سبحان الله او يقدر البشر على هذا فقال العلج ابهذا تفتخر بامر تتركه غدا ومثال
من يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه في النوم ∴ **ومن اعجب ما روي في
الاسرائيليات** ان ابنة من بنات الملوك زهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها
ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير للمتعبدين فلحق بهم
شاب متعبد فابصروا منه من الاجتهاد والجد في العمل وملازمة الاوراد ومواصلة

الاعمال

الاعمال ما فاق به جميع من في الدير واقام على ذلك ما شا الله الى ان
انقضت ايامه ووافاه حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن عليه اهل الدير من الزهاد
والعباد والمنقطعين فادروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله وجهازه فاذا هو
امراه ففحصوا عن امره فاذا هي بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاو روا
في امره ما تحدثون له من الكرامه ثم اجمعوا امرهم ان لا يدفنوه تحت الثرى وان
يحملوه فوق اكفهم فغسلوه وكفنوه وجهزوه وصلوا عليه ثم اقبلوا يحملونه
على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد جا واحد يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة
ربه جعل يحمل معهم الى ان بلي وتقطعت اوصاله مع طول الزمان فدفن حينئذ رحمه
الله ه وروي ان ملكا من الملوك بنا قصرا وقال انظروا من عاب منه شيا فاصلحوه
واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك
ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا ∴ **ومن عجايب
اخبار الخضر عليه السلم** قال سيل الخضر عليه السلام عن اعجب شي رايته في الدنيا
في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعك القفار والفلوات فقال اعجب ما رايته
اني مررت على مدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه
المدينة فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت هكذا
من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمس مائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فاذا
هي خاوية على عروشها ولم ار احدا اسله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت اين المدينة
التي كانت هاهنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه قط كانت
هاهنا مدينة فغبت عنها نحوا من خمس مائة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة

بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحليه فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر هاهنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمس مايه عام ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماوه واذا مكانه غيطه ملتفه بالقصب والبردي والسباع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان هاهنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه كان هاهنا بحر قط فغبت عنها نحوا من خمس مايه عام ثم انتهيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينه على حالته الاولى والحصون والقصور والاسواق قايمه فقلت لبعضهم اين الغيضه التي كانت هاهنا ومتى بنيت هذه المدينه فقالوا سبحان الله ما يذكر اجدادنا الا ان هذه المدينه على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس مايه عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اسله ثم رايت راعيا فسالته اين المدينه التي كانت هاهنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا اعجب شي رايته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومخني البلاد ووارث الارض ومن عليها

وقال الشاعر

قف بالديار فهذه اثارهم تبكي الاحبه حسره وتشوقا
كم قد وقفت بها اسايل مخبرا عن اهلها او ناطقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقا

وسمعت بالعراق منشدا ينشد

ايها الربع الذي قد دثرا كان عينا ثم اضحى اثرا
اين سكانك ماذا فعلوا اخبرنا عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادٍ بهم رحلوا واستودعوني عبرا

ومن الشعر المستحسن في هذا الباب

قول القايل

رب ورقا هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكاي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
فاذا اسعدني اسعدها واذا اسعدتها تسعدني
ولقد تشكو فما افهمها ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني

ونظر رجل من العباد الى باب ملك من الملوك فقال بحر وقد شديد وانقه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد وسفر بعيد ونزع شديد وسفر لعيد ولما ثقل عبد الملك بن مروان راى غسالا يلوي بيده ثوبا فقال وددت لو كنت غسالا لا اعيش الا بما اكتسبه يوما يوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنا عنده ما هم فيه وقال الرسول عليه السلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل ينتظر احدكم من الدنيا الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او الدجال فالدجال شر غايب ينتظر او الساعه فالساعه ادهى وامر وقال عيسى بن مريم عليه السلم اوحى الله تعالى الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك

فاستحلميه يادنيا مري على اوليايي لا تحلولي لهم فتفتنيهم ٥ وقال مورق العجلي ابن ادم في كل يوم تؤتي رزقك وانت تحزن وعمرك ينقص وانت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات ٥ وقال بعض الحكما الدنيا كالما المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل في اسفله السم فللذايق منه حلاوه عاجله وله في اسفله السم الذعاف وكاحلام النايم التي يفرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضي قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما وكدودة الابريسم التي لا يزداد الابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا

وفيه قال القايل

كدود كدود القز ينسج دايما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

يسبح دايما

ومثال من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الاخره مثال رجلين لقطا من الارض حبتي عنب فاما احدهما فجعل يمص الحبه التذاذا بها ثم بلعها واما الاخر فزرع الحبه فلما كان بعد زمان التقيا فاذا الذي زرع الحبه قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الاخر في صنعه بالحبه فوجدها قد صارت عذره ليس عنده منها شي الا الحسره على تفريطه والغبطه بصاحبه ٥ وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى نبي من انبيا بني اسرايل ان اردت ان تسكن معي في حضيرة القدس فكن في

لها

الوحشي

الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الذي يظل في الارض الفلاه ويأكل من روس الشجر ويشرب من ما العيون فاذا كان الليل اوى وحده ولم ياوي مع الطير استيناسا بربه

ولبعضهم

كم للحوادث من صروف عجايب ونوايب موصوله بنوايب
ولقد تقطع من شبابك وانقضى ما لست احسبه اليك بايب
تبغي من الدنيا الكثير وانما يكفيك منها مثل زاد الراكب

قال ملك بن انس رضي الله عنه بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت انهارها وتشعث شجرها فنادى يا خرب اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خرب اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خرب اين اهلك فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلايد في رقابهم الى يوم القيمه عيسى بن مريم فجد ٥ قال ملك سالت امراه من بقية قوم عاد فقال لها ترمه اي عذاب الله رايت اشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على الليله لا ريح فيها ولقد رايت الريح تحمل العير بين السما والارض ٥ وقال مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان ليبكي من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لحرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرى في وجهه ٥ ومر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نايم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك اما تعرفني قال لا ولكني ارى فيك طبع الدواب فهي تركض بارجلها فغضب وقال اتقول لي هذا وانت عبدي فقال له سقراط بل انت عبد عبدي قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وانا قد ملكت الشهوات

قال فانا الاملاك بن الاملاك السادة املك من البلاد كذا ومن الاموال
والرجال كذا فقال الا اراك تفخر على بما ليس من نفسك وانما سبيلك ان تفخر
بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ما في هذا النهر وتكلم
غسله بين الناس من الفضول فانصرف الملك خجلا وهانا
اجلي لك امرا اصابني طيش عقلي وبلبل حزني وقطع نياط قلبي فلا يزال
مراه لي حتى يواريني التراب وذلك اني كنت يوما بالعراق وانا اشرب ما فقال
صاحب لي كان له عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذي تشرب فيه الما قد كان
انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخاري ان اخذ تراب القبر فصيره
خزفا وشواه بالنار فانتظم كوزا كما ترى وصار انية تمتهن وتستخدم بعد
ما كان بشرا سويا ياكل ويشرب وينعم ويلذ ويطرب فاذا الذي قاله من
العجايب فان الانسان اذا مات صار ترابا كما كان في النشاة الاولى
ثم قد يتفق ان يحفر لحده ويعجن بالماء ترابه فيتخذ منه انية تمتهن في البيوت او لبنة
تبنى في الجدار او يطين به سقف البيت او يفرش في الدار فيوطا بالاقدام او يجعل طينا
على الجدار وقد يجوز ان يغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة
فترعى البهايم اوراقها وياكل الانسان ثمرها فينبت منها لحمه وينشز منها عظمه او ياكل
تلك الثمرة الحشرات والبهايم فبينا كان نبات صار قوتا وبينما كان ياكل صار
ماكولا ثم يعود في بطن الارض رجيعا يقذف في بيت الرحاضة او يعر ابنيك
بالعرا ويجوز اذا حفر قبره ان تسفي الرياح ترابه فتتفرق اجزاوه في بطون الاودية
والتلول والوهاد السر في هذا ما اذهب العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات

١٥٦

وكان عنده مفارقة الاهلين والاموال واللحوق بقلل الجبال والانس بالوحوش
٢٦ حتى ياتي امر الله السر في هذا ما صغر الدنيا وما فيها السر في هذا ما حقر الملك عند
من جمعه السر في هذا ما زهد في اللذات وسلا عن الشهوات وقال مستعرتم من
مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يدركه انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره
ذي النون لبغضتم الامال وغروره وحدثنا بان المامون بن ذي النون وكان من ملوك الاندلس
قصره وانفق فيه الاموال فجا على اكمل بنيان في الارض وكان من عجايبه ان صنع
فيه بركة ما كانها بحيرة وبنا فيها في وسطها قبة وسيق الما من تحت الارض
حتى علا على راس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الما ينزل من
اعلا القبة حواليها فيحيط بها متصلا بعضه ببعض وكانت القبة في غلبها من
الايات الما لا تفتر والمامون قاعد فيها فروي عنه انه بينما هو نايم اذ سمع منشدا ينشد منه
ابني بنا الخالدين وانما بقاوك فيها لو عقلت قليل
رحيل لقد كان في ظل الاراك كفاية لمن كل يوم يقتضيه
منازله فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه ووجد مكتوبا على قصر قد باد اهله واقفرت
منذى منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش نفيس ما له خطر
وللصاحب ايضا هاجت بصم نايبات الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عين ولا اثر
نهب ولقد مررت على ديارهم وطلولها بيد البلى
الركب فوقفت حتى ضج من لغب نضوي وصاح بعذلي
القلب ولفتت عيني ثم خفيت عنها الطلول تلفت
ولو هند قيل للدنيا صفي نفسك ما تعدت هذه الابيات

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الاصابع

وروي ان الحجاج قال في خطبته ايها الناس انما بقي من الدنيا اشبه
بما مضى من الدنيا ولو اعطيت ما مضى من الدنيا بحمامتي هذه ما قبلته فكيف اسا
على ما بقي منها ان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا ولابن ادم
عند الموت كمثل رجل له ثلثة اخلا فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت
لي خلا مكرما موثرا وقد حضرني من امر الله تعالى ما ترى فما ذا عندك فيقول
هذا امر الله غلبني عليك لا استطيع ان انفس كربتك ولكن ها انا بين يديك
فخذ مني زادا ينفعك ثم تقول للثاني قد كنت عندي اثر الثلثة وقد نزل بي من امر
الله تعالى ما ترى فما عندك قال هذا امر الله غلبني عليك ولا استطيع ان انفس
عنك كربتك ولكن ساقوم عليك في مرضك فاذا مت انقيت غسلك وجودت
كسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من امر الله ما
ترى وكنت اهون الثلثة علي فما ذا عندك قال اني قرينك وحليفك وخليطك في
الدنيا والاخره ادخل معك قبرك حين تدخله واخرج منه حين تخرج ولا افارقك
ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله
ولقي ميمون بن مهران الحسن البصري فقال له قد كنت احب لقاك فعظني فقرا
الحسن افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون فقال عليك السلم ابا سعيد وعظت احسن موعظه واعجبا كل
العجب للمكذب بالنشاة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك في قدره
الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت كل يوم وليله

وكبي

٢٧

وكبي واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور
واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفه ثم يعود جيفه وهو بين
ذلك لا يدري ما يفعل به وروي ان الله تعالى اوحى الى ادم صلى الله عليه وسلم
قال جماع الخير كله في اربعه واحده لي وواحده لك وواحده بيني وبينك وواحده
بينك وبين الناس فاما التي لي فان تعبدني ولا تشرك بي شيا واما التي لك فاعمل ما
شيت فاني اجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعا وعلي الاجابه واما التي بينك
وبين الناس فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك وقال سليمن بن داود عليهما السلم
اوتينا مما اوتي الناس ومما لم يوتوا وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا فلم نجد شيا افضل
من خشيه الله تعالى في الغيب والشهاده وكلمه حق في الرضا والغضب والقصد
في الغنا والفقر وكتب معويه الى عايشه رضي الله عنها ان اكتبي الي
كتابا اوصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه عايشه سلام عليك اما
بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس والسلم ولما ضرب ابن ملجم عليا عليه السلم
ادخل منزله فاعترته غشيه ثم افاق ودعا الحسن والحسين فقال اوصيكم
بتقوى الله والرغبه في الاخره والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شي فاتكما منها اعملا
الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال اما سمعت ما
اوصيت به اخويك قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفه
فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه شقيقكما
وابن ابيكما وانتما تعلمان ان اباه كان يحبه فاحباه ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله

بخير فانه سيفيقكما وابن ابيكما واشتما تعلمان ان اباه كان يحبه فاحباه
ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا
والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في
النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخا يا بني ما شر بعده الجنة
بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلا دون
النار عافية يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله
لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه المومن بيرا وقع
فيه ومن هتك حجاب اخيه انكشفت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم
خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس
ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السو اتهم ومن خالط العلما
وقر ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر
خطاوه ومن كثر خطاوه قل حياوه ومن قل حياوه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب خير ميراث وحسن الخلق
خير قرين يا بني العافية عشرة اجزا تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد
في ترك مجالسة السفها يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف اعلا
من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا معقل احرز من الورع ولا شفيع انجح من التوبة
ولا لباس اجمل من العافية الحرص مفتاح المقت ومطية النصب التدبير قبل العمل
يومنك الندم بيس الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن اخلص لله عمله وعلمه
وحبه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله وروي ان

عمر

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن جا بلبن فشربه فخرج من طعنته فقال
الله اكبر فجعل جلساوه يثنون عليه فقال وددت اني اخرج منها كفافا كما
دخلت فيها لو ان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع
قال ابن عمر ولما حضر عمر غشي عليه فاخذت راسه فوضعته في حجري فقال ضع
راسي بالارض لعل الله يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لامه ان لم يغفر
له فقلت وهل حجري والارض الا سوا يا ابتاه قال ضع راسي بالارض لا ام لك فاذا قضيت
فاسرعوا بي الى حفرتي فانما هو خير تقدموني اليه او شر تضعونه عن رقابكم ثم
بكا فقيل له ما يبكيك فقال خبر السما لا ادري ايطلق بي الى الجنة ام الى النار وولما
حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاه قال اللهم انك امرتني فقصرت ونهيتني فضيعت وانعمت
علي فافضلت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا اني اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله ولما حضرت هشام
بن عبد الملك الوفاه نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له
بالبكا وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر له
ودخل على المامون في مرضه الذي مات فيه فاذا هو قد امر ان يفرش جل الدابة ويبسط
عليه الرماد وهو راقد عليه يتضرع وهو يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه وروي
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طاير واقع على شجره فقال طوبا لك يا طاير تطير
فتقع على الشجر وتاكل من الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك
والله لوددت اني شجره الى جانب الطريق فمر علي بعير فاخذني فلاكني ثم ازدردني
ثم اخرجني بعرا ولم اك شيا وقال عاصم بن عبيد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه وددت اني طاير في منكبي ريشه وسمع رجلا
يقول يا ليتني كنت من اصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني اذا مت لم ابعث
وقال عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال
ابو الدردا رضي الله عنه يا ليتني كنت شجرة تعضد وتوكل ثمرتي ولم اكن بشرا
وروي ان علي بن ابي طالب رضوان الله عليه لما رجع من صفين فدخل اوايل الكوفة
فاذا هو بقبر قال قبر من هذا قالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله
خبابا اسلم راغبا وهاجر طايعا وعاش طايعا مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن
يضيع الله اجر من احسن عملا ثم مضى فاذا اقبر فجا حتى وقف عليها فقال السلام عليكم
اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون
اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف
ورضي عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت
واما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه فقال
اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى

الباب الثاني
في مقامات الصالحين عند الامرا والسلاطين

دخل الاحنف بن قيس على معويه وعليه شملة ومدرعه صوف فلما مثل بين يديه
اقتحمته عينه فاقبل عليه وكلمه فقال يا امير المومنين اهل البصرة عدد يسير
وعظم كثير مع تتابع من المحول واتصال من الدحول فالمكثر منها قد اطرق والمقل

بلغ

٢٩

بلغ به الحق فان راى امير المومنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير
ويصفح عن الدخول ويداوي المحول ويامر بالعطا ليكشف البلا ويزيل اللاوا فان السيد
من يعم ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى ان احسن اليه شكر وان اسي اليه غفر ثم
يكون من ورا الرعيه عمادا يدافع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال
معويه ها هنا يا ابا بحر ثم تلا ولتعرفنهم في لحن القول ه وقال سفين الثوري لما حج المهدي
قال لابد لي من سفين فوضعوا لي الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه
ادناني ثم قال لاي شي لا تاتينا فنستشيرك في امورنا فما امرتنا من شي صرنا اليه
وما نهيتنا عن شي انتهينا عنه فقلت له كم انفقت في سفرك هذا قال لا ادري لي امنا
ووكلا قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسالك عن ذلك لكن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم انفقنا في سفرتنا هذه قال يا امير المومنين
ثمانيه عشر دينارا فقال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين ه وقال الزهري ما سمعت
باحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمن بن عبد الملك فقال يا امير المومنين اسمع مني
اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك واخرتك ودنياك قال وما هن قال لا تعد احدا
عدة وانت لا ترى انجازها ولا يغرنك مرتقا سهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان
للاعمال جزا فاحذر العواقب والدهر تارات فكن على حذر ه ولما دخل ابن السماك على
هرون قال له عظني قال يا امير المومنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترضى
من نفسك الا بما رضي به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس
بذلك يا امير المومنين من طلب فكاك رقبته من مهلكه في اجله كان خليقا ان يعتق نفسه
يا امير المومنين من ذوقته الدنيا حلاوتها لركونه اليها اذاقته الاخرة مرارتها

بجا فيه عنها يا امير المومنين ناشدتك الله ان تقيم على جنته عرضها السموات والارض
وقد دعيت ولم يكن لك فيها نصيب يا امير المومنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك
وانك لا تقدم الا على ما قدمت مشغول ولا تخلف الا ممقوتا مغرورا وانك وايانا في دار
سفر وجيران ظعن ولما حج سليمن بن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا
حازم قال بم اتكلم قال قل في المخرج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته قال وما ذاك
قال لا تاخذ الاشيا الا بحلها ولا تضعها الا في محلها قال ومن يقوى على ذلك
قال من قلده الله من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المومنين ان هذا الامر
لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير
المومنين نزه ربك في عظمته عن ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك يا امير المومنين
انما انت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شيت
قال فما لك لا تاتينا قال وما اصنع باتيانك ان ادنيتني فتنتني وان اقصيتني احزنتني
وليس عندي ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك له قال فارفع الي حوايجك قال قد
رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت
يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع ان
ينقص من كثير ما قسم الله او يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكا سليمن بكا شديدا
فقال رجل من جلسايه اسات الى امير المومنين قال ابو حازم اسكت فان الله تعالى اخذ
ميثاق العلما ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله
بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له يا امير المومنين والله ما ارضاه لك فكيف
ارضاه لنفسي وقال الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينا انا

ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المومنين فخرجت مسرعا
فاذا به امير المومنين فقلت يا امير المومنين لو ارسلت الي اتيتك فقال ويحك قد
حاك في نفسي شي لا يخرجه الا عالم انظر لي رجلا اسله عنه قلت هاهنا سفين
بن عيينه فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت
اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير المومنين لو ارسلت الي اتيتك فقال خذ
لما جينا له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا ابا عباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيا فانظر لي رجلا اسله قلت هاهنا عبد الرزاق
بن هشام فقال امض بنا اليه نسله فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت
اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير المومنين لو ارسلت الي اتيتك فقال خذ لما
جينا له فحادثه ساعة ثم قال عليك دين قال نعم قال يا ابا عباس اقض دينه ثم انصر
فقال ما اغنى عني صاحبك شيا فانظر لي رجلا اسله فقلت هاهنا الفضيل بن
عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قايم يصلي في غرفته يتلوا اية من كتاب الله
وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المومنين فقال
ما لي ولامير المومنين فقلت سبحان الله اما عليك طاعة اوليس قد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس للمومن ان يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقا الغرفة فاطفا
السراج ثم التجا الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف
الرشيد كفي فقال اوه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى قال
فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال خذ لما جيناك له يرحمك
الله قال وفيم جيت حطبت على نفسك وجميع من معك حطبوا اعمالك حتى لو

وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

سالتهم عن اثقال الخطا عنك وعنهم ان يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا
ولكان اشدهم حبا لك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي
الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجا بن حيوة فقال لهم
قد ابتليت بهذا البلا فاشيروا علي فعد الخلافة بلا وعدها انت واصحابك نعمة
فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا
وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا من عذاب
الله فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم لك اخا واصغرهم لك ولدا فوقر اباك وارحم
اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجا بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله
تعالى غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت
شئت مت واني لاقول لك هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام
فهل معك رحمك الله مثل هولا القوم من يامرك بمثل هذا فبكى هارون بكا شديدا
حتى غشي عليه فقلت ارفق بامير المومنين فقال يا ابن ام الربيع تقتله انت واصحابك
وارفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المومنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد
العزيز شكا اليه فكتب اليه عمر يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابد
فان ذلك يطرد بك الى ربك نايما ويقظانا واياك ان تزل قدمك عن هذه السبيل
فيكون اخر العهد بك وينقطع الرجا منك فلما قرا كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه
فقال له عمر ما اقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية ابدا حتى القى
الله تعالى فبكى هارون بكا شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المومنين ان العباس عم
النبي صلى الله عليه وسلم جا فقال يا رسول الله امرني على امارة فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة يوم القيامة فان استطعت الا تكون اميرا فافعل فبكى هارون
بكا شديدا ثم قال زدني يرحمك الله قال يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله عن
هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح
وتمسي وانت غاش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رايحة
الجنة فبكى هرون بكا شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل
لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يامرني
بهذا انما امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه
الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك
على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال
لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم فدخلت امراة
من نسايه دخلت عليه فقالت يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال
تفرجنا به فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون من كسبه
فلما كبر نحروه واكلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا ولا تذبحوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك
قال ادخل فعسى ان يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب
فجعل الرشيد يكلمه وهو لا يجيبه فبينا نحن كذلك اذ خرجت جارية سودا فقالت يا هذا
قد اذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا

وعظ

شبيب بن شيبة المنصور فقال يا امير المومنين ان الله تعالى لم يجعل فوقك احدا

ولا تجعل فوق شكرك شكرا ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرأ
والفجر وليال عشر والشفع والوتر حتى بلغ الى قوله ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم
فاتق الله يا امير المومنين فان ببابك نيرانا تاجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا
تصلح دنياهم بفساد آخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب
به اليك من لا نية له فقال له سليمان بن مجالد اما كفاك انك خونت نصيحتك عن امير
المومنين حتى اردت ان تحول بينه وبين من نصحه اتق الله يا امير المومنين فان هولاء قد اتخذوك
سلما الى شهواتهم فانت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب فان هولاء لن يغنوا عنك من الله
شيئا وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا امير المومنين اما علمت انه كان بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه
السلم فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك
دما المسلمين وشقق ابشارهم وانتهب اموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر دعا الى
القصاص من نفسه لخدش خدشها اعرابيا من غير عمد فقال له جبريل عليه السلم
ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون رعيتك يا امير المومنين لو ان ثوبا من النار صب على ما في
الارض لاحرقته فكيف بمن تقمصه ولو ان ذنوبا من النار صب على ما في الارض لاجنه فكيف لا جنبة
بمن تجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلك فيها ويرد
فضلها على عاتقه ○ ودخل بعض العقلا على سلطان فقال ان احق الناس بالاحسان
من احسن الله اليه واولاهم بالانصاف من بسطت يداه بالقدره فاستدم ما اوتيت من
النعم بتاديه ما عليك من الحق ○ وروي ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال

ايها الامير انت على الناس سنون ثلث اما الاولى فاكلت اللحم واما الثانية فاذابت العظم
الشحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول اموال فان كانت لله فاقسمها بين عباد
الله وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين
فامر هشام بمال ففرق في الناس وامر للاعرابي بمال فقال اكل المسلمين له مثل هذا المال
قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لي فيما تبعث لائمة الناس على امير المومنين وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين اذكر لمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنه كثرة من تخاصم
من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براة من ذنب فبكا عمر بكا شديدا ثم استزاده
الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال حاجتك قال عاملك باذربيجان اخذ مني
عشرة الف درهم قال اكتبوا له حتى ترد عليه ○ ولما دخل زياد على عمر بن عبد العزيز
قال يا زياد الا ترى ما ابتليت به من امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا امير المومنين والله
لو ان كل شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت عليه فاعمل لنفسك في الخروج مما انت فيه
يا امير المومنين كيف حال رجل له خصم الد قال سيي الحال قال فان كان خصمان الدان
قال اسوا الحاله قال فان كانوا ثلثة قال لا تهنيه عيشة قال فوالله ما احد من امة محمد
الا وهو خصمك فبكا حتى تمنيت الا اكون قلت له ذلك ○ وقال محمد بن كعب
لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها خرج الناس بما ربحوا
فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم
الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم ياخذوا من الدنيا للآخرة فاقتسم ما لهم من لا يحمدهم وصاروا فاقتسم
الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه
وانظر الى الذي تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز لك البدل

ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك ترجوا احوارها عليك يا امير المومنين افتح الابواب
وسهل الحجاب وانصر المظلوم ه وحضر رجل بين يدي بعض الملوك فاغلظ له السلطان
فقال له الرجل انما انت كالسما اذا ارعدت وابرقت فقد قرب خيرها فسكن غيظه واحسن
اليه ه ولما احتاج المنصور بن ابي عامر ملك الاندلس ان ياخذ ارضا لمحبسة ويعاوض عنها
خيرا منها استحضر الفقها في قصره فافتوا بانه لا يجوز فغضب السلطان وارسل اليهم رجلا
من الوزرا مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم امير المومنين يا مشيخة السو يا مستحلي
اموال الناس يا اكلي اموال اليتامى ظلما يا شهدا الزور واخذي الرشا وملقني الخصوم وملقحي الشرور
وملبسي الامور وملتمسي الروايات لاتباع الشهوات تبا لكم ولارايكم فهو اعزه الله
واقف على فسوقكم قديما وخونكم لاماناتكم معض عما يجري منكم صابر عليه ثم احتاج
الى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة في دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم
والله لا يعارضنكم وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم واخش عليهم بهذا
ونحوه فاجابه شيخ منهم ضعيف المنة فقال نتوب الى الله تعالى مما قاله امير المومنين
ونساله الاقاله فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابرهيم بن حيويه وكان جلدا صارما
فقال للمتكلم نتوب يا شيخ السو نحن برا من متابك ثم اقبل على الوزير فقال له يا وزير
بيس المبلغ انت وكلما نسبته الينا عن امير المومنين فهو صفتكم معاشر خدمه فانتم
الذين تاكلون اموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بالاخافة وتجتلبون معايشهم
بالرشا والمصانعة وتبغون في الارض بغير الحق فاما نحن فليست هذه صفتنا ولا كرامه
لا تقولها الا منهم في الامانة فنحن اعلام الهدى وسرج الظلمة بنا يتحصن الاسلام ويعرف
من الحلال والحرام وتنفذ الاحكام وبنا تقام الفرايض وتثبت الحقوق وتحقن الدما

وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا امير المومنين بشي لا ذنب فيه لنا وقال
ما قال بالغيظ بعض ما قاله ثابت لابلاغنا رسالته باهون من الخاسك وعرضت لنا
بانكاره فنفهمناه منك واحتبنا عنه بما يصح الجواب عنه به فكنت تزين على السلطان
ولا تفشي سره وتستحيينا مما استقبلتنا به فنحن نعلم ان امير المومنين لا يتمادى على
هذا الراي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا وانه سيراجع بصيرته في اثارنا وتعزيزنا
فلو كنا عنده على الحال التي وصفتها عنا والعياذ بالله من ذلك لبطل كلما صنعه
وعقده من اول خلافته الى هذا الوقت فما ثبت لنا كتاب من حرب ولا سلم ولا شرا ولا
بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا باشهادنا انما هذا ما عندنا والسلام
ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل بادرهم فادخلوا الى القصر فتلقاهم
الوزرا بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم امير
المومنين يعتذر اليكم عن فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته
التي حملته على الجفا عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في
تعظيمكم وقضا حقوقكم وقد امر لكل واحد منكم بما ترون من صلته وكسوته علامة
لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما امر لهم وانصرفوا غالبين لم يمسسهم سو ه ولما
نظر ملك زرنج الى المهلب بن ابي صفره يجر اذياله ويتبختر في اذياله خيلا ناداه ان ارفع
من ثيابك فقال له المهلب اما تعرفني قال له ملك بلى اني لاعرفك اولك نطفة مذره
واخرك جيفة قذره وانت فيما بين ذلك تحمل عذره ه ويروى ان رجلا قال
لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد اخلي له المسعى فقال لا جزاك الله عني
خيرا كلفتني امرا كنت عنه غنيا قال كم ترى ها هنا من خلق الله تعالى فقال

لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسل عن
خاصة نفسه وانت وحدك تسل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكا هرون
وجلس يجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له ودبره ان الرجل ليسرع في
مال نفسه فيستحق عليه الحجر فكيف بمن اسرع في مال المسلمين فقال ان هرون الرشيد
كان يقول بعد ذلك اني احب ان احج كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبد الله العمري
وروي ان الحسن بن محمد بن الحسين دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلث
من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال عمر ابه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة
حبي على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا غضب لم يخرجه
غضبه عن الحق واذا اقدر لم يتناول ما ليس له ولما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه
الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث
السن فقال له عمر ليتنطق من هو اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المومنين انما المرء
باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق
الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامر يا امير المومنين بالسن لكان في
الامة من هو احق بمجلسك هذا منك قال عمر صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام
اصلح الله امير المومنين نحن وفد تهنية لا وفد مرزية وقد اتيناك لمن الله الذي من علينا
بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتينا منك الى بلدنا واما الرهبة
فقد امنا جورك بعدلك فقال له عظني يا غلام فقال اصلح الله امير المومنين ان اناسا
من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثنا الناس عليهم فزلت بهم اقدامهم
فهووا في النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثنا الناس عليك

فتزل

فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه الامة
ثم سكت فسال عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سال عنه فاذا هو
من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليه فتمثل عند ذلك عمر فقال

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي

وكان لا يبالي ما لبس فقيل له ما لك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع المرء ادبه وعقله
لا حليته وحلته لحا الله امرا ترضى ان يرفعه هيأته وجماله لا والله حتى يشرفه
اصغراه لسانه وقلبه ويعلو به اكبراه همته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة
على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا راي وعقل احتقرته عينه لدمامته
فقال لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال ضمرة ابيت اللعن ان القوم ليسوا
بجزر يجزرون وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان
فالرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان فاعجب المنذر بكلامه وروي ان روح بن
زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام
والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعاه الى
الطعام فابى فقال اني صايم فقال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال افادع اياما بدت
باطلا قال روح لقد ضننت بايامك يا راعي اذ جاد بها روح بن زنباع وروي ان اعرابيا
قام بين يدي سليمن بن عبد الملك وقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته
فان وراه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي فقال اني ساطلق لساني بما خرست به الالسن

لحق الله وحق امامتك انك قد اكتنفك رجال اساوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا
دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياهم
بفساد اخرتك فاعظم الناس غبنا يوم القيمه من باع اخرته بدنيا غيره فقال له سليمن
اما انت فقد نصحت فارجوا ان الله سيعين على ما قلدنا وقد جردت لسانك وهو سيفك
قال اجل يا امير المومنين وهو لك لا عليك ٥ وقال ابن ابي عروبه حج الحجاج فنزل في
بعض المياه بين مكه والمدينه ودعا بالغدا وقال لحاجبه انظر من يتغدا معي واسله عن بعض الامر
فنظر نحو الجبل فاذا هو براع بين شملتين نايم فضربه برجله وقال ايت الامير فاتاه فقال
له الحجاج اغسل يدك وتغد معي فقال دعاني من هو خير منك فاجبته قال ومن
هو قال دعاني الله تعالى الى الصوم فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم
هو اشد منه حرا قال فافطر وتصوم غدا قال ان ضمنت لي البقا الى غد قال ليس ذلك
الي قال فكيف تسلني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت
ولا الطباخ ولكن طيبته العافيه ٥ ولما حج هرون الرشيد بعث الى ملك بن انس بكيس
فيه خمس مايه دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينه بعث الى ملك بن انس ان امير
المومنين يحب ان تنتقل الى مدينه السلم فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول
عليه السلم والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون ٥ وقال وهب بن منبه ان ملكا كان
يفتن الناس ويحملهم على اكل لحم الخنزير فاتي برجل افضل اهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهالهم امره فراودوه على اكل لحم الخنزير فرق له صاحب شرطه الملك وقال له
انا اتيك بجدي تذبحه مما يحل لك اكله واذا دعا الملك بلحم الخنزير اتيتك به
فافعل ثم اتا به الملك فدعا بلحم الخنزير فاتى صاحب الشرطه بذلك الجدي فامر به الملك

ان ياكله فابي فجعل صاحب الشرطه يغمزه ان ياكله فابي ان ياكله
فامر الملك صاحب الشرطه ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعك ان تاكل وهو اللحم
الذي انت ذكته اظننت اني جيتك بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت ان
يفتتن الناس بي فان اكرهوا على اكل لحم الخنزير قالوا قد اكله فلان فيستنوا
بي فاكون فتنه لهم فقتل رحمه الله ٥ وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال او ليس فيكم كتاب الله وسنه رسوله قال بلى يا كعب
ولكن خوفنا قال يا امير المومنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيمه بعمل سبعين نبيا
لازدريت عملهم مما ترى فانكس عمر واطرق مليا ثم افاق وقال يا كعب خوفنا فقال
يا امير المومنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل
من حرها فانكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المومنين ان جهنم لتزفر زفره
يوم القيامه فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى ابرهيم خليل
الرحمن خر على ركبتيه يقول رب لا اسلك الا نفسي ٥ واستاذن ابو دهمان على بعض
الامرا فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك قد كان في يدي غيرك
فامسوا والله حديثا فان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فتحبب الى عباد الله بحسن البشر
ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب الله موصول بحب عباده وبغضهم موصول ببغضه
لانهم شهدا الله على خلقه ٥ ولما دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على
بلال بن ابي برده امير البصره وكان ثوبه الى نصف ساقه قال له بلال ما هذه الشهره
يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى وانما انتم طولتم
ذيولكم فصارت السنه بينكم بدعا وشهره ٥ واما انا فلما دخلت على الافضل بن امير

الجيوش ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش فقلت السلم عليك ورحمة الله
وبركاته فرد السلم على نحو ما سلمت ردا جميلا واكرم اكراما جزيلا فامرني بدخول
مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت السلم عليكم ورحمة ايها الملك ان الله تعالى
قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طايفة من ملكه واشركك
في حكمه ولم يرض ان يكون لهم احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر
منك وان الله تعالى قد الزم الورى بطاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس
الشكر باللسان ولكنه بالفعل والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك
وهو خارج عن يديك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان
الله سايلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين
عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين ه واعلم ايها الملك ان الله قد اتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمن بن داود
عليهما السلم فسخر له الانس والجن والوحوش والطير والبهايم وسخر له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال هذا عطاونا فامنن او امسك
بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما
حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا فقال هذا من فضل ربي
ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم اعانك الله
على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخايف وزادني رواية من اسر
عنه ثم امر الجلساء بان قال قد دوخت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة تروحت

فيها ولذ لي فيها غير هذه المملكة وانشده
والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان
وكتب حكيم الى حكيم اني سايلك عن ثلثة اشيا ان اجبت عنها صرت لك تلميذا اي
الناس اولى بالرحمة ومتى تضيع امور الناس وبما تستدعى النعم من الله تعالى فكتب اليه
ان اولى الناس بالرحمة ثلثة البر يكون في سلطان الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع
والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر متعوب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم
فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع امور الناس اذا كان الراي عند من لا يقبل منه والسلا[ح]
عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتستدعى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته
واجتناب معصيته فصار تلميذا له الى ان مات ه وقال يحيى بن سعيد لما حج سليمن
بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما اشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى
السرادقات قد ضربت فقال له يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا عريضة ياكل بعضها
بعضا وانت المسول عنها والماخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق
سليمن في منقاره كسرة فصاح فقال سليمن ما يقول هذا الغراب قال عمر ما ادري
ما يقول ولكن ان شيت اخبرتك بعلم قال اخبرني قال هذا الغراب طار من سرادقك
في منقاره كسرة انت بها ماخوذ وعنها مسول من اين دخلت ومن اين خرجت
قال انك لتجي بالعجب قال او لا اخبرك باعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف
عصاه ومن عرف الشيطان كيف اطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش
فقال لقد نغصت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وساره ويروى ان بلال بن
ابي بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى الجماعة وقوفا فقال ما هذا

فقالوا مالك بن دينار يذكر الناس ويعظهم فقال لوصيف معه اذهب الى مالك
بن دينار فقل له يرتفع الينا الى القبر فجا الوصيف الى مالك فادى الرساله فصاح
به مالك لا اما لي اليه حاجة فاجيئه بها فان يكن له حاجة فليجي الى حاجته نفسه
فلما دنوا ابيتهم قام بلال بمن معه الى حلقه مالك فلما دنوا ابيتهم دنوا منها نزل
بلال ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقة حتى جلس فلما راه مالك بن دينار سكت
فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال قد سمعت شيئا فاذكرك
هو قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا امير من قبلك على البصرة فمات فدفناه
في هذه الجبانة ثم اتينا بابن نجي فدفناه الى جانبه فوالله ما ادري ايهما كان الام على
الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى اتدري ما الذي جرا علي ما الذي سكتني
عنك لانك لم تاخذ من دراهمنا شيئا اما والله لو اخذت من دراهمنا شيئا ما اجترات
علي هذه الجراه فافادني هذا الحديث علما الا فانقوا دراهمهم ه ودخل ابن شهاب
على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به اهل الشام قال وما هو
يا امير المومنين قال حدثونا ان الله تعالى اذا استرعا عبدا رعية كتب له الحسنات
ولم يكتب عليه السيات قال كذبوا يا امير المومنين انبي خليفه اقرب الى الله ام خليفه
ليس بنبي قال بل نبي خليفه قال فانا احدثك يا امير المومنين بما لا تشك فيه قال الله
تعالى لنبيه داود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب يا امير المومنين فهذا وعيد الله لنبي خليفه فما ظنك
بخليفه غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغرونا عن ديننا ه ولما بعث ابو جعفر

الى ملك

الى مالك بن انس وابن طاووس فدخلا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين
يديه جلاوزة قد بسطت وبين يديه جلاوزة بايديهم السيوف يضربون بها الاعناق
فاوما اليهما ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع راسه والتفت الى ابن طاووس
قال حدثني عن ابيك قال نعم سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اشد الناس عذابا يوم القيمه رجل اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه
فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافه ان ينضحني بدمه فامسك
ابو جعفر ساعة ثم اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاووس ناولني هذه الدواه فامسك
عنه ثم قال ناولني هذه الدواه فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان
تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاووس
ذلك ما كنا نبغي منك اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاووس فضله من ذلك
اليوم ه وقال احمد بن ابي الحواري سمعت رجلا يحدث عن ابن السماك قال بعث الي
هرون فلما انتهيت الى باب القصر اخذ حرسيان بضبعي فاعجلاني في دهليز القصر فلما
انتهيت الى باب القاعة لقيهم خصيان يحملان واخذاني من الحرسيين فاعجلاني في قاعة
القصر فانتهيت الى البهو الذي تحته فتلقاني خصيان دونهما فاخذاني فاعجلاني في البهو فقال
لهما هرون ارفقوا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المومنين ما مر بي يوم منذ
ولدتني امي اتعب من يومي هذا فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصح لنفسك
في رعيتك فان لك مقاما بين يدي الله تعالى انت فيه اذل من مقامي هذا بين يديك
فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطواته على اهل المعصيه كيت وكيت قال فاضطرب
على فراشه حتى نزل الى المصلى بين يدي فراشه فقلت يا امير المومنين هذا ذل الصفه

فكيف لو رايت ذل المعاينة قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى للحسين
اخرجوه فقد اذا امير المومنين ثم دخل مرة اخرى فقال له عظني واوجز فقال يا امير
المومنين ان الذي اكرمك بما اكرمك به لحقيق عليك ان تحب ما احب وتبغض ما
ابغض فوالله لقد احب الله دارا وابغضتها وابغض دارا واحببتها كانما اردت خلافه
ربك اواردت سواه واعلم يا امير المومنين ان الذي في يدك لو بقي على من كان
قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك فاتق الله في خلافته
واحفظ وصية محمد في امته ٥ ودخل هرون على بعض النساك فسلم عليه فقال وعليك
السلم ايها الملك ثم قال له ايها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال نعم قال
كذبت والله في حبك اياه انك لو احببته لاطعته ثم انشا يقول

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرك في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة منه وانت لشكر ذاك مضيع

وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمن بن عبد الله بن جعفر بن ابي
طالب الهاشمي والي المدينة [illegible] ان ياتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا اب
ولا جد فلوين اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امراة فرعون
اولى بنوح ولوط من زوجتيهما وكما كانت زوجة لوط ونوح اولى بفرعون من
زوجه من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه
وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الجراد دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف
ثم شكل به بعض من معه وقال له اخرج من طوافه فاتني به فلما فرغ اتاه به فقال

عن

له ممن انت قال من اهل اليمن قال افلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه
قال لقد تركته ابيض بضا سمينا طويلا عريضا قال ويلك ليس عن هذا اسالك قال فعمه
قال عن سيرته وطعمته قال فاجور السير واخبث الطعم واعدا العداة على الله وانحامه
قال فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى قال فانت اما علمت ان الله ربي
والله لهو امنع لي منك اكثر منك لاجيبك قال الحجاج ارسله يا غلام ٥ وقال الاصمعي
حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد بن ابرهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر
بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا بقريش فقالوا
لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذيب قال ابو جعفر لابن ابي ذيب ما تقول في بني فلان
قال اشرار من اهل بيت اشرار قالوا اسأله يا امير المومنين عن الحسن بن زيد وكان عامله
على المدينة قال ما تقول في الحسن قال ياخذ بالاحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن والله
لو سالته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال ما تقول في قال اعفني قال لا بد ان
تقول قال فانك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية قال فتغير وجه ابي جعفر فقام
ابرهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل فقال طهرني بدمه يا امير المومنين قال له ابن ابي ذيب
اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن ابي ذيب الكلام
فقال دعنا يا امير المومنين مما نحن فيه بلغني انك رزقت ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي
قال اما ان قلت ذلك انه لصوام اليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذيب فخرج
فقال ابو جعفر اما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه ٥ ودخل ابو
النضر سالم مولى عبيد الله على عامل الخليفة فقال له يا ابا النضر انه ياتينا كتب من عند
الخليفة فيها كيت وكيت ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى قال ابو النضر قد اتاك كتاب

وفيها

الله قبل كتاب الخليفه فايهما ابتغت كنت من اهله ٥

الباب الثالث ما جا في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد جا في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديه فيود ان يكون الحق للذي منه خاصة وهذه الخصلة سلب سليمن بن داود ملكه ٥ قال ابن عباس رضي الله عنه كان الذي اصاب سليمن بن داود ان ناسا من اهل جراده امراته وكانت من اكرم نسايه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب [illegible] ان يكون الحق لاهل جراده فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ٥ ومن ذلك ايه الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقا الملك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين واوضح شرايط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم كما ترى فما تضعضعت قواعدهم او انتقض عليهم من اطراف ممالكهم او ظهر عليهم عدو او باغي فتنه او حاسد نعمه او اضطربت عليهم الامور او راوا اسباب الغير فليلجوا الى الله تعالى ويستجيبوا من سو اقداره باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه باقامة الميزان بالقسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والارض واظهار شعاير الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومراعاة الفقراء

وال

والمساكين وملاحظة ذوي الحاجة والمستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشرط من الشروط الاربع التي شرطت في النصره وقد روي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسول عن رعيته والمراة راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسوله عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راع له واللفظ ماخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يا كله فهو الهلاك ٥ قال الشاعر

وراعي الشاة يحمي الذيب عنها ... فكيف اذا الذياب لها رعا

وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير يلي امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح للامه لم يدخل معهم الجنه ٥ وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعيه فلم يحطها بنصيحه الا لم يدخل الجنه ٥ وروى عن عبد الرحمن بن سمره قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمره لا تسل الاماره فانك ان اعطيتها عن مسله وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسله اعنت عليها ٥ وروى ابو هريره رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تحرصون على الاماره وستكون ندامه يوم القيامه فنعمت المرضعة وبيست الفاطمة ٥ وقال ابو ذر قلت امرني يا رسول الله قال انها امانه وانها حسره وندامه يوم القيامه الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها ٥ وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه

وفي الحديث من ولي من أمر المسلمين شيئاً ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته
فليتبوأ مقعده من النار ٥ وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى عاصم
أن يستعمله على الصدقة فأبى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان وقال ح
يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقذف على جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتفض انتفاضة
فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى العظام فترجع إلى أماكنها
ثم يسائله فإن كان مطيعاً لله تعالى أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وإن
كان عاصياً خرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفاً فقال عمر سمعت
من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال
سلمان إي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفاً في واد يلتهب التهاباً فقال عمر
بيده على جبهته إنا لله وإنا إليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من سلت الله
أنفه وألصق خده بالأرض ٥ وروي أن العباس قال أمرني يا رسول الله فأصيب واسنو
فقال له يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها ألا أحدثكم عن الإمارة
أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة ٥ وروى أبو داود في
السنن جاء رجل إليه فقال يا رسول الله إن أبي عريفاً على الماء وإنه يسألك أن تجعل لي
العرافة من بعده فقال صلى الله عليه وسلم العرفاء في النار ٥ وروى الساجي عن أبي سعيد
الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة الإمام الجائر
وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى
على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤها على رؤوس الأشهاد فإن كان عادلاً نجاه
عدلا

٤٠

الله تعالى بعدله وإن كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل
عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فما يلقى قعر جهنم إلا بنحره وجبينه
وروى معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القاضي ليزل في مزلقة أبعد من
عدن في جهنم ٥ وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض
بين اثنين في تمرة ٥ وروى الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن
سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك ٥ وفي الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليودن أقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا أمروا
على شيء وكم من متخوض في مال الله ومال رسوله له النار غداً ٥ وفي الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة إمام ظالم غشوم
وعالم في الدين مارق عنه ٥ وقال أبو هريرة ما من أمير يؤمر على عشرة إلا جيء به يوم القيامة
مغلولاً لا ينجيه عمله أو يهلكه ٥ وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين
من أشد الناس عذاباً يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذاباً يوم القيامة
من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى
قام عنه جلساؤه ٥ وقال حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة أن يلون أمراء فجرة وقراء
كذبة وأمناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة ٥ وقال عبيد بن عمير ما ازداد
رجل من سلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ولا كثر أتباعه إلا كثرت شياطينه
ولا كثر ماله إلا كثر حسابه ٥ وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة
ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم

فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنه رواه بريده عن النبي صلى الله عليه
وسلم والمصنفون برسالتي في كتبهم حديثا مرفوعا ورواه ابو داود في كتبه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم للقضا فقد ذبح بغير سكين ٥ وقال ابن سيرين
جا صبيان الى عبيده السلماني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم
ولا اتولى حكما ابداه وتخاير غلمان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهم وقال
مثل الحكم ولابد من النظر فيه ٥ وفي اخبار القضاة ان قاضيا قدم الى بلده فجا رجل له
عقل ودين فقال له ايها القاضي ابلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضا
فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان امور المسلمين ضايعة في بلدنا حتى تجبر ما
قال لا قال فاكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد اني لا اطالك مجلسا
ولا اودي عندك شهادة ابداه وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه
ان الملك اذا ملك زهده الله في ماله ورغبه فيما في يد غيره واشرب قلبه الاشفاق
فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب
عمره ومحى ظله حاسبه فاشتد حسابه واقل عفره ٥ وذكر السلطان لاعرابي
فقال والله لين عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الاخره بالعدل وتقليل فان برضوا
من كثير باق وانما تلون الندم حيث لا ينفع الندم ٥ وقال ابو بكر بن ابي مريم حج قوم
فمات صاحب لهم بارض فلاه فلم يجدوا ما فاتاهم رجل فقالوا دلنا على الما قال احلفوا
لي بالله وثلثين يمينا انه لم يكن صراما ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا وانا ادلكم على الما فحلفوا
له بالله وثلثين يمينا فدلهم على الما ثم قالوا اعاونا على غسله قال احلفوا لي بالله وثلثين يمينا
كما تقدم ذكره فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصلي عليه قال لا حتى تحلفوا لي

اربعا وثلثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا وكانوا
يرون انه الخضر عليه السلام ٥ وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيامه رجل قتل نبيا او قتله نبي وامام ضلاله وممثل من الممثلين ٥ وقال
ابو ذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم سته ايام اعقل يا ابا ذر ما اقول لك ثم لما كان
في اليوم السابع قال لي اوصيك بتقوى الله في امر سرك وعلانيتك واذا اسات فاحسن
ولا تسلن احدا وان سقط سوطك ولا تومن امانه ولا تولين يتيما ولا تقضين بين اثنين
وقال ابو ذر ايضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر احب لك ما احب
لنفسي واني اراك ضعيفا فلا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ٥ وروى ابو ذر ايضا قلت
يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر انك ضعيف وانها
امانه وانها يوم القيمه خزي وندامه الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها ٥ وروى
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا حديث
السن فقلت يا رسول الله انك تبعثني الى قوم شيوخ ذوو اسنان ولا علم لي بالقضا
فقال ان الله سبحانه هاد قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى
تسمع كلام الاخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضي ٥ **فان قال قايل**
كيف نهى ابا ذر عن القضا وامر عليا بالقضا مع ما فيه من التغرير وما روي ان من قدم
للقضا فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد من حضرته واليمن بمشاهدته وتعلم سننه وشرايع
دينه والتخلق باخلاقه وشيمه وانهما افضل الثلث من يديه والكون بحضرته ومشاهدته
والصلاه خلفه والقضا في غيبته مع البعد عنه ٥ قلنا انما نهى ابا ذر عن القضا
لمعنى فيه لقصوره عن رتبه القضا لما كان ضده في علي من اجتماع شرايط القضا

وتوبته عليه الاتراه قال لابي ذر اني اراك ضعيفا ثم قال في اخره الا من اخذها
بحقها وادى الذي عليه فيها فاستدل النابذ بذلك على ان من استجمعت فيه شرايط
القضا وكان قويا على القيام به لا يدخل تحت النهي ومما يعد ضعفا عن القضا طلبه
اياها اذ المريد لا يدري عواقبه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانه بالجهل فقال تعالى
انا عرضنا الامانه على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا اي ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة امره والدليل
على صحة هذا التاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثه اثنان في النار
وواحد في الجنه رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنه ورجل عرف الحق فلم يقض به
وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار
قلت فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضا احدهما بفسقه وظلمه والاخر بجهله
وقد عابت جمله بني اسرايل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه عابت
ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وانه ليس من بيت المملكة فقال لهم
النبي صلوات الله عليه ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروط الولايات والممالك وانها تفتقر الى العلم الذي به يحكم والى القوه التي بها
ينفذ الاحكام دون ما ظنه بنو اسرايل واما قولك ايهما افضل القضا في
غيبته او الحضور بين يديه والكون في حضرته فالجواب ان امره فرض يعصي تاركه
والكون في حضرته مستحب بعد الهجرة لا يعصي تاركه فعلمنا بهذا انه انما بعث عليها
للقضا لانه افضل من سكناه بحضرته لانه مبلغ عنه الى الخلايق شريعته التي بعثه الله تعالى
بها فهو خليفته في ذلك يدل عليه انه اوجب الجنه لمن قضى بالحق والله اعلم

الباب الرابع

في بيان معرفة ملك سليمن بن داود عليهما السلم

ووجه طلبه الملك وسواله الا يوتاه احد من بعده ونفي البخل عنه فان قال
قايل اليس سليمن بن داود عليهما السلم قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ثم زاد
على ذلك بان لا يوتى مثله احد من بعده وظاهره يوذن بالبخل والكلام على هذه الايه
من وجوه احدها انه انما سال هذا بعد ان سلبه ملكه ثم اعاده اليه فحين طلب الملك ربه تعالى
كان ملكا فكانه قال هذا الملك الذي جددته لي هبه لي على صفات لا اعصيك
فيه فتسلبنيه وتعاقبني يدل عليه انه بدا بالمغفره فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي اي ملكا لا اعصيك فيه فتاخذه مني والدليل على صحة هذا
قوله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب دعاه فقال تصرف
كيف شيت فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعة عليك
وهذا تخصيص لسليمن بن داود عليهما السلم ولم يخص بها احدا من ولد ادم صلى الله عليه وسلم
سواه لان الله تعالى قال للخلايق فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون والثاني
فيصير قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فقال عطا معناه لا تسلبه حياتي عمري فيصير لغيري
كما سلبته فيما مضى من عمري وقيل لا تسلط علي فيه شيطانا مثل الذي سلطت
علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفره وقبول التوبه فاجيب الى ذلك فعلم
لنبوته انه قد غفر له وقيل انما سال ذلك ايه لنبوته وعلما على معجزته وقال مقاتل كان
سليمن بن داود ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير
يدل عليه ما بعده وهو قوله فسخرنا له الريح الى اخر الايه وقيل ان سليمن كان

ملكه في خاتمه ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدي
يعني اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه احد غيري فان ابليس لما اخذ خاتم
سليمن تحول ملك سليمن الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرايل
احكامه وكان قد القي عليه شبهه ٥ وقال عمرو بن عثمن المكي انما اراد به ملك
النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سليمن الشعباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان رايتم سليمن وما اتاه الله من ملكه لم يرفع طرفه الى السما تخشعا لله تعالى
حتى قبضه الله تعالى ٥ وزاد غيره انه لما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يغتر بالمملكة
ولهذا قدم سوال المغفره على طلب المملكة ٥ وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى لا يسقر
لادم اي من ابليس وذريته حيث كان سببا في اخراجه وذريته من الجنه ٥ وروى البخاري
في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن جعل يتقلب على البارحه
ليقطع على صلاتي وان الله تعالى امكنني منه فذعته ولقد هممت ان اربطه الى
ساريه من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه كلكم فذكرت قول سليمن عليه
السلم هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسيا ٥ فان قيل فما معنى
قول يوسف عليه السلم اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قلت يستفاد من
الايه ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره او امه لا يعرفون فضله وخاف على نفسه
او اراد ابراز فضله جاز له ان ينبههم على مكانه ومحسنه دفعا للشر عن نفسه
واظهار الفضل يجعل في مكانه ٥ وفيه فايده اخرى وهو انه اذا راى الامور
في يد الخونه واللصوص ومن لا يودي الامانه ويعلم من نفسه اذا الامانه مع الكفايه
جاز ان ينبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلما من اصحاب
الشافعي

الشافعي من كملت فيه الات الاجتهاد وشروط القضا جاز ان ينبه السلطان
على مكانه ويخطب خطبه القضاه وقال بعضهم يجب ذلك عليه اذا كان الامر
في يدي من لا يقوم به ٥

الباب الخامس
في فضل الولاه والقضاه اذا عدلوا ٥

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان
الله اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم
لاهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر
لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان
فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان
قيام الناس به فيكون فضله على الظالم كف يده وفضله على المظلوم امانه وكف يد الظالم
عنه ٥ وروى ابو هريره رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلث لا ترد
دعوتهم الامام العادل والصايم حتى يفطر ودعوه المظلوم ٥ وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال سبعه يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل
وشاب نشا في عباده الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله
اجتمعا عليه وتفرقا ورجل تصدق بصدقه فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
يمينه ورجل دعته امراه ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل ذكر
الله خاليا ففاضت عيناه ٥ وروى كثير بن مره قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
السلطان ظل الله في ارضه ياوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر
وعلى الرعيه الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعيه الصبر ٥ وروي ابو هريره

يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمل الامام العادل يوما في رعيته افضل
من عبادة العابد في اهله مائة سنة او خمسين سنة ٥ وقال قيس بن سعد
ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة ٥ وقال مسروق لان
اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزو سنة في سبيل الله ٥ وروي ان سعد بن ابي
ابرهيم وابا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان
قال لسعيد بن سليمن بن زيد بن ثابت لقضا يوم بالحق افضل عند الله من صلاة عمرك
وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما قالته الرعيه من الصلاح بالسلطان
واعلم ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واعلاها قدرا واشرفها منزلة وان السلطان
صلاح الانسان اذ فهو من اعز علائق الدنيا واعمها بركة لذلك خلق الله تعالى دارين
دار الدنيا ودار الاخرة ثم كان السلطان العادل صلاح الدارين فاختص بعموم نفعه
العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والاخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما
كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه للبلاد
عميما وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة الا ترى
ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اعم خلق الله نفعا فهم اجل خلق الله قدرا لانهم
تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في
الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلق ودعائهم الى فنا الرحمن واقامة بينهم
وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب
فاتخذ قدر السلطان عندك حجة الله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما تنفعك وليس نفعه
مقصور على عاجل من حطام الدنيا يجول لنا بها ويسكت ولكن صيانته حرمتك وحفظ حريمك

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا رواه مسلم

السلطان ح

الامام ح

وحراسة مالك عن البغاة اعم نفع لك ان عقلته وليس لله في الارض سلطان الا
وقد اخذ عليه بشرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان كما انه
ليس فوق رتبة العادل رتبة السلطان المشتهر [لشره] الجابر رتبة لان شره يعم كما ان
خير الاول يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح العباد والبلاد وينال الزلفى الى
الله تعالى والفوز بجنته كذلك الجاير تفسد البلاد والعباد وتكثر المعاصي
والاثام وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته
واقاموا الوزن بالحق وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل ودرست
رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسلت السما غيثها واخرجت الارض بركاتها
ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت انعامهم فدرت ارزاقهم ورخصت اسعارهم
وامتلت اوعيتهم فواسى البخيل وافضل الكرم وقضيت الحقوق واعيرت المواعين
وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام بكثرته وذل بعد عزته فما سد على
الناس مرواتهم وانحفظت عليهم اديانهم وبهذا يتبين لك ان الوالي ماجور على ما يتعاطاه
من اقامة العدل وماجور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جار السلطان انتشر الجور
في البلاد وعم العباد فرقت اديانهم واضمحلت مرواتهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت
اماناتهم ضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا
المكيال والميزان وجوزوا البهرج فرفعت منهم البركه وامسكت السما غيثها ولم
تخرج الارض ريعها ونباتها فقل في ايديهم الحطام فقنطوا وامسكوا الفضل الموجود
وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا
ايديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت فيهم

الايمان الكاذبة والحيل في البيع والخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضا والا
ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحيا فيظل احدهم عاريا من محاسن دينه
متجردا عن جلباب مروته واكبر همه قوت يومه واعظم مسراته اكله من هذا الحطام
وان عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظهرها ٥ قال وهب بن منبه اذا هم الوالي
بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شي
واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك ٥ وقال عمر بن
عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم
الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة ٥ قال الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه ٥ قال
سفين الثوري لابي جعفر المنصور اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الرعية قال ومن هو قال الامة
انت ٥ وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا بمكانه
فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلثين بقرة فعجب الملك لذلك
وحدث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال
له الملك ما بال حلابها نقص ارعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ملكنا هم باخذها
فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه
في نفسه الا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لاعدلن
ما بقيت ٥ ومن المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب
الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على اخذها منها ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت
نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال فقالت هو

الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على اخذها مني فارتفعت بركتها فتاب
٤٥ السلطان واخلص لله نيته الا ياخذها ابدا ثم امرها فعصرت قصبة فجا ملو القدح
وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل
عشرة ارادب تمرا لم يكن في الزمان نخلة تحمل عشرة ارادب غيرها فغصبها السلطان فلم
تحمل في ذلك العام شيا ولا تمرة واحدة ٥ قال شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من
اشياخ الصعيد اعرف هذه النخلة في العرسة تحمل عشرة ارادب ستين ويبة وكان صاحبها
يبيعها في سنين الغلا كل ويبة بدينار ٥ قال الشيخ رضي الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية
والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك تغلي فيه الكثرة وتصيده الاطفال بالخرق
ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة
بعد الواحدة الى يومنا هذا وهكذا تتعدى اسرار الملوك وعزايمهم ومكنون ضمايرهم الى
الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر ٥ وروى اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان
الناس اذا اصبحوا في زمن الحجاج تلاقوا يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن
قطع في امثال ذلك ٥ وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون
في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ٥ ولما ولي سليمن بن
عبد الملك وكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الرفيعة ويتوسعون
في الانكحة والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ٥ ولما ولي عمر بن عبد العزيز
كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القران وكم وردك في كل ليلة وكم يحفظ فلان
ومتى يختم وكم يصوم من الشهر في امثال ذلك ٥ والله الموفق

الباب السادس

في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن

وخاسر غير رابح ٥ اعلموا ارشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة
وقد تطرقه من الافات ويحتويه من الامور المهلكات ما يجب على كل ذي لب
ان يستعيذ بالله تعالى مما حمّله ويشكره على ما عصمه لا يهدي فكره ولا يسكن
خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستهز به الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم
فالرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته واباله
صنعته وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل مملكته وكلما رتق
فتقا من حواشي مملكته انفتق اخر وكلما رم منها شعثا رث اخر وكلما قمع عدوا
ارصد له اعدا الى ساير ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماتهم ونصب
الولاه والقضاه وبعث الجيوش وسد الثغور واستجبا الاموال ودفع المظالم
ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحده وانما يبرز من الدنيا قوتها مثل ما يبرز احاد الرعايا
ثم يسل غدا عن جميعهم ولا يسلون عنه فيالله ويا للعجب من رجل رضي ان ينال رغيفا
ويحاسب منها على الالف الالف ويأكل في معا واحد ويحاسب على الالف الالف معا ويتنعم
بنفس واحده ويحاسب على الالف الالف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع احواله
يحمل اثقالهم ويريح اسرارهم ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مساويهم
ومناصبهم ويعصي ربه فيهم ويخالف امره ويركب نهيه من اجلهم ويقتحم حرائم جهنم
على بصيرة فيهم ثم يجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه
لم يرض عاقل بهذه المنزله ولا اختار لبيب مرتبه وكلما ذكرته في هذا الباب
احكمه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة فقال لكم ولامرايكم صفوة امرهم

وعليهم كدره ٥ ومثال السلطان مع الرعيه كالطباخ مع الاكله له العنا
ولهم الهنا وله الحار ولهم القار طلب القوم الراحه فحصلوا على التعب طلب القوم
الراحه والنعيم فاخطوا الصراط المستقيم وعن هذا قال سيد القوم اشقاهم
وفي الحديث ساقي القوم اخرهم شربا ٥ وكان بعض سلاطين العرب يسير يوما وبين يديه
الوزعه اذ نظر الى جماعه من التجار فقال لوزيره احب ان اريك ثلث طوايف طايفه
لهم الدنيا والاخره وطايفه لا دنيا ولا اخره وطايفه دنيا بلا اخره قال وكيف
ذلك ايها الملك فقال اما الذين لهم الدنيا والاخره فهولا التجار يكسبون اقواتهم ويصلون
صلاتهم ولا يوذون احدا واما الذين لا دنيا ولا اخره فهولا الشرط والخدمه الذين بين ايدينا
واما الذين لهم الدنيا بلا اخره فانا وانت وساير السلاطين فحق على جميع الورى ان
يمدوا السلطان بالمناصحات ويخصوه بالدعوات ويعينوه في ساير المحاورات ويكونوا
له اعينا ناظره وايديا باطشه وحصنا واقيه والسنه ناطقه وقلوبا بنصحه
وقوائم بنقله وهيهات منه السلامه واني له بالسلامه ٥ وعن هذا قال بعض السلاطين يوما
لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنه لا يجتمعان ٥ وحدثني رجل له قدر قال ارسل
الي السلطان ان طلق زوجتك وكان قد ارادها بعض اصحابه فابيت في ذلك وراجعت
الرسل غير مره فقال لي ناصح منهم خذ الامر مقبلا فان السلطان لا يخاف في الدنيا عارا
ولا في الاخره نارا فقارفتها ٥ وروي عن بعض الخلفا واظنه عبد الملك انه لما ولي الخلافه
اخذ المصحف ووضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ٥ ولما حج هرون الرشيد
لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال لبيك يا عم قال كم ترى
ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله تعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم

ابن مروان

يسال

يسل عن خاصة نفسه وانت وحدك تسل عنهم كلهم فانظر كيف تلون
بنا هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال والله ان الرجل
ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرع في مال المسلمين وهو يقال
ان هرون الرشيد كان يقول والله اني لاحب ان احج في كل سنة ما يمنعني
الا رجل من ولد عمر يسمعني ما اكره ه وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب
القديمة يقول الله تعالى من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن
اغر ممن اغتر بي ايا راعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم
وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم
تاوي الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك ه

الباب السابع
في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض

اعلموا ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد
جزيلة لان الله سبحانه جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان
مثل النون في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر — النون الحوت
ولم يستقم لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض
ما كان لله في اهل الارض من حاجة ه ومن الحكم التي في اقامة السلطان انه من حجج
الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه لا يمكن استقامة امر العالم واعتداله
بغير مدبر يتفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكم ودقائق الصنعة
الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان

في بلد واحد لا يستقيم الاعان للعالم والعالم باسره في سلطان الله تعالى
كالبلد الواحد في يد سلطان الارض ولهذا قال علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة
وهما الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالانفراد به
ومثال السلطان القاهر لرعيته ورعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير
وحوله فيام من الخلق يعالجون صنايعهم فبينا هم كذلك طفي السراج فقبضوا ايديهم
للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش الهوام الخسيس
فدبت العقرب من مكمنها وفسقت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجا اللص بحيلته
وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك
السلطان اذا كان قاهرا لرعيته وكانت المنفعة به عامة وكذلك الدما في اهبها
محقونه والحرم في خدورهن مصونه والاسواق عامره والاموال محروسه والحيوان
الفاضل ظاهر والمنافق خامله والحيوان الشرير من اهل الفسوق والدعاره خامل واذا
اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم السلطان حولا في كفة
ثم جعل فساد الرعية وتظالمهم وهرجهم في ساعة اذا اختل امر السلطان في كفة
كان هرج ساعة اعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان
او ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق اهل العياره والسوقه
والناهبه واللصوص ه قال الفضيل جور ستين سنة خير من هرج سنة ولا يتمنى زوال
السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية — بحفظه
ان ترغب الى الله تعالى في صلاح السلطان وان يبذل له نصحه ويصالح دعائه

فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده فساد العباد والبلاد
وكان العلما يقولون ان استقامت لكم امور المسلمين فاكثروا واحمدوا الله تعالى
وشكره وان جاكم منه ما تكرهونه وتجهونه الي ما تستوجبونه بذنوبكم
وتستحقونه بآثامكم واتهموا اعدا السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما
كابده من ضبط جوانب المملكة واستيلاف الاعدا وارضا الاوليا وقلة الناصح
وكثرة المدلس والطامع وفي كتاب التاج همومر الناس صغار وهمم الملوك
كبار والباب الملوك مشغولة بكل شي والباب السوقه مشغولة بايسر شي والجاهل
منهم يعذر نفسه عند ما هو عليه من الرسلة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من
المونة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكما العجم لا توطن
الا بلدا فيها سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قايمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن
في منافع السلطان ومضاره

وقالت حكما العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث
الذي هو سقيا الله تعالى وبركات السما وحياة الارض ومن عليها وقد يتاذى به المسافر
ويتداعى له البنيان ويكون فيه الصواعق وتدر سيوله فيهلك الناس والدواب والذخاير
ويموج له البحر فتشتد بليته على اهله فلا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى اثار رحمة الله
في الارض التي احيا والنبات الذي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظموا
نعمه ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق ومثاله
ايضا مثال الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب

وجعلها لنا حياة للثمرات وروحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري
بها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحار فلكهم وقد تضر بكثير من الناس
في بريهم وبحرهم وتخلص الى انفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتاذى بها كثير من الناس
فلا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عباده وتمام نعمته ومثاله ايضا مثال الشتا
والصيف الذي جعل الله تعالى حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب
والثمر يجمعهما البر باذن الله تعالى ويخرجهما الحر باذن الله تعالى فينضج على عدد كل
الى غير ذلك وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسمومهما وزمهريرهما وهما مع ذلك
لا ينسبان الا الى الصلاح والخير وقد عم صلاحهما اذيتهما ومثاله ايضا مثال الليل
الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له اخو
القفر ويسارع فيه اهل الدعارة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه
الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم ولا تذر
صغير ضرره بكبير نفعه ومثاله ايضا مثال السحاب الرياح التي يرسلها الله تعالى
نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب وجعلها لنا حياة للثمرات النهار الذي جعله
الله تعالى ضيا ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد يكون فيه الحروب والغارات
والتعب والنصب والشخوص والخصومات فيستريح الخلق الى الليل ثم لم ينس العباد نعم
الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من امور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما
فهو نعمة عامة وكل شي يكون نفعه خاصا فهو بلا عام ولو كانت نعم الدنيا
صفوا من غير كدر وميسورا من غير معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها
ولا نصب وقال الشاعر لا تمدح شيا خالصا نفعه فالغيث لا يخلو من العيث

الباب التاسع
في معرفة منزلة السلطان من الرعية

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح
من الكدر سرت الى الجوارح بسلامة وجرت في جميع اجزا الجسد فامن الجسد من الغير
فاستقامت الجوارح والحواس فانتظم امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها
فيا ويح الجسد فيسري الى الحواس والجوارح كدره فيخرجه عن الاعتدال فياخذ كل
عضو وحاسة بقسطه من الفساد فمرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد
وجرى الى الفساد ومثال السلطان ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما
كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منها معوجا احتاج الى النار
ليقام اوده وتعدل عوجه فان افرط النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده
وان قصر النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فبقي معوجا واذا كانت النار معتدلة
اعتدل الخشب كذلك السلطان في الحرارة وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا
ومثاله ايضا مثال عين جارية في الارض الخوارة فان صح مشربه وعذب طعمه وسلم
من الكدر والفساد اوصافه تخللت في الارض فاتلقته صافيا صرفا ثم شربته عروق
الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظ سوقها وفرعت اغصانها وامتدت افنانها
ثم اخرجت اوراقها وابرزت ازهارها ثم فرقت ثمارها نضجات على اتم طبيعتها كبرا وطعما
ولونا ورايحة فتقوت بها العباد واكلت حظوظها البهايم والحشرات وسقط عليها
الطير فاحرز منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يرق
عن الانبات والنفع وتكدي عن الزكا والربع او كان فيه من الشجر ما يبرح حمله ويقل

كل

٤٩

ريعه اعطي كل ذلك الغاية من نفسه واطلع على ما في فواده ولم يغادر ممكنا
الا وفاه وان كان في العين كدر او فساد او ملح شربته الاشجار كذلك فيفسد
مزاجها واضر الجز الفاسد بالطيب فدقت سوقها وطنت اغصانها وتغيرت اوراقها
وقلت ازهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجات الثمرة وبين نزر
قدرها ردي طعمها كاسف لونها فدخل بذلك النقص على جميع الحيوان مثل
ما دخل من المنافع عليهم في الاولى ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الحشرات لتموت في جحرها هزلا بذنب ابن ادم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض
حبست السما غيثها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والبهايم

الباب العاشر
في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والسلطان

وهي خلة اللين وترك الفظاظة والمشاورة ولين لا يستعمل على الاعمال
والولايات راغب فيها ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيها من انتظام الملك
الامر نص عليها الله سبحانه ورسوله واعلم ان هذه الخصال من اساس المملكة
وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السما وواحدة قالها الرسول صلى الله
عليه وسلم اما اللالهية فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر
وفي الاية اشارتان احداهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلسا وتفرق الجموع والحشم
وانما الملك ملك بجلسايه واصحابه وحشمه واتباعه والحق بخصلة سفرا الاوليا
ان تطمع الاعدا فيمن يكل سلطان رفضها والاحتراز من سو مغبتها ولهذا كما قال

فها

الثالث

الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين ٥ وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان جالسا مع اصحابه فجا رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا
الابيض المتكي فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجبتك دل الاثر على انه لم يكن اساطين يشرف المجلس ولا بابهم بزي ولا مقعد وقد
يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح مع هول اصواتها فتدخلها الشجر وتعطف
الافنان والاغصان من اصلها وفي الفرط تكسر الاغصان وانما لينه في اصول الشجر
تقلعها من اصلها وان كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام
حتى يستعطف فحح فالانسان احرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق فاذا
اردت ممن يثني اليك مخافة بكل كلمة سوقا لها كلمة جميلة وحسن ثنا عليه والاشاره
الثانيه انه قال تعالى وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم
وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا امرا دونه ٥ قلنا هذا ادب ادب الله سبحانه
نبيه عليه السلم به وجعله ما دبه لساير الملوك والامرا والسلاطين لما علم الله تعالى
ما في المشاوره من حسن الادب مع الجليس ومسامحته في الامور فان نفوس الجلسا والنصحا
والوزرا تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة من يهديه شرعة لنبيه عليه السلم ولذي
الاثر من امثل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
في غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا بامر فسمع
وطاعة وان يكن غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ارتحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا او سوقة الاستبداد بالراي
وترك المشاوره وسنعقد للمشاوره بابا ان شا الله تعالى ٥ والخصلة الثانية

مارو

ما روى البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا لا نستعمل على عملنا من اراده والسر فيه ان الولايات امانات
وتصرف في ارواح الخلايق واموالهم والتسرع الى الامانة دليل الخيانة وانما يخطبها من يريد
اكلها واذا اوتمن خاين على موضع الامانات كان كمن استرعى الذيب على الغنم
ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم واكلت
اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعا والشكي وذكروا ساير الملوك بالعدل
والاحسان وكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه اولا ٥

وراعي الشا يحمي الذيب عنها ... فكيف اذا الذياب لها رعا

واذا خان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقيل ايضا

ذيب تراه مصليا ... واذا مررت به ركع
يدعو وجل دعايه ... ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلى ... ان الفواد قد انقطع

ومن اشراط الساعة

التصدي للامانة وخطبة الولاية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من اشراط الساعة ان تكون الزكوة مغرما والامانة مغنما فحينئذ يدعوا عليه
الضعيف واهل الصلاح ويقعد له بالمرصاد الشرير ويتامر عليه الغوي ويقبح
ثناوه عند الجماعة ويتمنوا الراحة منه وينظرون من يصلح لها سواه ٥

الباب الحادي عشر

في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولاثبات له دونها

فاول الخصال واحقها بالرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول واس

كل مملكة سوا كانت نبوية او اصطلاحية ه اعلم ارشدك الله ان
الله تعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب
الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاي ذي
القربى فلو وسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد
على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله في الارض الذي
يوخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعيه فقط
بل بين السلطان والرعيه ايضا فمن ازال ميزان الله الذي وضعه من القيام بالقسط
فقد تعرض لسخط الله ه واعلم ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فراسه انت
وقلبه وزيرك ويداه اعوانك ورجلاه رعيتك وزوجه عدلك وما بقا جسد
بلا روح واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعيه ثلثة انفس كبير وصغير
ووسط فاجعل كبيرهم ابا واوسطهم اخا وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم
اخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله تعالى وكرامته ورحمته
واعلم ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه
عدل الملك حيوة رعيته ه وفي منثور الحكم سلطان جاير اربعين عاما خير من
رعيه مهمله ساعة واحدة من النهار ه اذا عدل الملك فيما قرب منه صلح له ما
بعد عنه فضل الملوك في الاعطا وشرفها في العفو وعزها في العدل ه عند السلطان
ثلثة اشيا مشاوره النصحا وثبات الاعوان واقامة سوق العدل ه افضل
الا... ازمنه ايمه العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الهي جات به الرسل
والانبيا عليهم السلم عن الله تعالى والثانيه ما يثبته العدل وهو السياسة

٥١

الاصطلاحية التي هرم عليها الكبير ونشا عليها الصغير وبعد ان تنفي سلطان
او تستقيم رعيه في حال ايمان او كفر بلا عمل قايم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك
مما لا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا في اول الكتاب ان سليمن بن داود عليه السلم سلب ملكه
حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصه بسليمن فقال في نفسه وددت
ان يكون الحق لصاحبي فاقضي لهم فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه
فاجعل العدل راس سياستك تسقط عنك جميع الافات المفسده للسياسه وتتم
الى جميع الشرايط التي بها تقوم بها المملكة قال امير المومنين علي بن ابي طالب رضوان الله
عليه وسلامه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان
ظلوم خير من فتنه تدوم ه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا كان الامام عادلا فله
الاجر وعليك الشكر وان كان جايرا فعليه الوزر وعليك الصبر ه وقال سليمن بن داود
عليهما السلم الرحمه والعدل حرز ان الملك ه واتفق حكما العرب والعجم على ما بينه
الحكمات فقالوا الملك بنا والجند اساسه واذا قوي الاساس دام البنا وان ضعف الاساس
انهار البنا فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجبايه ولا جبايه الا بعماره
ولا عماره الا بعدل فصار العدل اساسا لساير الاساسات فاما العدل النبوي
فجمله القول فيه ان يجمع السلطان الى نفسه حمله العلم الذين هم حفاظه ورعاته
وفقهاوه وهم الادلا على الله والقايمون بامر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد
الله ه روى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحه ان الدين
النصيحه ان الدين النصيحه قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمه المسلمين
وعامتهم فلتخذ ايها الملك العلما شعارا والصالحين دثارا فتدور المملكه بين نصايح

العلماء ودعوات الصلحاء والخلق بممالكه تذود بين هاتين الحالتين ان تقوم عماده
ويطول امده وكيف لا وقد قرنهم الله في سلطانه واصطفاهم لخاصة معرفته
فقال جل من قائل شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باولي العلم وهم ورثة الانبياء والموقعون عن الله تعالى
لان الانبياء عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففي تعظيمهم وتقويتهم
امتثال لامر الله سبحانه وتعظيم لمن اثنى الله عليه فيجب ترفيع مجالسهم وتمييز
مواضعهم على من سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وفيه استمالة لقلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته وتوقيره
فواجب على السلطان ان لا يقطع امرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه في
ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف ه واقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه
مع الله تعالى منزلة ولاته معه اليس اذا خالفه واليه امره وما رسم له من الاحكام
عزله وعاقبه ولم يامن سطوته فاذا امتثل اوامره وازدجر عن زواجره حل عنده
محل الرضا فوا عجبا لم يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف سطوة ربه عليه اذا خالفه
فهذا طريق اقامة العدل الشرعي والسياسة الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الاخروية
اللازمة للتدبير السالمة من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين وكما ان الملك
الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزراء الاخيار كذلك لا يتم عدله الا باستفتاء
العلماء الابرار وقد وقع المامون في قصة متظلم في عمرو بن مسعدة يا عمرو اعمر نعمك
بالعدل فان الجور يهدمها ه وفي اشاعة العدل وقوة القلب وطيب النفس ولزوم
الانس والامان من العدو ه ولما استاذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لم

لم يجد حاجبا ولا بوابا فقيل له هو في المسجد فاتى المسجد فوجده مستلقيا متوسدا
كوما من الحصباء ودرته بين يديه فقال له عدلت فامنت فنمت ه وقال الحسن
رايت عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد جمع الحصباء في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
عند راسه وقد اخذ وضع احدى حاشيتي ردائه عليه وهو يومئذ امير المومنين ما
عنده احد من الناس ودرته بين يديه ه وكتب عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز
ان مدينة حمص قد تهدمت فاحتاجت الى الاصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل
ونق طرقها من الظلم والسلام ه وقالت الحكماء من حرم العدل فلا خير له ولا للناس
في سلطانه ه وقال يحيى بن اكثم ماشيت المامون في بستان والشمس عن
يساري والمامون يظلني في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضا علي فقال تحول مكاني
واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقيك الشمس كما وقيتني
فان اول العدل ان يعدل الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة
السفلى فعزم علي فتحولت ه وكان يقال ليس شيء ابعد من تمام ملك الغاصب وقيل
للاسكندر لو اكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال انما يحيى
الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن لمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء
وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له احصن جنة ومن استشعر حلة العدل
استكمل زينة الفضل ه وقال ابو عبيد بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل
ليسكت الاصوات عن الله تعالى وان الامام الجائر لتكثر منه الشكاة الى الله
تعالى ه وقال الحكيم لا يزال السلطان ممهلا حتى يتخطى الى اركان العمارة ومباني
الشريعة فحينئذ يريح الله تعالى منه وقالوا لولا انصاف الضعفا فيكون من لئام الاقويا

وقالوا الامير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كواد بلا نبات وشباب
بلا توبة كشجر بلا ثمر وغنى بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج
بلا ظلمة وامراة بلا حيا كطعام بلا ملح . وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على
اربع خصال ان الطعام لا يوكل الا بشهوة والمراة لا ينظر الا الى وجهها والملك
لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل واحق الناس بالجاه من انفسهم
على العدل الملوك الذين يعدل لهم من دونهم والذين اذا قالوا فعلوا كان نافذا
غير مرددة . وقال الحكماء ثم ما يثبت بالانصاف فذلك ضمنتم بالظفر
والظلم اذا مشى الى نعمة نعمة وتعجيل نقمة . وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد
الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد ومتى اراد السلطان تعبا لحب
وجميل الذكر فليقم سوق العدل وان احب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده
فليقم سوق العدل وان احبهما جميعا فليقم سوق العدل والذي يخلد به ذكر
الملوك على غابر الدهور عدل واضح او جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا
يجب له اللعنة . **فصل** فاما القسم الثاني من العدل وهو السياسة
الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور فيقوم بها امر الدنيا وكانها تشاكل مراتب
الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوايف في ايام الفرس وكانوا كفارا
يعبدون النيران ويتبعون هواجس الشيطان فتواضعوا بينهم سننا واستنوا
لهم احكاما وقفوا والهم مراتب في النصفة بين الرعايا واستحبوا الحاجات وتوضيح
المكوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجه ما انزل الله بها من سلطان
ولا نصب عليها برهان سيدانه لما جاءت الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه

صاحب

صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم منها ما اقره في نصابه ومنها ما نسخه
وابطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى امر الله تعالى في الحكمة بما انزل الله
تعالى ونبطل ما سواه وكان ملكهم محفوظا مراعا بينهم للقوانين المالوفة بينهم فانقطع
بذلك حبل المهمل وكانوا يقيمون بها واجبا لحقوق ويتعاطون بها ما لهم وما
عليهم ومن هذا يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرايط السياسة الاصطلاحية
ابقى واقوى من السلطان المومن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية
والجور المرتب اقوى من العدل المهمل اذ لا شي اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور
ولا شي افسد له من اهمالها واعلم انه ربما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال الحرف
وان كان عدلا افسد لقلوبهم من عشرة توخذ منها سياسة على نظام معروف
ونظام مالوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر
الا باقامة العدل النبوي او ما يشبهه العدل من الترتيب الاصطلاحي . وقال ابن المقفع
الملوك ثلثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل
المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضي واما الملك
الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي
واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهره . ولقد بلغنا ان ملكا من ملوك الهند
نزل به صمم فاصبح منزعجا مهتما بامر المظلومين لانه لا يسمع استغاثتهم
فامر مناديه ينادي الا يلبس احد في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم . وقال لين منعت
سمعي لم امنع بصري فكان كل من نظلم لبس ثوبا احمر ووقف تحت قصره فيكشف
عن ظلامته . واخبرني شيخنا ابو العباس الحجازي وكان ممن دخل الى الصين

سيره عجيبه غريبه للملوك في سياستهم وذلك ان للبيت الذي يكون فيه
الملك ناقوسا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها امنا
السلطان وحفظه فياتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس
فيامر بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة مسكته تلك الحفظة حتى يدخل

عل السلطان

الباب الثاني عشر
في التحضيض على الخصال التي زعم الملوك انها

ازالت دولتهم وهدمت سلطانهم ٥ ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا
بامور عمالك فان المسي يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك والمحسن يستبشر
بعلمك قبل ان ياتيه ثوابك ٥ وقال ابو جعفر المنصور ما زال امر بني اميه مستقيما
حتى افضى امرهم الى ابنايهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شان الملك وجلاله
قذره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا
منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمه
قال عبد الله بن مروان ومروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو اخر ملوك بني
اميه قتل في ارض مصر في اكره بوصير قال لما زال ملكنا وهربت الى ارض النوبه
فيمن اتبعني من اصحابي فسمع ملك النوبه بخبري فجاني فقعد على الارض ولم يقعد على
فراش افترشته فقلت الا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال لاني ملك وحق على
كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي
محرمه عليكم ولم تطون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة
وتلبسون الحرير والديباج وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا واستعنا

بقوم

بقوم من الاعاجم دخلوا دينا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق
مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم
ما حرم الله عليكم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم
نقمه لم تبلغ غايتها واخاف ان تحل بكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافه
ثلثه ايام فتزودوا ما احتجتم اليه وارحلوا عن بلدي ٥ وسيل بزرجمهر ما بال ملك
الساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان فيه من قوه السلطان وثبات الاركان
فقال ذلك لانهم قلدوا اكبار الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكما موت
الف من العليا اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفله ٥ وفي الامثال زوال الدول
باصطناع السفل ٥ وقال الشافعي اظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر
معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ٥ وسيل بعض الملوك بعد زوال
ملكه ما الذي سلبك ما كنت فيه قال دفع عمل اليوم الى غد والتماس عدة بتضييع
عدد ٥ وسيل ملك بعد ذهاب ملكه ما الذي سلبك ملكك فقال تعطاينا من ابطروا طغى
ودفع عمل اليوم لغده ٥ وسيل بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم فقال شغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فاثروا امرا فيهم علينا
وظلم عمالنا فافسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحه منا وحمل على اهل خراجنا فقل دخلنا
وبطل عطا عبيدنا فزالت الطاعه منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان اعظم
ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا ٥ قالت الحكما اسرع الخصال في هدم السلطان
واعظمها واسرعها في افساده وتفريق الجمع عنه المحاباه لقوم دون قوم وفي الميل الى
قبيله دون قبيله حتى اعلى بحب قبيله فقد برى من جابر وقديما قيل المحاباه مفسده ٥

وقال مهبود الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحسبك خانا وان العدد، وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي اذهب ملككم قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واغفالي استشارتي واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة في وقت حاجتي والتاني عند عجلتي . ولما احيط بمروان الجعدي وهو اخر ملوك بني امية قال يا لهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه بسيل وكان من اولاد اشراف الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر اصابه مثل هذا . وسيل بعض ملوك بني مروان قال تحاسد الاكفا وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد بن عمر كان يحب ان يضع من نصر بن سيار فكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من اخبار خراسان فلما راى ذلك نصر بن سيار قال

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام

وان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها الكلام

فقلت تعجبا يا ليت شعري ايقاظ امية ام نيام

وكان العباسيون يوسسون لدولتهم ولا تصل اخبارهم الى سلطان بني امية حتى استحكم امرهم وضعف امر بني امية . وسيل مروان بن محمد الجعدي وهو اخر ملوك بني امية ما الذي اضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الاركان فقال لاستبدادي براي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار ان امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والرجال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيهات ان ينقض علي خراسان فانقضت دولتي من خراسان .

الباب الثالث عشر

في الصفات الذاتية التي زعم الحكما انها لا تدوم معها

ومن اعجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضايل ويكسبان الرذايل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتادبين وحسبك من رذيلة يمنع من سماع النصح وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من الايتلاف وكل كبر ذكره الله تعالى في القران مقرون بالشرك فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكما تتحامى الكبر وتانف منه قال الشاعر

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ولكن كبرا ان يقال به كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب فقال وددت اني مثلك في ظنك وان اعدايي مثلك في الحقيقة . قالت الحكما وقد يدوم الملك مع معظم النقايص فرب فقير ساد قومه ورب احمق ساد قبيلته منهم الاقرع بن حابس التميمي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحمق المطاع . قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبر بقوله سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعهما من دخول الجنة وقال جل وعز ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق . وقال بعض الحكما ما رايت متكبرا الا تحول داه في نعمي اي اتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن

مقته رجاله لم يستقم حاله ومن ابغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن
كرهه الجماعة تطاولت اليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك
مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث
والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان
الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده
ولا بوعيده ولم يرج خيره ولم يخف شره ولا بها للسلطان لا يرهب وقالت الحكما
خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك والكذب اسقط
الاخلاق واغلب شي على صاحبه واحرى ان لا ينزع عنه لضراوته قيل لاعرابي لم لا تكذب
قال لو تعوذت به ما تركته وهو نوع من الخبث وضرب من الدناءة واصله استعذاب
المنا وهو اضغاث فكر الحمقا ومن بليته انه يحمل صاحبه على صاحبه ذنب غيره فاذا
سمعت كذبه طابعه نسبت اليه

قال الشاعر

حسب الكذوب من الامانة بعض ما يحكى عليه
فاذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

وقال غيره

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

وقال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واما الحسود فانه
اذا كان حسودا لم يشرف احدا فاذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس
الا على اشرافهم

قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه احد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وليس للملك

ان يبخل

٥٦

أن يبخل لان بيوت الاموال في يديه واما الجبن فانه اذا كان جبانا اجترأ عليه
عدوه وضيعت ثغوره واذا كان حديدا عظم عتوا والقدرة من ورائه هلكت
رعيته وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولما دخل اسقف نجران على
مصعب بن الزبير فكلمه بشي اغضبه فضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال الاسقف ان
شا الامير اخبرته بما انزل الله تعالى على عيسى عليه السلم قال لا ينبغي للامام ان يكون سفيها
ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه يلتمس العدل وقال الاوزاعي يهلك الناس بالاعجاب (السلطان)
والاحتجاب فاما الاعجاب فقد ذكرناه واما الاحتجاب فهي احد الخلال في هذه
السلطان واسرعها خرابا للدول لانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الجسد موت
حكمي فيعبث بطانته بارواح الخلائق وحريمهم واموالهم لان الظالم قد امن ان لا يصل المظلوم
الى السلطان ومعظم ما رايناه في اعمارنا وسمعناه عمن سبقنا من دخول الفساد على الملوك
من حجبتهم عن مباشرة الامور ولا يزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم
فاذا احتجب فهنالك سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بالحجاب
والابواب وجعلت دونهم جبالا منيرة وحظاير بالحجارة والماء والطين وباب الله مفتوح (وحظاير)
للسائلين ليس هناك حاجب ولا بواب قال الله تعالى الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا
وقال معوية ليس بين ان يملك السلطان رعيته او تملكه الا الحزم او التواني وكماله امران
شدة في غير افراط ولين في غير امتهان وسئل بزرجمهر اي الملوك احزم فقال من ملك
جده هزله وقهر هواه لبه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن
كيده وقال بعض الحكماء زوال الدول في اصطناع السفل ومن طال عدوانه زال
سلطانه وقالوا من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى بن خالد الحسن

ما وجدت في طور الحلم من البلاغة والبخل والجهل مع التواضع خير من السخا والعلم
مع الكبر فيا لها حسنة غطت على سيئتين ويا لها سيئة غطت على حسنتين

الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان

وقد اتفقت العلما والحكما عليها قالوا ايها الملك ان قصرت قوتك عن عدوك
فتخلق بالأخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها وانها انكا فيه من الغارة الشعواء وقال
معوية لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته
عادلا في قضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب
رفيقا بالضعيف غير محابي للقوي ولا جافي للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والامانة
توجب الطمانينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق
يوجب المودة وسو الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض
يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب المقة والجود يوجب الحمد والبخل
يوجب المذمة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رجا الأعمال والهوينا توجب الحسرة
والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير توجب
بقا النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبلين كنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب
تانس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت
تكون الهيبة وبعدل المنطق تجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال تعظم القدر
وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم عن السفيه تكثر

انصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرم وبتركهما لا تعتبك بهم الفضلة
واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة والفظاظة تخلع صاحبها ثوب القبول ومن
صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم
ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه
ضل ومع العجلة الندامة ومع التاني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط
صديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا اسأت فاندم واذا ندمت
فاقلع واذا افضلت فاكتم واذا منعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم
من بداك بره فقد شغلك بشكره المروات كلها تبع للعقل الرأي تبع للتجربة العقل اصل
اللبيب وثمرته السلامة والتوفيق اصله العقل وثمرته النجح والتوفيق والاجتهاد زوجان
فالاجتهاد سبب والتوفيق ينجح بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والاعمال كلها تبع للقدوة واختار العلما اربع كلمات من اربع كتب
من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القران ومن
يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم والصبر ظفر والمعروف كنز والجهل سفه
والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله اصطناع المعروف
يكسب الحمد اكرموا الجليس يعمر ناديكم الصفو لمن نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق
الدنية فانها تضع الشرف وتهدم المجد نفقة الخامل اهون من جريرته راس العشيرة يحمل
اثقالها واجمعت حكما العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا يطيق ولا تعمل عملا
لا ينفعك ولا تغتر بامراة ولا تثق بمال وان كثر

الباب الخامس عشر في بيان ما يعتز به السلطان وهي الطاعة

قال ملك فارس لموبذان موبذ ما شي واحد يعز به السلطان قال الطاعه
قال فما ملاك الطاعه قال التودد الى الخاصه والعدل على العامه قال صدقت
الامانه معقل الطاعه والطاعه رتبه الملك ٥ وكان يقال طاعه السلطان
على اربعه اوجه على الرغبه والرهبه والمحبه والخوف لديانه ٥ ولما دخل سعد العشيره
على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدله شايعه ومهيبه
وازعه ورعيه طايعه فان في العدل حياه الانام وفي الهيبه نفي الظلام وفي
طاعه الرعيه التالف والالتيام طاعه الايمه فرض على الرعيه طاعه السلطان
مقرونه بطاعه الله اتقوا الله حقه والسلطان بطاعته من اجلال الله اجلال
السلطان عادلا كان او جايرا ٥ الطاعه تولف شمل الدين وتنظم امور المسلمين
عصيان الايمه تهدم اركان المله اولى الناس بطاعه السلطان ومناصحه
اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا يكون النعم والحرم
محفوظه الا به الطاعه ملاك الدين الطاعه معاقل السلامه وارفع منازل
السعاده الطريقه المثلى والعروه الوثقى قوام الامه وقيام السنه بطاعه الايمه
الطاعه عصمه من كل فتنه ونجاه من كل شبهه طاعه الايمه عصمه لمن
لجا اليها وحرز لمن دخل فيها ليس للرعيه ان تعترض على الايمه في تدبيرها وان سولت
لها انفسها بل عليها الانقياد وعلى الايمه الاجتهاد بالطاعه تقوم الحدود وتودي
الفرايض وتحقن الدما وتامن السبل الامامه عصمه للعباد وحياه للبلاد
اوجب الله لمن خصه بفضلها وحمله عبا وسام الطاعه فقرن طاعته وطاعه
رسوله فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

طا

٥٨

طاعه الايمه هدى لمن استضا بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من طاعه
منقطع العصمه بري من الذمه مبدل بالكفر النعمه طاعه الايمه حبل الله المتين
ودينه القويم وجنته الواقيه اياكم والخروج عن انس الطاعه الى وحشه المعصيه
ولا تسروا غش الايمه وعليكم بالاخلاص والنصيحه ما مشى قوم الى سلطان ليذلوه
الا اذلهم الله قبل ان يموتوا الطاعه مقرونه بالمحبه طاعه المحبه افضل من طاعه
الهيبه للرعيه على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيره فيهم
والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعه والاستقامه والشكر
والمحبه بالرعيه من الحاجه الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجه اليهم لولا الرعاه هلكت
الرعيه ولولا المسيم هلك السوام ٥

الباب السادس عشر
في ملاك امور السلطان

قال سليمن بن داود عليهما السلم الرحمه والعدل يحوزان الملك ٥ وقال زياد
ملاك السلطان ثلثه اشيا الشده على المذنب والمجازاه للمحسن وصدق القول
ولما غزا سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب بلاده وقتل جنوده وافنى
بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت واحرقت فاخبرني ما الامر الذي
نسبت به حتى قويت على ما ارى وبلغت في السياسه ما لم يبلغه ملك فان
كان مما تضبط الامر بمثله اديت اليك الخراج وصرت كبعض الرعيه في الطاعه
لك قال له سابور اني لم ازد في السياسه على ثمان خصال لم اهزل في وعد ولا
وعيد ووليت اهل الكفايه واثبت على الغنا لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب

واودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراه والهيبة من غير ضغينة وعممت
بالقوت ومنعت الفضول فادعن له وادى اليه الخراج ٥ وكتب الوليد الى
الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقظت راى وامت هواي وادنيت
السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج الموفر
لامانته وقسمت لكل خصيم من نفسي قسما اعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي
وصرفت السيف الى البطر المسيء فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن
بحظه من الثواب ٥ وقال ابو عبيده اذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من ان يعرف
ما في نفسه متخيرا للوزرا مهيبا في انفس العامة مكافيا بحسن البلا لا تخافه البري ولا
يامنه المجرم كان خليقا لبقا ملكه ٥

الباب السابع عشر
في خير السلطان وشر السلطان

افضل الملك من كان شركة بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطه ليس احد احق
به من احد لا يطمع القوي في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله كان النبي صلى
الله عليه وسلم ياخذ بيد الامة من اما المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى
تقضي حاجتها ٥ وفي حكم الهند افضل السلطان من امنه البري وخافه المجرم
وشر السلطان من خافه البري وامنه المجرم ٥ وقال عمر للمغيرة لما ولاه الكوفة
يا مغيرة ليامنك الابرار وليخفك الفجار ٥ وفي حكم الهند ايضا شر المال ما لا ينفق
منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان ما خافه البري وشر البلاد ما ليس فيه
خصب ولا امن وخير السلطان من اشبه النسر حوله الجيف لا من اشبه الجيفة

حولها

حولها النسور ٥ وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من
سلطان يخافها وفي الامثال للعامة رسبون خير من رحموت ٥ وكان يقال
شر خصال الملوك الجبن عن الاعدا والقسوة على الضعفا والبخل عند الاعطا ٥ وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لله من الفواقير جار مقيم ان راى حسنة سترها
وان راى سيئة اذاعها وامراة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها لم تامنها
وسلطان ان احسنت اليه لم يحمدك وان اسات قتلك ٥ وقال رجل لبعض العلما
متى اضل وانا اعلم فقال اذا املكتك امرا ان اطعتهم اذلوك وان عصيتهم قتلوك
وقال ابو حازم لسليمن بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده اتى به ٥ وفي
كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروة عنده
نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناة في افاق الارض ٥ وسمع زياد رجلا يذم
الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان ٥ وقال
معوية لابن المنذر صف لي الزمان فقال انت الزمان ان تصلح نصلح وان تفسد نفسد
والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكما
ان حق الناس ان يحذروا العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر
وقال بزرجمهر ادوم التعب صحبة السلطان السيي الخليقة ٥ وقال بعض الحكما
اذا ابليت بصحبة السلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت بين خيرتين ليس
منهما خيار اما الميل مع الوالي على الرعية فهو هلاك الدنيا والاخرة والا الموت
او الهرب منه ٥ وما لوا الملك العادل كالنهر الجاري الصافي ينتفع به الاشجار والاحجار
ولا يضر احدا والملك السو مثل الجيفة يسرع اليها شرار الحيوان ويتحاماها الناس

الباب الثامن عشر

في منزلة السلطان من القرآن

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن
وقال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب
والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس
الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض ٥ وقال ازدشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان
لا غنا لاحدهما عن الاخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما
لم يكن له حارس فضايع يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد
وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك وليكن من اهل العقل وكان
يقال الدين والسلطان توامان ٥

الباب التاسع وعشر

في خصال جامعة لامر السلطان ٥

قالوا ظفر السلطان بعدوه على حسب عدله في رعيته ومكونه في حروبه على حسب
جودة في عساكره واصلاح الرعيه انفع من كثره الجنود وقالوا تاج الملك عفافه
وحصنه انصافه وصلاحه كفاته وماله رعيته ٥ وقالت حكما الهند لا ظفر
مع بغي ولا صحه مع نهم ولا ثنا مع كبر ولا شرف مع سو ادب ولا بر مع شح
ولا احتناب محرم مع حرص ولا ولايه حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام
ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزاره ولما ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه
خطب فقال ايها الناس انه لا احد اقوى عندي من الظالم حتى اخذ له بحقه
ولا اضعف من الظالم حتى اخذ الحق منه ٥ وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال

٦ باستمالة الاعدا والاحسان الى الاصدقاء ٥ وقال بزرجمهر سوسوا احرار
الناس بمحض المودة والعامه بالرغبه والرهبه والسفلة بالمخافه ٥ وقال الموبذان
ان السياسه التي بها صلاح الملك الرفق بالرعيه واخذ الحق منهم في غير مشقه
وسد الفروج وامن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف
وقالوا الوالي من الرعيه كالروح من الجسد لا حيوة له الا به وكالراس من الجسد
لا بقا له الا به وبعد الوالي من اصلاح الرعيه مع افساد نفسه كبعد الجسد من البقا
بعد ذهاب الراس والسلطان حقيق ان يعود نفسه الصبر على من خالف رايه من ذوي
النصيحه والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغي ان يحسد الولاه الا على حسن التدبير ولا ان يكذب
لان احدا لا يقدر على ان يستكرهه ولا ان يغضب لان الغضب والقدره لقاح الشر
والندامه ولا ان يبخل لانه اقل الناس خوفا من الفقر ولا ان يحقد لان قدرته جلت عن المجازاة
ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سيفه فيما يكفي فيه السوط ولا سوطه فيما يكتفي فيه
بالحبس ولا حبسه فيما يكتفي فيه بالجفا والوعيد ٥ وقال معويه اني لا اضع سيفي
حيث يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس
شعره ما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها ونحو ذلك قال الشعبي
كان معويه كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالمشي لا يضع يده الا حيث
تبصر عينه وينبغي له ان يعلم رعيته انه لا يصاب خيره الا بالمعونه على الخير ولا ينبغي
له ان يدع تفقد الرعيه اتكالا منه على نظره في جسيمها فان اللطيف مرو ينفع
به وقد اتانا الله داود عليه السلام ثم تفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد لان
التهاون باليسير اساس الوقوع في الكثير وقد قال الشاعر

لا تحقرن سببا كم جر شرا سبب

وقالوا اصل الاشيا كلها واحد ولابدع مباشره جسيم امر فللجسيم موضع ان
غفل عنه تفاقم الامر ولا يلزم نفسه مباشره الصغير ابدا فيضيع الكبير وقال
زياد لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك عن اربع المودن للصلاه وصاحب الطعام
فان الطعام اذا اعيد تسخينه فسد وصاحب الليل لشي ماه وصاحب البريد فالتهاون
بالبريد ساعة تخرب عمل سنه وكان ابو العباس السفاح يقول لاعملن اللين حتى
لا ينفع الا الشده ولاكرمن من الخاصه ما امنتهم على العامه ولاغمدن سيفي حتى
يسله الحق ولاعطين حتى لا ارى للعطيه موضعا وقال ازدشير لا تكمل مملكه
وابادا اعداه انه الكلم حاكم على العقول كالعبر ولم يحكمها محكم كالتجربه
وليس شي اجمع للعقل من خوف وحاله يتامل بهما صفحات حاله وكان عمر يقول
ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوه في غير عنف وقال
الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها
ويسهل حفظها تكون لاعراضها لفقا ولمقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح
المستعجم قلت نعم يا امير المومنين دخل اكتم بن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له
اني سايلك عن اشيا لا تزال الصدور تختلجه وما تزال الشكوك عليها والجه فانبيني بما
عندك فيها فقال ابيت اللعن سالت خبيرا واستنبات بصيرا والجواب بشفعه الصواب
فسل عما بدالك قال فما السودد قال اصطناع المعروف عند العشيره واحتمال
الجريره قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما المجد قال حمل المغارم
وابتنا المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخا في الشده والرخا قال فما العز قال شده

العضد وبذل العدد قال فما السماحه قال بذل النايل وحب السايل قال فما الغنى
قال الرضى بما يكفي وقله التمني قال وما الراي قال لب تعينه تجربه قال له اوربت
زناد بصيرتي واذكيت نار خبرتي فاحكم قال لكل كلمه حكمه قال بك لك قال
الاصمعي فقال لي الرشيد ولك لكل كلمه بدره فانصرفت بثمانين الفا وكان قس
بن ساعده يفد على قيصر ويكرمه فقال له يوما ما افضل العقل قال معرفه الرجل بنفسه
قال فما افضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما افضل المروه قال استبقا الرجل
ماء وجهه قال فما افضل المال قال ما قضي الحقوق

الباب العشرون
في معرفه الخصال التي هي اركان السلطان

قال ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي اربعه لا يكون على بابي اعف
منهم قيل من هم يا امير المومنين قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير
لا يصلح الا باربع قوايم فان نقص قايمه واحده عابه احدهم قاض لا تاخذه في الله لومه
لايم والاخر صاحب شرطه ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي
ولا يظلم الرعيه فاني غني عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابه ثلث مرات يقول في
كل مره اه اه قيل من هو يا امير المومنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هولاء على الصحه وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان نقصت واحده لم يصلح له
امر قوه على جمع المال من ابواب حله ووضعه في حقه وشده لا جبروت فيها ولين
لا وهن فيه

الباب الحادي والعشرون
في حاجة السلطان الى العلم

قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فان
زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان اكرموك لادبك او علم او دين
اعلم ارشدك الله ان احوج الناس الى المنفعة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا
والخلق مستمدون من السلطان الخلايق السنيه والطرايق العليه مفتقرون اليه
في الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو احوج خلق الله الى معرفة العلوم الخصام
وجمع الحكم وشخص بلا علم كبلد بلا امير وافضل ما في السلطان خصوصا وفي
الناس عموما محبة العلم والتحلي به والشوق الى استماعه والتعظيم لحملته فان ذلك
دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمية ومضاهاته للعالم العلوي وهو
من اكرم ما يجب به لرعيته واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه واضر رعيته
كالدابة بلا رسن تمر في غير طريق وقد تتلف ما تمر عليه واعلم ان زبر الفضايل وحسن
المناقب وبها المحاسن وما صار ذلك من قبح المثالب وفسخ الرذايل كل ذلك يظهر
عليك ويعظم منك بقدر ما اوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك
احسن كما يكون قبحك اقبح ... من اهل الدرجات السنيه والمراتب العليه
احوج الى مجالسة العلما وصحبة ... ودراية كتب العلوم والحكم ومطالعه
دواوين العلما ومجامع الفقها وسير الحكما من السلطان وانما كان كذلك من وجهين
احدهما انه قد نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم
وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قويه ودراسة طويله
وكيف يكون حاله لو لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يقدم لها اهبتها والثاني
ان من سواه من الناس لا يعدمون من يكبر عليهم ويعارضهم ويذكر لهم مساويهم

وتخالفهم

وتخالفهم في مذاهبهم فيكون ذلك مما يبعثهم على رياضة انفسهم وتعلمهم
مراشدهم ومناظرة الاكفا ومعاشرة النظرا تلقيح العقول وتهذيب النفوس
وترتيب لماخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع
ذلك اذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره مبجل لشانه وساتر لمساويه ومادح له
بما ليس فيه وانما احوانهم له بصدق الامير وعلى قدر علو الرتبة يكون قبح السقطة كما
ان على قدر ارتفاع الحايط يكون صوت الوجبة فصل يا ايها الملك ليس احد فوق
ان يومر بتقوى الله ولا احد دون ان يامر بتقوى الله ولا احد اجل قدرا من ان يقبل امر
الله ولا ارفع خطرا من ان يتعلم احكام الله ولا اعظم شانا من ان يتصف بصفات الله ومن
صفات الله تعالى العلم الذي وصف به نفسه سبحانه وتمدح بسعته فقال تعالى
وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكراسي هم العلما واذا كان
العلم فضيله فرغبة الملوك ذوي الاخطار والاقدار والشيوخ فيه اولى لان الخطا فيهم
اقبح ولا اشد بالفضيله ... له ويحكى ان ابرهيم بن ادهم دخل على المامون وعنده جماعة
يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك ... هولاء فقال يا امير المومنين شغلونا
في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المامون لم ... اليوم فقال او يحسن بمثلي طلب العلم
فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن
طلب العلم قال ما حسنت بك الحيوة وروي ان بعض الحكما راى شيخا يطلب العلم ويحب
النظر فيه ويستحيي فقال يا هذا اتستحيي ان تكون في اخر عمرك افضل مما كنت في اوله
ولان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر وفي منثور الحكم جهل الشاب معفور
وعلمه محقور واما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا لم يكسبه

فضلا ولم يفده علما كان الصغير افضل منه لان الامل فيه اقوى وحسبك نقيصة
في رجل يكون المساوي له في الجهل افضل منه فاما ما ذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم
فلحاجة السلطان اليه اكثر ودواعيه الى اكتسابه اشد لان من عدله انما يجهد
نفسه الواحده فيقرب عليه تحصيل ما يفوتها به والملك منتصب لسياسة مملكته
وتعليمهم وتقويمهم اودهم فهو الى العلم احوج **قال الشاعر**

اذا لم يكن مر السنين مترجما عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
ارى الدهر من سوء التصرف مائلا الى كل ذي جهل كان به جهلا

وقال بعض الحكما كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده عقل مضلة
وكيف يستنكف ذو منزلة عليه عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلم ارتحل
من الشام الى مجمع البحرين في اقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقا الخضر ليتعلم منه فلما ظفر
به قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليم الله وهذا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى اله وصفوته من جميع خلقه قد اوصاه ربه سبحنه وعلمه كيف يستنزل
ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزائنه اشرف من العلم لنبهه عليه وهذا
ادم عليه السلم لما فخرت الملايكة بتسبيحها وتقديسها لربها وفخر ادم بالعلم فقال انبئوني
باسماء هولاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا امرهم بالسجود له واظهر فضله يستدعي السجود
لحاملها ان يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فضل الخطاب لمن تدبره ولا سيما لك ما روي
لك في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالرسم على الحجر والذي يتعلم في الكبر كالنقش
على الما وقد سمع الاحنف رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال الاحنف الكبير اكثر

عقلا ولكنه اشغل قلبا فمحص عن المعنى ونبه على العلة وقد كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيوخا وكهولا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم
والسنن وهم بحور العلم واطواد الحلم والفقه غير ان العلم في الصغر ارسخ اصولا
وابسق فروعا وليس اذا لم يجز كله يترك كله وقال رجل لابي هريرة اني اريد
ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال ابو هريرة كفى بتركك له تضييعا وبعض
الخير خير من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت عب الجهل مثل الحمال تحت حمل ثقيل
فان هو كلما اعيا نقصه قليلا يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم
يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشك ان يصرعه حمله وكذلك الجاهل اذا تعلم
قليلا قليلا يوشك ان ياتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغر فاوشك
ان يبحث عب الجهل

الباب الثاني والعشرون في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب

رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم واهله قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع
علي بن ابي طالب الى الجبانة فلما اصحر تنفس الصعدا ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب
اوعية فخيرها اوعاها للخير احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم رباني ومتعلم
على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجوا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم
يزكوا على الانفاق والمال تنقصه النفقه والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة
العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثه بعد وفاته
مات خزان الاموال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر اشخاصهم مفقوده وامثالهم

في القلوب موجوده ها ان هاهنا واشار بيده الى صدره لعلما جما لو اصبت له حمله
بلى اصبت له لقنا غير مامون عليه يستعمل الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله على كتابه
او كما قال وبنعمه على عباده او منقادا لاهل الحق لا بصيره له ينقدح الشك في قلبه باول
عارض من شبهه الا لا ذا ولا ذاك او منهوم باللذات سريع الانقياد للشهوات ام اخر
شانه جمع للمال والادخار ليسا من رعاة الدين اقرب شبها بهما الانعام السايمه اللهم
كذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لن يخلو الارض من قايم لله بحجه لئلا تبطل
حجج الله وبيناته ومن اوليك واين اوليك اوليك الاقلون عددا الاكثرون عند الله
قدرا اخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في قلوب اشباههم ويودعوها في صدور نظرايهم
هجم بهم العلم على حقيقه الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوحشه المترفون
واسنوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا باجساد ارواحها متعلقه بالمحل
الاعلى اوليك خلفا الله في بلاده ودعاته الى دينه هاه شوقا الى رويتهم ه

استحشته

الباب الثالث والعشرون
في العقل والدها والحب والمكر

قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقه العقل واقسامه ومحله واحكامه بما لا مزيد عليه
ونذكر هاهنا منافعه ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد
على الغايب فمن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل
وسمي عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قصر قد كمل
بنيانه وحسنت اركانه وجعلت فيه من الالات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف عليه
انسان فراى بيوتا مقطعه وابوابا منصوبه وفرشا مفروشه وزرابي مبثوثه وموايد

مصفو

٦٤ موضوعه وصحاف مصفوفه وارايك منصوبه وحجالا مستدله وطسوتا واباريق
وبيوت ما وميازيب تصب الما وتحتها بالوعه لفيض الما وطيقان للضيا ومداخن
للدخان الخارج ومنافس للرياح والهوي وانما كثرت لك هذه الامثله لان ما في
الانسان من الاعضا ولطيف الصنعه والعجايب اكثر ما في القصر باضعاف مضاعفه
الى سايرما يستعده العقلا للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر بما حواه صنعه صانع
قادر عالم حي او اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستقر بالضروره في
عقله استحاله وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على
العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال فاذا نظر الى ما في نفسه من العجايب والتركيب
ومنفعه كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع او دفع ضر فليتبع نظره في عضو واحد
مثلا وهو فمه فيرى في اوله اسنانا تشبه الفوس تصلح للقطع وفي اخره طواحين
مضرسه تصلح للطحن وبينهما لسان يقلب الطعام الى الطواحين ثم الى الخارج ولسان
يرد ما انقلب من الطعام اليه على الطواحين ثم بعد ذلك بلعوم يصلح لازدراد هذا الطحين
علم بادي تامل ان هذه الخلقه ما انفعلت بنفسها اتفاقا بل هي مفتقره الى قصد قاصد
وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنا نذكر منفعه كل عضو لوقفت على العجب والمن
تركناه كراهه التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهيمن فقال تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون وبهذه العبره يستقل العقول باثبات الصانع ويستغني عن النظر
في الجواهر والاعراض فالعلم المفيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البنا والنجار والخياط
واشباههم بعد النظر في صنايعهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند
النظر في حدث العالم علم استدلال اعتبار الغايب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين

بين صنعه وصنعه فى اقتضا صانع وانما كان العلم فى الشاهد ضروريا لان الانسان
لم يزل يرى البانى والحايط والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم يرى العقلا القديم سبحانه
يخلق ويخترع وانما استفاده من النظر فى الشاهد ٥ فان قيل فاى العلمين اقوى فى
النفوس واثبت فى العقول العلم عند النظر فى السرير واقتضايه للنجار او العلم بالاله عند النظر فى
السموات والارضين وما بينهما ٥ والجواب ان هذا يستدعى تفصيلا وتدقيقا
وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك وحسبك ان تعلم ان من معه عقلا غريزيا او تسميته عاقلا
وتوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفى فاذا ثبت هذا فاعلم ان الله خلق الخلق على اربعه
انحا ملايكه وادميين وشياطين وبهايم فاما الملايكة فعقل بلا شهوات ولا هوى واما
البهايم فشهوات بلا عقول واما الشياطين والجن فركب فيها العقول والشهوات والهوى
وهكذا ركب فى بنى ادم العقل والهوى والشهوه فغلبت شهوه الشياطين وهواهم عقولهم
فقطعوا اوقاتهم بالاخلاق المذمومه بالكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد
وساير الاخلاق المهلكه واما البهايم فقضت اوقاتها فى شهوات البطن والفرج ٥ واما
الادميون فركب فيهم عقول الملايكة واخلاق الشياطين وشهوات البهايم فمن غلب
على هواه منهم عقله فكانه من عالم الملايكه كالانبيا والرسل والاوليا والاصفيا وقليل
ما هم واما من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان كان ذلك فى المباحات من
المطاعم والملابس والمراكب والنسا والخيل المسومه والانعام والحرث فاكل وتمتع
بعد ان كسبه من حله فهو من عالم البهايم وانما الحقناه بعالم البهايم لانه لا
تكليف على البهايم وكذلك هذه المباحات لا حرج فى الاستمتاع بها بعد ان كسبها
من حله وان كان الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش
الى

الى ساير الاخلاق المذمومه فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع من الشخص افراط
الشهوات واتباع الهوى فى خلايقه بهيمة فى شهواته فلا يصلح للصحبه واذا
ثبت هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزى لطول رقده من العين واحوج الى الشحذ من
السيف ٥ **فصل** فاما العقل المكتسب وهو نتيجه العقل الغريزى فهو
نهايه المعرفه واصابه الفكر وليس له حد ينتهى اليه لانه ينمى ان استعمل وينقص ان اهمل
ونماوه يكون باحد وجهين اما ان يقارنه من مبدا النشو ذكا وحسن وفطنه كالذى
قال الاصمعى قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحادثنى واعجبنى الله فصاحته
وملاحته ايسرك ان يكون لك مايه الف درهم وانك احمق فقال لا والله قلت ولم قال
اخاف ان يجنى على حمقى جنايه تذهب بمالى ويبقى حمقى واستخرج هذا الصبى بفرط
ذكايه ما يدق على من هو اكبر منه سنا ٥ وقيل لبعض الصبيان الكتاب فقال
فكانى عيسى بن مريم وقد قالت الحكما ابه العقل سرعه الفهم وغايته اصابه
الوهم وليس للذكا غايه ولا لجوده القريحه نهايه الا ترى ان اياس بن معويه الذى
ضرب المثل بذكايه قال لابيه وهو طفل وكان ابوه يوثر اخاه عليه يا ابت
تعلم ما مثلى ومثل اخى معك انا كفرخ الحمام اقبح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر
ازداد ملاحة وحسنا فيبنى له العلالى ويتخذ له المرتبات ويستحسنه الملوك
ومثل اخى مثل الجحش الصغير املح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر صار الى القهقرى
انما يصلح لحمل الزبل والتراب ٥ والوجه الثانى ما يصلح لوجه الحكمه وصحه الرويه
بطول ممارسه الامور وكثره التجارب ومرور العبر على اسماعهم وتقلب الايام
وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت

لاسيما عمم انواع الاخبار واثار الغبر فقال بعض الحكما كفى بالتجارب
تادبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مواد العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك
حمدت ارا الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم
ولا يسقط لهم وهم وعليكم باراء المشايخ فانهم ان عدموا ذكا الطباع فقد افادتهم
الايام حنكة وتجربة قال الشاعر

الم تران العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب
اذا طال عمر المرء في غير افة افادت له الايام في كرها عقلا

غير ان للعقل افات كما قال بعض الحكما كيف يرجو النجاة ذو الهوى والشهوة العاقل
قد اكتنفاه والهوى ابعد من ان ينفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو اغمض مسلك
في الجنان من الروح في الجثمان واملك بالنفس من النفس والمالك للشي ولهذا قيل
كم من عقل اسير عند هوى امير من احب ان يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما
قال علي بن الجهم

انفس حرة ونحن عبيد ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تنامى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة ام لا
فقال معظم العقلا انه فضيلة لانه اذا كان مجموع احاد والاحاد فضايل فلا شك ان
كثرة الفضايل فضيلة وانما الشي المحدود تكون الزيادة فيه نقصانا من الحدود وذلك
في الشجاعة والتبذير في الكرم واما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور
وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن لما قد كان وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال افضل الناس اعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان الف مالوف
وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب

الخصال

الخصال عليه ولما مات بعض الخلفا احتشدت الروم فاجتمعت ملوكها وقالوا الان
يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضربوا في ذلك
مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة النحر وكان
رجل من ذوي الراي والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الراي عليه فلما اخبروه
بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسالوه عن علة ذلك فقال هذا الخبر لكم
ان شا الله فلما اصبحوا اغدوا عليه للموعد وقالوا قد وعدتنا قال نعم فامر باحضار كلبين
عظيمين قد اعدهما ثم حرش بينهما والب كل واحد على الاخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت
دماوهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل منه على الكلبين ذيبا اعده فلما
ابصراه تركا ما كانا عليه وتالفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذيب فقتلاه ثم
اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذيب مع الكلاب
لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا
العداوة بينهم وتالبوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رايهم واما المذموم في
هذا الباب صرف العقل الى الدها والمكر قال الشعبي ودهاة العرب
ستة معوية بن ابي سفين وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن ابيه وقيس بن
سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقا وقال الاصمعي كان والله معوية
يقول انا للاناة وعمرو للبديهة وزياد للصغار والكبار والمغيرة للامر العظيم قال
قبيصة بن جابر ما رايت اعطى لجزيل مال من غير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا الطول
رايت اثقل حلما ولا اناة من معوية ولا رايت اغلب للرجال ولا ابذ لهم حين يجتمعون من
عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية من زياد ولو ان المغيرة كان في مدينة

لها ثمانيه ابواب لا يخرج من باب منها الا بالكد الخرج من ابوابها كلها ٥ وقال ابو
الدردا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا
قلت بابي وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا
ثم تنفل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا ومن ربك قربا وعليه عزا ويروى لعلي
بن ابي طالب رضوان الله عليه ٥ شعرا

ان المكارم اخلاق مطهرة فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها
والنفس تعلم اني لست اصدقها ولست ارشد الا حين اعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها من كان من حزبها او من اعاديها

وقال بعض الحكما العاقل من عقله في ارشاد ورايه في سداد فقوله سديد وفعله
حميد والجاهل من جهله في اغرا فقوله سقيم وفعله ذميم فاما من صرف فضله
الى الدها والمكر والحيل والخديعة كالحجاج وزياد وغيرهم فمذموم ٥ وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لست بالخب ولا الخب يخدعني ٥ وقال المغيرة كان
والله عمر بن الخطاب افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع والموصوف بالدها والمكر
مذموم وصاحبه محذور يخاف غوايله ويحذر عواقب حبايله ٥ وقد امر عمر بن
الخطاب ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد اعن موجده او
جنايه يا امير المومنين قال لا عن واحده منهما ولكن كرهت ان احمل على الناس فضل
عقلك ٥ وكتب زياد الى عمر ان العراق في شمالي ويميني فارغه فولني الحجاز

الحجاج

افضل

الى كفه اهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه فقطع فطعن في اصبعه
بعد ايام فمات فنحن وان كنا نرغب عن الدها والمكر فانا نرغب في الحيله ونرضى
بها والانساع في الحيله مما تواصابه العقلا قديما وحديثا وليس شي من امور الدنيا
لطالب الرفعه وباغي الوسيله ومريد اي امر كان اوصل من الحيله واضعف الحيله
انفع من كثير الشده ٥ وقالت الحكما لولا العقل الحيله والداني للسبب الضعيف
والقوي من الامور ٥ وروي ان رجلا وقف لكسرى فقال انا اصنع ما تعجز الخلايق
عنه قال وما هو قال يشد برجلي حبل طرفه برقبه الفيل ورجلي الاخرى كذلك وتشد
طرفه برقبه الفيل ثم يساق الفيل بالضرب والزجر ولا يبرح فعل ذلك فتمت حيلته
ثم تعاطى ان يفعل ذلك بارع من الفيله فمرت تحدثنا فقسموه شطرين قال كسرى
من لم يكن اكبر ما فيه عقله هلك باكبر ما فيه فنظمه بعض الشعرا فقال

من لم يكن اكبره عقله اهلكه اكبر ما فيه

وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد يحكي ان رجلا استاذن على هرون وقال اني اصنع
ما يعجز الخلايق عنه قال الرشيد هات فاخرج انبوبه فصب عليها ابر عده ثم وضع
واحده في الارض فقام على قدميه وجعل يرمي ابره ابره من قامته فيقع على ابره من عين
الابره الموضوعه حتى فرغ دسته فامر الرشيد بضربه مايه سوط ثم امر له بمايه
دينر فسيل عن جمعه بين الاكرامه والهوان فقال وصلته بجوده ذكايه وادبته كيلا
يصرف فرط ذكايه في الفضول ومن زعم ان العقل للكتسب اذا تناهى الا يكون فضيله
قال لان الفضايل هيات متوسطه بين فضلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد
الفضيله كالكرم الذي هو وسط بين التهور والجبن ٥ وقالت الحكما للاسكندر ايها

الملك عليك بالاعتدال في الامور فان الزياده عيب والنقصان عجز وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وقال علي بن ابي طالب رض
خير الامور الوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زياده العقل
تفضي بصاحبها الى الدها والمكر وذلك مذموم فقلنا هذا كله باطل لان ذم ما
نصره القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وسائر الفضائل واما
قولهم انه تفضي بصاحبه الى المكر والدهاء قلنا الدها والمكر كسب ومعان اخر غير
العقل ليست من لوازم العقل فان شا تركهما ومكر وان شا كف كما نقول في كل
شي يكسبه العاقل باختياره ليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه فيه قله عقله وكان
بزرجمهر لما فرغ كتاب امثاله وسبق كل باب على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ
هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما وانا اقول ليس العجب
ممن قرا كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قراه ولم يصر مهذبا كاملا

الباب الرابع والعشرون
في الوزرا واصنافهم والجلسا وادابهم

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلم واجعل لي وزيرا من اهلي فلو كان السلطان
يستغني عن الوزرا لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة
الوزرا فقال اشدد به ازري واشركه في امري دلت الايه على ان موضع الوزرا الذين
يشدوا على الملك وان يفضي السلطان اليه اذا استكملت فيه الخصال المحموده
ثم قال كي نسبحك كثيرا دلت هذه الايه على ان صحبة العلما والصالحين واهل الخبره
والمعرفه تنظم امور الدنيا والدين وامور الاخره كما ان انجح الناس يحتاج الى السلاح

وافره الخيل الى السوط واحد الشفار الى المبرد كذلك يحتاج اجل الملوك واعظمهم
واعلمهم الى الوزير ورَوى ابو سعيد الخدري قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة
الا كانت له بطانتان بطانه تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانه تامره بالشر
وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى وانما اشتقت الوزرا من الوزر وهو الثقل
يريد انه يحمل من امر المملكه واعبائها واثقالها مثل الاوزار اسعد الملوك ملك له وزير
صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال وهب بن منبه قال موسى عليه السلم لفرعون
امن ولك الجنه ولك ملكك قال حتى اشاورها مان فشاوره فقال بينما انت تعبد اذ
صرت تعبد فانف واستكبر فكان من امره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج
يزيد بن ابي مسلم لا يالوه خبالا ولبس القرنا شر من البشر بن ... واشرف منازل الادميين
النبوه ثم الخلافه ثم الوزاره الوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على
السياسه ومفزع عند النازله الوزير مع الملك بمنزله سمعه وبصره ولسانه وقلبه
وفي الامثال نعم الوزير الظهيره واعلم ان اول ما يستفيد الملك من الوزرا ان علم
ما كان يجهله ويقوى عنده على ما كان يعلمه فيزول شكه واول ما يظهر نيل السلطان
وقوه تمييزه وجوده عقله في استحباب الوزرا واستفاد الجلسا ومحادثه العقلا
فهذه خلال تدل على كماله ويهاب في الطول ذكره ويجل في العقول قدره ويرسخ
في النفوس عظمته والمرموسوم بقنيه وكان يقال حليه الملوك وزينتهم وزراهم
وفي كتاب كليله ودمنه لا يصلح السلطان الا بالوزرا والاخوان والاعوان
الا بالموده والنصيحه والوده الا بالراي والعفاف واعظم الاحيا ضررا على الناس
عامه وعلى الولاه خاصه ان يحرموا صالحي الوزرا والاعوان ويكون اعوانهم غير ذي مروه وغنا

ويحذر الملك ان يوالي الوزرا غير المجربين كيلا يضيع الامور كما حذر ان يتطبب
بغير طبيب بصير مامون قال شرح بن عبيد انه كان في بني اسرائيل ملك الا وكان
معه رجل حليم فاذا راه غضبا ناوله صحايف في كل صحيفه اذكر المساكين واخش
الموت واذكر الاخره فكلما اغضب الملك ناوله صحيفه حتى يسكن غضبه ○ وقال ازدشير
حق على الملك الطف ما يكون نظرا اعظم ما يكون خطرا ولا يذهب حسن اثره في
الرعيه خوفه لها ولا يستغني بتدبير اليوم عن تدبير غد وان يكون حذره للملاصقين
اكثر من حذره للمتباعدين وان يتقي بطانه السو اشد من اتقايه العامه ولا يطمعن
في اصلاح العامه الا بالخاصه ○ وقال ازدشير لكل ملك بطانه حتى يجمع ذلك جميع
المملكه فاذا اقام الملك بطانته على سبيل الصواب اقام كل امر منهم بطانته على مثل ذلك
حتى يجتمع على الصلاح عامه الرعيه ○ ومثل الملك الجيد والوزير السو الذي يمنع
الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالما الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله
وان كان سابحا وعاريا الى الما محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعيه
كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطبا فان كذب السفير
بطل التدبير كما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض
دايه فاذا سقاه الطبيب على صفه السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى
الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن هاهنا شرطنا ان يكون صدوقا في لسانه
عدلا في دينه مامونا في اخلاقه بصيرا بامور الرعيه ويكون بطانه الوزير ايضا من
اهل الامانه والبصيره ويحذر الملك ان يولي الوزاره ليما فان اللييم اذا ارتفع جفا اقاربه
وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ○ ولما اراد سليمن بن عبد

الملك ان يستكتب الحجاج بن يزيد بن ابي مسلم قال عمر بن عبد العزيز اسالك
بالله يا امير المومنين ان تحيي ذكر الحجاج باستكتابك اياه فقال يا ابا حفص
اني لم اجد عنده خيانه دينار ولا درهم قال عمر انا اوجدك من هو اعف منه في الدينار
والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس درهما ولا دينارا وقد اهلك هذا الخلق ○ ودخل
رجل له عقل وادب على بعض الخلفا فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفه يميل اليه ويقربه فقال
يا ملك طاعته لازمه وحبه مفترض واجب
ان الذي شرفت من اجله يزعم هذا انه كاذب
واشار الى الذمي فسايله يا امير المومنين فلم يجد بدا من ان يقول فاعترف بالاسلام لا يعرف
وزير الملك ما له وما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق الغيور
من معشوقه ○ وكان بعض الملوك قد كتب ثلث رقاع وقال لوزيره اذا رايتني
غضبانا فارفع الي رقعه بعد رقعه فكان في الرقعه الواحده انك لست باله
وانك ستموت وانك ستعود الى التراب فياكل بعضك بعضا ○ وفي الثانيه ارحم
من في الارض يرحمك من في السما وفي الثالثه اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم
الا ذلك اذا كان الوزير يساوي الملك في الراي والهيبه والطاعه فليصرعه الملك
فان لم يفعل فليعلم انه المصروع ○ وفي الامثال اذا سكنت الدهما خافت الوزرا ولما
كانت امور المملكه عايده الى الوزرا وازمه الملوك في كف الوزرا شبهت العقلا
المثل السايرة فقالوا لا تغتر بموده الامير اذا غشك الوزير واذا احبك الوزير فلا تخش
الامير ○ ويقال الخرق مماراه الامرا ومعاداه الوزرا ورب امر كرهه الامير فتمم
بالوزير وكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير

يا ايها يمن انا الدار من ياتيها ولج ومن اتاها من غير بابها انزعج ه وقال انوشروان لا ينبغي
للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مامون الغيب وخادم
ناصح الجيب وموقع الوزرا من المملكه كموقع المراه من البصر فكما ان من لم ينظر
الى المراه لا يرى محاسن وجهه وعثرته كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف
محاسن دولته وعيوبها لا يعرف الوزير ماله وما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق وعوبه
به ما يراعيه العاشق من المعشوقه المتهمه ه كاتب الملك مستقر لاسراره ولسانه
الناطق عنه في افاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرايه ظهير الامير ووزيره
ويده جاحبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافه وقرينه الرياسه
وعمود المملكه للكاتب على الملك ثلثه اشيا يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاه عليه
ويفشي سره اليه ه وقد قالت العلما لا يطمعن ذو الكبر ولا الجبن في كثره الصديق
ولا السي الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك
المتهاون الضعيف الوزرا في بقا الملك وكما ان المراه لا يزينك وجهك الا بصفا
جوهرها وجوده صقلها ونقايها من الصدا كذلك الامير لا يكمل امره الا بجوده
عقل الوزير وصفا نفسه ونقا قلبه ه ومن شرط الوزير ان يكون معه من الرحمه
للخلق روفا بهم ليانسوا برحمته ما يخرجه السلطان بغلظه ه ومن شروطه
ان يكون في الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقه ولا يكتم نصيحه ه قال بعض الملوك
لوزيره لا يكون الى ما يسرني به اسرع مبادره الى انذاري فيما اخاف علي منه قال
بعض الملوك اعط من اباك بانكره كما تعطي من اتاك بما يحب ولكن من انذركم
يبشر ومن شروطه كليل بهامه لا احتر ولا فر وموقع الوزير من الملك

موقع الملك من العامه وكما ان السلطان اذا اصلح صلحت الرعيه واذا فسد
فسدوا كذلك الوزرا اذا فسد وافسد الملك واذا صلحوا اصلح الملك وكان
فقال افه العقل الهوى وافه الامير مخافه الوزيره وقال المقتدر بالله لوزيره
علي بن عيسى ابق الله يعطفني عليك ولا تعصه فيسلطني عليك ه وقال المامون
لعمرو بن يزداد اياك ان تعصي الله فيما تقرب به الي فيسلطني عليك واعلم انه ليس للوزير
ان يكتم السلطان نصيحه وان استثقلها وموقع الوزير من المملكه كموقع العينين
من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا اسقمها دخل النقص
على الجسد ولا تصلح الوزاره الا في اهلها كما لا يكون الملك في غير اهله وشر
وزرا من كان للاشرار انصاله وزرا وبطانه ودخلا ه واوصت امراه ابنها وكان
ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له سته اشيا وزير يثق برايه ويفضي اليه باسراره
وحصن يلجا اليه اذا فزع وسيفا اذا نازل الاقران لم يخف ان يخونه وذخيره خفيفه
المحمل اذا نابته نايبه كانت معه وامراه اذا دخلت عليه اذهبت همه وطباخ اذا
لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه ه

الباب الخامس والعشرون في الجلسا وادابهم

قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه وتعالى
يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان
للانسان خذولا وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوي الراي والحسب
وذوي التجارب والعبر فمجالسه العقلا لقاح العقل ومادته ولذلك حمدت
ارا المشايخ فقال القدما المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط

بحر ومهم ٥ وقالوا عليكم بآراء المشايخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت
على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير ٥ وقالوا راي الشيخ خير
من مشهد الغلام ٥ وقال عبد الملك لجلسائه جنبوني ثلثا لا تطروني فاني اعرف بنفسي
منكم ولا تكذبوني فانه لا راي لكذوب ولا تغتابون عندي احدا فيفسد قلبي عليكم
وقال بعض الحكما كفى بالتجارب تاديبا وتقلب الايام عظة ٥ وقالوا التجربة
مراة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو احد حكما العرب حين سافر
اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الحديد الذهن ٥ وقال
كثير من حكما العرب عليكم بمشاورة الشباب فانه ينتجون رايا لم يعله طول القدم
ولا استولت عليه رطوبة الهرم والذهب الاول اصدق على العقول ٥ وقال عبد العزيز
بن زرارة لمعاوية عليك بمجالسة الالبا اعدا كانوا او اصدقا فان العقل يقع على العقل
وقال ابن عباس مجالسة العقلا تزيد في الشرف ٥ وقال سفين بن عيينة ان الرجل
ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما ٥ وقال ملك بن انس رضي
الله عنه مر سليمن بن داود عليهما السلم بقصر بارض مصر فيه مكتوب

غدونا عن قرا اصطخر الى القصر فقلناه ... فمن سال عن القصر فمبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء اذا المرء ماشاه ... وللشي على الشي علامات واشباه
فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه ... فكم من جاهل اردى حليما حين اخاه

قال ووجد عليه نسرا واقعا فدعاه فقال من بنا هذا القصر قال لا ادري
قال كم لك منذ وقعت عليه قال تسع مائة سنة ٥ وفي الامثال بطن
بالمرء بطن بخليله ٥ وتلاحج عبد الله بن جعفر رجل مله ليلا فلما اصبح قال يا اهل

كما

مكة عرفنا اخباركم ممن زاركم في ليلة واحدة قالوا وكيف ذلك قال نزلنا
ومعنا اخيار واشرار فنزل اخيارنا على اخياركم واشرارنا على اشراركم فعرفنا
واعلم انه ليس الارتفاق على الناس بادل من الصاحب على الصاحب ٥ وقال الاوزاعي
الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانه ٥ وقال ملك بن
مسمع للاحنف بن قيس يا ابا بحر ما اشتاق الى غايب اذا حضرت ولا انتفع بحاضر اذا غبت
فاخذه ابرهيم بن العباس فنظمه فقال

وانت هوى النفس من بينهم ... وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان بعدوا وحشة ... ولا معهم ان بعدت اجتماع

وقال عبد الملك بن مروان قد شبعت من كل شي الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر
على التلال العفر ٥ وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورايح والسلطان ظل زايل والاخوان
كنوز وافرة ٥ وقال الاصمعي تناظر رجلان واعرابي حاضر فقال لاحدهما مناظرة
مثلك في الدين فرض والاستماع منك ادب ومجالستك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك
تنتج العقول وتشحذ واخبارك شرف وفخر ٥ وقال التمامي عتبنا مخارق بين يدي
المامون ٥ واني لمشتاق الى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه
عذيري من الاخوان لا ان جفوته ... صفا لي ولا ان صرت طوع يديه
فقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الانسان ٥ وقالت الحكما
النظر في عواقب الامور تنبيه العقول ٥ وقالوا العاقل لا يستطيع صداقة الاحمق
لا تدوم مودته وانحل لك من اصحابك نصحا مراة لطبايعك وقبالك كما تتخذ
لوجهك المراة المجلية فانك الى صلاح طبايعك احوج منك الى تحسين صورتك

الكاتب

وقال المامون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعه
قال وما السبع يا امير المومنين قال خبز الحنطه والفراش الوطي والنظر الى الحسن من
كل شي قال فاين انت يا امير المومنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال
هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شي فاكلت الحلو والحامض حتى لا اجد
لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى لا اجد له رائحة واتيت النسا حتى لا ابالي امراة اتيت
ام حايطا فما وجدت شيا الذ من جليس يسقط بيني وبينه مونه التحفظ ٥ وقال عبد الله
من قرب السفله وادناهم وباعد ذوي العقول واقصاهم استحق الخذلان ومن منع
المال في الحمد ورثه من لا يحمده ٥ ومن الكلام الشريف قول الحكما احوج ذوي النبلاء
الى دين يحجزه وحيا يكفه وعقل يعدله والي تجربه طويله وعين محفوظه والي
اعوان اليه واخلاف تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورايد شفيق والى عين تبصر
العواقب وعقل يخاف العثر ومن لم يعرف لوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر
ولم يتحفظ من بليات الزلل ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا اثم وان سمج واذا رايت
من جليسك امرا تكرهه او خله لا تحبها او صدرت منه كلمه عورا او هفوه غبرا
فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمه واستر عورته وابعد وابرا من عمله
قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بري مما تعملون فلم يامر بقطعهم وانما امر
بالبراه من عملهم السو وقال الشاعر

اذا راب مني مفصل فقطعته بقيت وما بي للنهوض مفاصل
ولكن اداويه فان صح سرني وان هو اعيى كان فيه تحامل

واتى رجل الى بعض الحكما مشتكيا اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال

له الحكيم افهم ما اقول لك فكلمتك اترك من فوره الغضب ما يشغلك عنه
فقال اني لما تقول واع فقال اسرورك بمودته كان اطول ام غمك بذنبه قال
بل سروري قال فحسناته عندك اكثر ام سيئاته قال بل حسناته قال فاصفح بصالح
ايامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح مونه الغضب والانتقام منه ولعلك
لا تنال ما امّلت فطول مشاحنة الغضب وانت صاير الى ما تحب ٥

الباب السادس والعشرون
في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البنا ونذكر الان الخصال
التي تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان وحسن الهيبه والكمال فاصلها
وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فلما نزلت هذه الايه على النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
ما هذا قال لا ادري حتى اسل العالم ثم مضى فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ربك
يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ٥ واعلموا ارشدكم
الله ان الله تعالى امر بالعفو وندب اليه وذكر فضيلته وحث عليه ووصف به نفسه
فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاوجب الله
تعالى محبته للعافين واثنى عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وعزايم الامور من صفات المصطفين من الرسل عليهم السلم فقال سبحانه واذا
ما غضبوا هم يغفرون فاستعطف الخلق وندبهم الى الاحسان وان يعفوا عن الجناه
والظالمين والخاطيين كما يحبون ان يفعل الله تعالى بهم فقال فمن انتصر ولم

بعفو ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر ولم
يوجب له فضيله ثم كشف الغطا وازال العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين
والواهبين حقوقهم على المقتصين فقال سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا النص لا يحتمل التاويل وتحقيق القول في ذلك
ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله احب الينا من عدله لانه ان عدل علينا فاخذنا
بكفيه هلكنا وان عفا عنا برحمته خلصنا ولو كان العدل يسع الخلق لما قرنه الله
تعالى بالاحسان فلما علم ان في العدل استقصا ومناقشه وذلك مما تضيق عنه النفوس
وتحرج له الصدور بسط الاحسان بالعدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب ولا امتنان والعفو محبه من الله واحسان وايضا
فان الانتصار سيه والعفو حسنه قال الله تعالى ولا تستوي الحسنه ولا السيه
والدليل على الانتصار قوله تعالى وجزا سيه سيه مثلها غير انه انما سميت سيه جواز
لانها تشبه سيه لا انه لا يجوز الانتصار وانما هو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزا على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقه جهلا ٥ وعن هذا روت عايشه رضي
الله عنها ما رات النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمه ظلمها قط غير انه كان
اذا انتهك بشي من محارم الله لا تقوم لغضبه شي ٥ وروي انه ينادي منادي يوم القيمه
من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا في الدنيا فان عفوت ايها الطالب
كان اجرك على الله وان لم تعف كان حقك على من ظلمك ولان يكون اجرك في ضمان الله
اوثق من ان تكون من قبل مخلوق وايضا فانك ان لم تعف ثبت حقك بلا زياده عليه وان

عفو

عفوت كانت حسنه استدنتها لاخيك والله تعالى يقول من جا بالحسنه فله
عشر امثالها ٥ وقال رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت احدا يا امير
المومنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك ٥ وشفع الاحنف بن قيس في
محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريا
فالعدل يسعه ٥ وقيل لبعض الكتاب بين يدي امير المومنين بلغ امير المومنين عنك امر فقال
لا ابالي فقيل له ولم لا تبالي قال ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب الناقل
وسعني عدله ٥ ولما دخل عيينه بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا بن
الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم ان يوقع به
فقال له ابن اخيه يا امير المومنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا
عند كتاب الله تعالى ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السما وقال ارحم ترحم ٥ وكان يقال اولى الناس بالسلطان احقهم بالرافه
والرحمه ٥ وفي الانجيل افلح اهل الرحمه لانهم سيرحمون ٥ وقال سليمن بن داود عليه
السلم لقد بغض الله المتسرعين الى هرق الدما انهت القسوه والغلظه والتباعد من
الرحمه ٥ ولما تمكن داود عليه السلم من قتل جالوت ابى عليه وهو يومئذ عدوه
وطالبه وقال رب عظم دمي في اعين اعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك
خلصني من جميع الهموم ٥ وقالت حكما الهند لا سودد مع انتقام ولا رياسه مع غزاره
نفس وعجب ٥ وقالت الحكما ليس الافراط في شي احمد منه في العفو ولا هو في شي اقبح منه في
العقوبه وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبه ٥ واعلم انك ان تخطي

في العفو في الف قضيه خير من ان تخطى في الفعل في قضيه واحده ٥ وقال
معويه اني لارفع نفسي ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعوره لا
يواريها ستري ٥ وقال المامون ليس على في الحلم مونه ولوددت ان اهل الجرايم علموا
راي في العفو فذهب الخوف فخلص لي قلوبهم ٥ وقال رجل للمنصور يا امير المومنين
ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ امير المومنين
ان يرضا لنفسه اوكس النصيبين وان لا يرتفع الى اعلى الدرجتين فاعف عنا عفا
الله عنك فعفا عنهم **وانشدوا**

واذا بغا باغ عليك بجهله فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبه لما عفا عنه والله ما ادري ايها الامير اي
يوميك اشرف ايوم ظفرت ام يوم عفوت **وقال الشاعر**

ما زلت في العفو للذنوب واطلاق لجان بجرمه علق

حتى تمنى العفاه انهم عندك اسرى في القيد والحلق

ودفع الى انوشروان ان العامه تعيب الملك في معاوده الصفح عن المذنبين مع
تتابعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطبا وليس معاوده الدا اياهم
بمانعنا من معاوده العلاج لهم ٥ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما قرن
شي الى شي افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدره ٥ وقال بعض التابعين المعاقب
مستدعي لعداوه اوليا المذنب والعافي مستدعي لشكرهم اومكافاتهم ايام قدرتهم
ولان يثني عليك باتساع الصدر خير من ان ينسب الى الضيق واقاله العثره موجبه
اقاله عثرتك من ربك وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك كما

بعقاب الله تعالى والله يحب العافين ٥ وقال المنصور عقوبه الاحرار التعريض
وقال المامون لما رايت الذنوب جلت عن المجازاه بالعقاب جعلت فيها العقاب
عفوا امض من الضرب للرقاب ٥ وقال الاحنف بن قيس لا تزال العرب بينه الفضل
ما لم تعد العفو ضيما والبدا شرفا ٥ وقالت الحكما اذا انتقمت فقد انصفت واذا
عفوت فقد تفضلت ٥ وقال بعض الحكما اقبل العذر وان كان مصنوعا الا
ان يكون ممن اوجبت المروه قطيعته او يكون في قبولك عذره تشجيعه على المكروه
او عونه على الشر فان قبولك العذر فيه اسرال في المكروه المنكر ٥ ولما دخل الفيل دمشق
حضر الناس لرويته وصعد معويه في عليه له مطلعا فبينما هو كذلك اذ بصر في
قصره رجلا مع بعض حرمه فاتى الحجره ودق الباب ثم بكى في صحنه يد فوقعت عينه على
الرجل فقال يا هذا اني قصري وتحت جناحي تهتك حرمي وانت في ضيافتي ما حملك على ذلك
فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني قال له معويه فان عفوت عنك تسترها علي قال
نعم فخلى سبيله وهذا في الدنيا العظيم والحلم الواسع ان تطلب الستر من الجاني وهو
عروض قول الشاعر اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فناتيكم معتذر
واتى موسى الهادي برجل قد جنا فجعل يقرعه بذنوبه ويعدده فقال الرجل ان
اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت ذنبا ولكني اقول

فان كنت ترجو في العقوبه راحه فلا تزهدن عند المعافاه في الاجر

فامر باطلاقه ٥ وقال المهلب لا شي ابقا للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته
منه بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم حتى يضطرها ذلك الى المجنبه وان
خشيت منه العقوبه اوحشها الذنب وان صغر ومن الحكمه البالغه في هذا قول سابور

وقد جمع اولاده فقال يا بني ان اعجزكم ان تملؤا قلوب الرعيه حبا فاملؤها خوفا
وليس ذلك بان تحمل العقوبه على من لا يستحقها ولكن تعجلها لمن يستحقها وفي
هذا المعنى قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وهذا معنى لا يحتمل
عما اوجبناه وهذا معنى قول سابور ولا يخالف ما قررناه من حسن العفو بل هو محمول
على الواجب المستحق او على ما في تركه اغراء بركوب امثاله فهما سايلون العفو
مفسده ه يا ايها المعاقب اذا اثمت على مذنب عقوبه فلا تكونن كالمتشفي المذلل
بعذابه لانك واياه اخوان لاب وام ادم وحوى لم تفضله بجبلك ولا بقوتك بل انما فضلك
الله به تطولا فاذكر لو كنت في مقامه وكان في مقامك ولا تامن تقلب الدهر
فيقوم مقامه من يكى من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفريط والتقصير واتهم نفسك
مذنبا اقيم للعقوبه ولكن عقابك مقدرا كما كان عطاؤك مقدرا ولكن عقابك
للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهو وعن هذا قال بزرجمهر لا ينبغي للملوك ان يرموا
احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا احدا بكرامه من ليس للكرامه اهلا لا
تكن على الاساه اقوى منك على الاحسان ولا على البخل اسرع منك الى البذل

قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه من العفو لم يعرف من الناس مجرما
فليس يبالي ان يكون به الاذى اذا ما الاذى بالكرم لم يغش مسلما

وقال سليمن بن داود عليه السلم التنكيل والعقوبه امنيه الملك الشرير وعلى مثله
يبعث الله ملكا غير رحيم ه وقال معويه لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب او رضى الا لثواب
او عقاب ه وقال اردشير فضل الملك على السوقه انما هو بفضل قدرته على اقتناء
المحامد واستفاده المكارم فكلما استكثر منها بانت فضيلته واستحقاقه

لموضعه من الولايه عليهم وكلما نقص منها قرب من السوقه ه وقال المامون
اني لا اجد للعفو لذه اعظم من لذه الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك او اعان
على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في الراي اعظم مما ادخل على
صاحبه في العقوبه ه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر
مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم ه وقيل لافلاطون اي شي من افعال الناس
اشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان للناس ه وقال الحكيم الحلم فدام السفه
والعفو زكاه الفضل ه وقال الحكيم السيد الذي لا يشوب حسن الظفر بقبح
الانتقام وخير مناقب الملوك العفو ه وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان
من اذل العبد بالذنب واذل الذنب بالعفو الهي ان عفوت فخير راحم وان عذبت
فغير ظالم الهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان
كان لا يرجون الا اهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون قال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن بقدر الحلم ينتقم الحليم

وروي ان الحجاج اخذ قطري بن الفجاءه فقال لاقتلنك قال ولم قال لخروج
اخيك علي فقال ان معي كتاب امير المومنين ان لا تاخذني بذنب اخي قال هاته قال
فان معي اوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازره وزر اخرى فعجب من جوابه
وخلا سبيله ه ولما وفد عقيل بن ابي طالب على معويه امر له بمايه الف درهم فلما
اراد الانصراف راى في الطواف جاريه باربعين الف درهم فرجع الى معويه فاخبره
فقال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما فان اغضبتني يضرب مفرقك بالسيف فامر
له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معويه

شيعة فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب الى معويه اما لا اجيز بيع مسلم فارسل
معويه الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يامر برد المال فقال مسلم اما دون ان
اضرب مفرقك بالسيف فلا فضحك معويه وقال والله لقد نهد دبي ابوك قبل
ان يشتري امك وسوغه المال فقال الحسين غلبنا معويه جودا وكرما وحلما

الباب السابع والعشرون في المشاوره والنصيحه

وهذا الباب مما يعده الحكما من اساس المملكه وقواعد السلطنه ويفتقر اليه
الريس والمرؤس وقد ذكرنا في باب الصفات الفرقانيه ونذكر هاهنا فوايدها
ومحاسنها ه اعلموا رحمكم الله ان المستشير وان كان افضل رايا من المشير فانه
يزداد برايه رايا كما يزداد النار بالسليط ضوا ولا يقدحن في روعك انك
اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى راي غيرك فيمنعك ذلك
عن المشاوره فانك لا تريد الراي للفخر به ولكن للانتفاع به وان اردت الذكر
كان اجزل لذكرك واحسن عند ذوي الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينفرد
برايه دون ذوي الراي من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انفاذ رايك وظهور صوابه
لك عن الاستشاره الا ترى ان ابرهيم عليه السلم امر بذبح ابنه عزمه لا مثنويه فيها
فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشاره فيه فقال لابنه فانظر
ماذا ترى وهذا من احسن ما يرسم في هذا الباب ه وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الراي المفرد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين والثلثه الاراء لا تكاد
ينقطع ه ويروى ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا يملك علينا من يشاور

وقال الرو

وقال الرومي ونحن لا يملك علينا من لا يشاوره وقال بزرجمهر اذا اشكل الراي
على الحازم كان بمنزله من اضل لولوه فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها
كذلك الحازم يجمع وجوه الراي في الامر المشكل ثم يقرن بعضها ببعض حتى
يخلص له الصواب ه وكان يقال من كثرت استشارته حمدت اماراته ه وفي
حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد براي الوزرا الحزمه كما يزداد
البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والراي ما لا يناله بالقوه والجند ولم يزل حزمه الرجال
يستثقلون مراير النصحا كما يستحلي الجاهل المساعده على الهوى ه وقال
المامون لطاهر المخلوع يعني اخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب
يبيح من نفسه ما تانفه همم الاخوان ولا يصغي الى النصيحه ولا يقبل مشوره يستبد
برايه فيرى سو عاقبته ولا يردعه ذلك عن ما لهم به قال فكيف كانت حروبه
قال يجمع الكتايب بالتدبير ويفرقها بسو التدبير فقال المامون لذلك ما حل بحله اما والله
لو ذاق لذاذه النصايح واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر
به ه وقال بعضهم انفاذ الملوك الامور بغير رويه كالعباده بغير نيه ولم تزل
العقلا على اختلاف نياتهم ومذاهبهم يستهدون العيوب ويستشيرون صواب الراي من
كل احد حتى الامه الوكعا هذا عمر بن الخطاب يقول رحم الله امرا اهدى
الي عيوبي ه وكان يقال من اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد
ومن اعطى التوبه لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخاره لم يمنع الخيره ومن اعطى المشوره
لم يمنع الصواب ه وقال بعضهم خمير الراي خير من فطيره وتاخيره خير من تقديمه
وذكر صاحب التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراه فقال احدهم لا ينبغي للملك

ان يستشير منا احد الا خطا فانه اموت للبشر واحزم في الراي واحذر للسلامه
واعفا لبعضنا من غايله بعض ٥ وكان بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا
في الراي دعا بعضهم للموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطي مرازبتك وتعاقبنا
فيقول نعم لم يخطيوا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا اخطاوا وكانوا اذا
استموا مشاوره رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عياله لسنه ليتفرغ لبه ٥ وكان
يقال النفس اذا احرزت قوتها اطمانت واذا شاورت فاصدق الخبر تصدق لك المشوره
ولا تكتم المستشار فتوتى من قبل نفسك ٥ وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شده باسك
في بطشك ولا علو مكانك في نفسك من ان تجمع الى رايك راي غيرك فان اصبت حمدت
وان جهلت اعذرت فان في ذلك خصالا منها ان وافق رايك راي غيرك ازداد رايك
شده عندك وان خالفه عرضته على نظرك فان رايته معتليا لما رايته قبلته وان
رايته متضعا عنه استغنيت وذلك انه يجدد لك ممن شاورته حظا ويمحض لك
مودته وان قصر ولو لم يكن في فضيله المشاوره الا انك ان اصبت مستبدا برايك
ضيعت فضيله الاصابه بالسنه الحسده وقال كتابنا هذا اتفاق ولو فعل اكثر لك
كان احسن واذا شاورت فاصبت حمد الجماعه رايك لانهم لنفوسهم يحمدون
وان اخطات حمل الجماعه خطاك لانهم عن نفوسهم يكافحون واعلم ان القول
الغليظ يسمع لفضل عاقبته كما يتجاره على شرب الدوا الفضل مغبته ٥ وقال
اعرابي ما غبنت قط حتى يغبن قومي قيل له وكيف ذلك قال لا افعل شيا حتى
اشاورهم ٥ وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس قالوا نحن الف رجل
وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكانا الف حازم ٥ وكان ابن هبيره امير البصره

يقول

يقول اللهم اني اعوذ بك من غايه خاصه نفسه والانحطاط في هوى مستشيره
وفي حكم الهند من التمس من الاخوان الرخصه عند المشوره ومن الاطبا عند المرض
ومن الفقها عند الشبهه اخطا الراي وازداد مرضا وحمل الوزره وقالت الحكما
لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النسا ولا صاحب حاجه
يريد قضاها ولا خايفا ولا من يرهقه احد السبيلين ٥ وقالوا لا راي لحاقن ولا
حازق ولا حاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده والحازق هو الذي ضغطه الخف الضيق
والحاقب الذي يجد في بطنه رزاه وقالوا من شكا الى عاجز اعاره عجزه وامده من
جزعه ٥ ومن لطيف الاشاره ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن
عمر في اخيه ابي بكر ان يوليه القضا فاشار به فبعث الى ابي بكر فامتنع عليه فبعث
زياد الى عبيد الله يستعين به على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله اترى
لي القضا قال اللهم لا قال زياد سبحان الله استشرتك فاشرت علي به ثم اسمعك
تنهاه فقال ايها الامير استشرتني فاجتهدت لك الراي ونصحتك ونصحت المسلمين واستشا دني
فاجتهدت له راي ونصحته ٥ ويروى ان الحجاج بعث الى المهلب يستعجله حرب الازارقه
فكتب اليه المهلب ان من البلا ان يكون الراي لمن يملكه دون من يبصره فصل
في النصيحه اعلموا ان النصح للمسلمين والخلايق اجمعين من سنن المرسلين قال الله
تعالى مخبرا عن نوح عليه السلم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم ٥ وقال شعيب النبي عليه السلم ونصحت لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن
عباده الله فله اجره مرتين ٥ وروى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان

الدين النصيحه ان الدين النصيحه ان الدين النصيحه قيل لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم والنصح في الجمله فعل الشي الذي
به الصلاح والملايمه ماخوذه من النصاحه وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها
نصيحه تقول العرب هذا قميص منصوح اي مخيط ونصحته نصحا اذا
خطته ويختلف النصح في الاشيا لاختلاف الاشيا فالنصح لله هو وصفه بما
هو اهله وتنزيهه عما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع
له ظاهرا وباطنا والرغبه في محابه والتباعد عن مساخطه وموالاه من اطاعه
ومعاداه من عصاه والجهاد في رد العصاه الى طاعته قولا وفعلا وارادة في جميع
ما ذكرناه في عباده والنصيحه لكتابه اقامته في التلاوه وتحسينه عند القراه
وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم
ما فيه للخلايق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب والنصيحه للرسول صلى الله عليه وسلم موازرته
ونصرته والحمايه من دونه حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والحياطه لتعنته
في بث الدعوه وتاليف الكلمه والتخلق بالاخلاق الطاهره والنصيحه للايمه ومعاونتهم
على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفله وارشادهم عند الهفوه وتعليمهم
ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السو واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعيه
وسد خلتهم عند الحاجه ونصرتهم في جمع الكلمه عليهم ورد القلوب النافره اليهم والنصح
لجماعه المسلمين والشفقه عليهم وتوقير كبيرهم والرحمه لصغيرهم وتفريج كربهم
ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم وفتح باب الوسايس عليهم

ومن النصيحه

ومن النصيحه للمسلمين دفع مونه نفسه وبدنه وحوايجه عنهم وقال الاصمعي
لقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواه من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها
في الدار وقال ياكلها دابه والنصح لجميع الملل ان تحب اسلامهم ودعوتهم الى الايمان
بالقول وتحذيرهم سو مغبه السلطان الكفر ان بالسيف ان كان ذا سلطان
ويكفون عن قتال المسلمين فيكونون ذمه والا فالقتل نصحا لله لاقامه امره فيهم
وروى معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل
لله ومناصحه ولاه الامر والاعتصام بجماعه المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورايهم
وقال جابر بن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعه
فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يومن عبد حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه وقال ابو الدردا العلم
بلغه البر والفاجر والحكمه ينطق بها البر والفاجر والنصيحه لله سبحانه لا تثبت
الا في قلوب المنتجبين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعه النصيحه
مره لا يتقبلها الا اولو العزم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم
الله امرا اهدى الي عيوبي وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز
قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره
وقال ملك النصيحه لله في ارضه هي التي بعث بها انبياه ومن امر الاسلام
القصد والنصيحه لعباد الله تعالى في امورهم فالنفوس مستثقله للنصح نافره
عن اهله مايله الى ما وافق هواها وفي منثور الحكمه احبك من نصحك وقلاك من
مشى في هواك وللثعالبي في نثره من احبك نهاك ومن ابغضك اغراك

وكان يقال اخوك من حمل ثقل نصيحتك ه وقال بعضهم

عرضت نصيحة مني لزيد فقال غششتني والنصح مر
وما لي ان اكون نصحت زيدا وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد اتاني ان زيدا يقال عليه في نفعا شر
فقلت له تجنب كل شي يقال عليه ان الحر حر

وقال اخر

وعلى النصوح نصيحتي وعلى عصيان النصوح

وقال القطامي

ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم انا النذير فلا يغرركم احد
لا شي مما ترى تبقى بشاشته الا الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولوا عاد فما خلدوا

وقال وهب بن منبه انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه وقالت العلما لا تنصح امرا لا ينصح لنفسه ه وقال بعضهم رايي ورايك في المعرفة امثل لنفسك من رايك لانه خلي من هواك ه وقال ابو الدردا ان شيتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض نصحا ه وروي ان رجلا لطم ابرهيم بن ادهم رحمه الله عليه فرفع راسه الى السما وقال الهي انك تبتليني وتعافيه ولا تبتليني ولا تعافيه ومن الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم ه

الباب الثامن والعشرون في الحلم

قال الله تعالى

قال الله تعالى ان ابرهيم لحليم اواه منيب وقال فاصفح الصفح الجميل ه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصفح الجميل الرضا بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضا بلا توبيخ فيه ولا حقد معه ه ومن الامثال القديمة كاد الحليم ان يكون نبيا ويروى ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى قال لا تغضب واعلم ان الحلم اشرف الاخلاق واحقها بذوي الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد واحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة اود الخلايق وممارسة اخلاقهم ولا يطيعونه به في حال سلمهم وانما يغشون بابه في حال تنازعهم وخصوماتهم وشرورهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معهم حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت حمل ثقيل ه وكان انوشروان ذا حلم واناة وكان يقول في خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا يعني الحلم والاناة ه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلم لقي عيسى بن مريم عليهما السلم فقال يا روح الله اخبرني باشد الاشيا في الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجيني من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس ه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجبت محبة الله على من غضب فحلم والذي يحله يضرب المثل في هذا الباب قصة اسحق عليهما السلم قال له ابرهيم عليهما السلم اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين ثم تله للجبين وامر على حلقه بالسكين فلم يفعل الاخير فقال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم ه وفي الاخبار يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم اياس منه وان كان يحيي الموتى بدعايه فانه يابى عليه

ساعة صحبته فيها فضل فيه الى ما يريد ٥ ويروى ان جعفر بن محمد دخل على
الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا امير المومنين انك انما تغضب لله
تعالى فلا تغضب له باكثر من غضبه لنفسه ٥ واعلم ارشدك الله ان هذه
الكلمة لا ينبغي لها والله اعلم حيث يجعل رسالاته لانك اذا كنت ايها السلطان
انما تتصرف في ملك الله تعالى بامر الله فالله سبحانه قد حد حدودا وشرع
شرايع واقام فرايضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة
حد المحدود او نهى ان تجاوز ذلك الحد ولا يقتل من استحق القطع والحبس
والادب ولا يحبس غير من استوجب الحبس وكانت الخلفا يودبون الناس
على قدر منازلهم فمن عثر من ذوي المروات اقيلت عثرته ولم يقابله بشي لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيات عثراتهم ومن سواهم كان ينال
على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قايما في مجلس يجلس فيه نظراوه فتكون هذه
عقوبته والاخر يشق جيبه والاخر ينزع عمامته من راسه والاخر يكلم بالكلام الذي فيه
بعض الغلظة ٥ قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمن وعلي رضي الله
عنهم اذا اخل الرجل منهم بثغره نزعت عمامته وطيف به في المسجد وقيل هذا
اخل بثغره فلما ولي زياد ضربهم ونزع عمايمهم فلما ولي مصعب بن الزبير حلق مع
الضرب روسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسمرها
بمسامير ثم نزع الكراسي من تحت رجليه حتى يخرق يده فمن ميت ومن حي فلما ولي
الرجل المعروف بالحجاج قال كل هولا يلعب فمن اخل بثغره ضرب عنقه ٥ وقال
ارسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الشريفة يوثر فيها الكلام اليسير

وفيه قيل من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

واعلم ان من تجاوز بالعقوبة فوق ما حد الله تعالى فيها شارك المجرم في الذنب
واستوجب ما استوجب المجرم من العقوبة وتبين بالاخرة انه انما يعاقب للهوى والتشفي
اذ انما غضب لله تعالى ٥ وفي كتاب سليمن بن داود عليهما السلم القاهر لنفسه اشد
ممن يفتتح المدينة ويقهر جنودها وحماتها ويقتل ابطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى
اسيرا في ذل هواه قد قهرته قينة بطنبورها او قدح خمر يذهب بعقله ٥ وقال
اكثم بن صيفي الصبر على جرع الحلم اعذب من جنا ثمر الندم ٥ وسال علي بن ابي طالب
كبيرا من كبرا فارس عن احمد ملوكهم عندهم فقال لاردشير فضل السبق
غير ان احمدهم سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كانت اغلب عليه قال الحلم
والاناة فقال علي هما توامان ينتجهما علو الهمة ٥ ومن محمود السيرة ان يعرف الناس
من خلقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخايف ورجا
الراجي ٥ وقال محمود الوراق ٥

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان عظمت منه علي الجرايم
فما الناس الا واحد من ثلثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف فضله واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته نفسي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول اسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن بك
جنبيك جمرة الغضب واردد اساته بالحلم فان شجر الاس اذا الحت عليها الرياح

تحاكت اعضا نها وتشعل نارًا او يحترق من اصولها فيكون منها الطبا شير
بلا شك ٥ وقال عمر بن عبد العزيز ثلث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب
لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر عفا وكف
وسيل جعفر بن محمد عن حد الحلم فقال كيف يعرف فضل شيء لم ير كماله
وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه
في احدة ٥ فان انصف والا فاحذره وقال الشاعر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا فمن قبل ان تبداه بالود اغضبه
فان كان في حال الغضب صابرا والا فاصرم حبله وتجنبه

وكان سلم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فاخذ
فاتي به اليه فقال ما الذي فعلت اما خشيت انتقامي قال فلم سودناك الا ان
تكظم الغيظ وتعفوا عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحمل المكروه في النفس
والمال فخلا سبيله

فقال فيهم

يسود اقوام وليسوا بسادة بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما انت عبد فقال والله لاعطينك
عطية ما يعطيها العبيد فاعطاه مايه راس من السبي ٥ ومن امثال العرب
احلم تسد ٥ ويروي ان هشاما غضب على رجل من اشراف الناس فشتمه فوبخه
الرجل وقال اما تستحي ان تشتمني وانت خليفة الله في ارضه فاستحيا هشام
وقال اقتص فقال اذا انا سفيه مثلك قال فخذ لك عوضا من المال فقال ما
كنت لافعل قال فهبها لله تعالى قال هي لله ثم لك فنكس هشام راسه وقال

والله

والله لا اعود لمثلها

وقال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح احلام

وقال اخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا ولو اننا شينا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لي الاحنف بن قيس فقال يا امير المومنين ان شيت
اخبرتك عنه بثلث وان شيت باثنين وان شيت بواحدة قال اخبرني عنه بثلث
قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فاخبرني عنه باثنين قال
كان يوثر الخير ويتوقى الشر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان اعظم الناس
سلطانا على نفسه ٥ وقال اكثم بن صيفي الغلبة والعز للحلم ٥ وقال الاحنف وجدت
الحلم انصر لي من الرجال وصدق الاحنف لان من حلم كان الناس انصاره كما روي
ان رجلا اسرع في شتم بعض الادبا وهو ساكت فجي له بعض المارين في الطريق وقال
رحمك الله الا انتصر لك قال لا قال ولم قال لاني وجدت الحلم انصر لي من الرجال
وهل جانيت الي الاحلم ٥ وقال رجل لعمرو بن العاصي والله لاتفرغن لك قال الان
وقعت في الشغل ٥ وقال عبد الله بن عمران رجلا من كان قبلكم استضاف قوما
فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا انبح ضيف اهلي الليلة فعوى جراها في بطنها
فبلغ ذلك نبيا لهم او قيل من انبيائهم فقال مثل هذا مثل امة يكونون بعدكم يظهر سفهاوها
على حلمايها ٥ وقال الاحنف اياكم وراي الاوغاد قالوا وما راي الاوغاد قال الذين
يرون الصفح والعفو عارا ٥ وسيل الاحنف عن الحلم فقال هو الذل تصبر عليه ولتثبت

حليم ولكني صبور ه ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار قومه بني تميم
نازي على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت اذا سبني
استحييت من سخف الشباب ورغبت عن غلبه اللئام والسفله وكان اذا
سبني تهلل وجهه وسمحت نفسه بان ظفر بفضل الفخر وسد المروه وخلع ربقه
الحيا وقله الاكتراث بسوء الثناء ه ومر المسيح عليه السلم على قوم من اليهود
فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له في ذلك فقال كل ينفق مما عنده ه وقال
اكثم بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفر النعمه لوم وصحبه الجاهل شوم
ولقا الاخوان غنم والمياسره يمن ومن الفساد اضاعه الزاد ه وسب الشعبي
رجل بقبايح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان (وسب الشعبي رجل صح)
كنت صادقا فغفر الله لي ه وقال رجل لابي بكر الصديق لاسبنك سبا يدخل
معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل لا معي ه وقال رجل للاحنف بن
قيس ان قلت لي كلمه لتسمعن عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت لي عشرا
لم تسمع مني واحده ه ويروى ان رجلا سب الاحنف وهو يماشيه في الطريق
فلما قرب من المنزل وقف الاحنف فقال يا هذا ان كان بقي معك شي فقله ها هنا
فاني اخاف ان يسمعك فتيان الحي فيؤذوك ونحن لا نحب الانتصار ه وسب رجل بعض
الحكما فقال له الحكيم لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب

وقال لقيط بن زراره

فقل لبني سعد فما لي وما لكم   ترقون مني ما استطعتم واعنق
اغركم اني باحسن سيره   بصير واني بالفواحش اخرق

وانك

وانك قد ساببتني فقهرتني   هنيئا مريئا انت بالفحش احذق

وقال رجل لابي ذر انت الذي نفاك معويه من الشام لو كان فيك خير ما نفاك
فقال يا ابن اخي ان ورايي عقبه كوودا لا يقطعها الا من خف فان نجوت منها لم
يضرني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت ه وقال لقمن لابنه يا بني ثلثه لا يعرفون
الا عند ثلثه لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ
الا عند الحاجه اليه ه وسب رجل بعض الحكما فاعرض فقال له اياك اعني
فقال له الحكيم وعنك اعرض ه وفي هذا المعنى قيل

قل ما بدا لك من زور ومن كذب   حلمي اصم واذني غير صما

وقيل يوما للاحنف ما احلمك فقال لست بحليم ولكني اتحالم والله اني لاسمع
الكلمه فاحم لها ثلثا ما يمنعني من جوابها الا ان اسمع شرا منها قال الشاعر

وليس يتم الحلم للمر راضيا   اذا كان عند السخط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للمر موسرا   اذا كان عند العسر لا يتجشم

ويروى ان رجلا سب جعفر بن محمد فقال اما ما قلت مما هو فينا فانا نستغفر
الله منه واما ما قلت مما ليس فينا فانا نستغفر الله لك فيه الى الله تعالى
وقال بعض الحكما احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب
الله تعالى ه وقال اكثم بن صيفي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه
لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق انه لمفسد ه ومن اشعر
ما قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا   اصبت حليما او اصابك جاهل

[illegible]

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طاير ٥ وقال اعرابي ان الغضب
عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم ٥ قال صعصعة بن صوحان
الغضب مفدحه العقل فربما اضله وربما ازيد ٥ وقال اعرابي اذا جا الغضب اضله
تسلط العطب فكان ابن عون اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بارك
الله فيك ٥ وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل كان يقوم على راسه كتابا
وقال اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الي فكان فيه اسكن فلست باله انما
انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه
السيرة اول من سنها ملك تبع امر ان يكتب في كتاب اسكن فلست باله
وقال لصاحبه اذا غضبت اعرضه علي وكان اذا غضب اعرضه عليه فاذا
قراه سكن غضبه ٥ وقال معويه افضل ما اعطى الرجل الحلم فاذا ذكر ذكر
واذا اعطى شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا اسا استغفر
واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامه ومن عصى الحق
عمره الذل ٥ وقال بعض الحكما كظم الغيظ حلم والحلم صبر والسفه ضرب من الجزع
وقال الحرا اول الغضب جنون واخره ندم ٥ وقال بعض الحكما اذا غلبت على الرجل
اربع خصال فقد عطب الرغبه والرهبه والشهوه والغضب ٥ وقيل لبعض الصالحين
ان فلانا يقع فيك فقال لاغيظن من امره يغفر الله لي وله قيل ومن امره قال
الشيطان ٥ وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكر
اشيا رحمتك منها قال فهل سمعتني اذكره بشي قال لا قال فاياه فارحم ٥ وقال
فضيل ثلثه لا يلامون على الغضب المريض والصايم والمسافر ٥ وقال الاحنف بن

قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري اني لجالس معه في فنايه وهو يحدثنا
اذ جات جماعه يحملون قتيلا ومعهم رجل ماسور فقيل هذا ابنك قتله اخوك
فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم انشا يقول

اقول للنفس تاسيا وتعزيه احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم قال لابنه قم فاطلق عمك ووار اخاك وسق الى امه مايه من الابل فانها غريبه
ومن امثل بيت قالته العرب قول بعضهم ٥

وقال غيره

فصح بالخير خرس بالخنا دح الاخلاق مرد بيال الازر
باحلام عاد لا يخاف جليسهم اذا نطق العورا غرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سو استماعهم وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلم ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوه من لم يرد الغضب
وما عباده من لم يتواضع لله تعالى ٥ وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك
ويثلبانك فلو عاقبتهما قال هم بعد العقوبه اعذر في ثلبي وتنقصي ٥ ويروى
ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب قد اردف ابنه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير
ساكت فلما ولى قال له ابنه لم يا ابه سكت عنه قال يا بني افا وسع جرحي
وقال بعض الحكما ما اشفى غيظي حين اقدر فقال لو عفوت ام حين اعجز
فيقال لو صبرت ٥ وسيل بعض اصحاب الاحنف اكان الاحنف يغضب
قال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغيظه الشي فيتبين في وجهه اليومين والثلثه
وهو صبور حليم ومن لم يغضب من الاشيا التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضايل

وسخفه فيكون ذلك سببا لزوال الغبطة ٥ ومنها ان يتذكر انعطاف القلوب
اليه وانطلاق الالسنة بالثنا عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان
السفه ذل وشين ٥ روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما ازداد رجل بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله تعالى ٥ وقال بعض الحكماء
من يذكر قدرة الله تعالى لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله ٥ وكتب بعض
ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب
ما لك وللغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ٥ وكان
معوية كثيرا ما ينشد ٥

انا اذا مالت دواعي الهوى … وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بارائهم … نقضي بحكم عادل فاصل
نخاف ان تسفه احلامنا … فنخمل الدهر مع الخامل

وقال بعض البلغا اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اعترتك في الغضب العزة … فاذكر تذلل الاعتذار

وقال عنترة

ذررنا على غير الفواحش قمصنا … ولم نستجر الا الذي هو اجوز

وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهرون يا امير المومنين اسالك بالذي انت بين يديه
اذل مني بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني
فعفى عنه لما ذكره قدرة الله عليه ٥ وقال رجا بن حيوة لعبد الملك بن
مروان في اسارى بني الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله

ما يحب من العفو ٥ وقال المامون لعمه ابرهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه
اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك
فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا امير المومنين ان المشير اشار عليك بما
جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته
من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشا يقول

البر بي منك وطا العذر عندك لي … فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي … مقام شاهد عدل غير متهم

وقال بعض الحكما الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم ٥ ومنها
ان يتذكر ما يوول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وشروع القصاص
في بدنه بين يدي من لا يرحمه فان ذلك مما يزعه عن غضبه ٥

الباب الثلاثون في الجود والسخاء

وهذه الخصلة العظيم قدرها الجليل موقعها الشريف موردها ومصدرها
وهي احد قواعد المملكة واساسها وتاجها وجمالها تعنوا لها الوجوه وتذل
لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة وتسترق لها الاحرار وتستمال بها الاعدا
وتستكثر بها الاوليا ويحسن بها الثنا ويملك بها القربا والبعدا ويسود
بها في غير عشايرهم الغربا وهذه الخصلة بالعزايم الواجبات اشبه منها بالجمال
والمتممات وكم قد راينا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغا عرض
من الدنيا باله وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في ارض الشرك افتتانا بيسير
من عرض الدنيا وما خلق بخصلة يترك بها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه

ان تكون جليلة القدر عظيمة الخطر واحوج خلق الله اليها اقدرهم الى عطف
القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة واعلموا يا معشر من وسع الله
عليه دنياه واسبغ الآءه عليه ونعماه انه ليس في الجنة وحسبك بكلمة لا تدخل
الجنة سقوطا وضعة وانما اشتقت الجنة على ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
وهذه الجملة اعني الجود والكرم والسخا والايثار بمعنى واحد ويوصف الباري
تعالى بالجود ولا يوصف بالسخا لعدم التوقيف وحقيقة الجود الا يصعب عليه
البذل وقيل السخا هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وامسك
البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر
وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار وقال ذو النون بداية السخا ان
تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو اماني ايدي الناس والاشتغال من اكل
الدنيا تذاكر قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا
ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من احب شيئا اكثر من ذكره واقل السخا
هو السماحة وان تاتي بما تاتيه عن طيبة نفس وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب
عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطا وان منع ولهذا
قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا في الازل وان لم يقع منه عطا في الازل
والعطا فعل والفعل في الازل مستحيل وقالت الحكما ايها الجامع لا
تخدعن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ۝ وقال ابو هريرة جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

يلتمس

يلتمس شيئا فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه
الليلة فقال رجل من الانصار انا يا رسول الله فحمله الى منزله وقال لاهله هذا
ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ما
عندنا الا قوت الصبية قال فقومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي وابرزي
فاذا اخذ الضيف ياكل فقومي كانك تصلحين السراج فاطفيه وتعالي نمضغ السنتنا
لضيف رسول الله ففعلت وجعلا يمضغان السنتهما والضيف يظن انهما ياكلان
وباتا طاويين فلما اصبحوا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم لهما وتبسم وقال لقد
عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ۝ وقال انس اهدي لبعض الصحابة راس شاة مشوية وكان
مجهودا فوجهه بها الى جار له فوجه به الجار الى اهل بيت اخر فتداولته سبعة
ابيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي في القتلى ومعي
شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت له اسقيك
فاشار ان نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام
فقلت اسقيك فسمع اخر يقول اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا
هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات
وروت عايشة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب
من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس

بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله من العابد البخيل
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن ادم ليس لك من مالك الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او اعطيت فامضيت واعلم ان السخا على وجوه سخا في الدين
وسخا في الدنيا فالسخا في الدنيا البذل والعطا وسماحة النفس قال الله تعالى ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال ومعاشرة
الاخوان مسرور قلبه بذلك والسخا في الدين ان تسخو بنفسك ان تتلفها في الله
تعالى وتريق دمك سماحة في الله من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا
ولا اجلا وان كان غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبه حسن كمال
السخا ترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تحسن ان تختاره ه وقيل لعمر
بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سيل الحليم اذا استجهل الكريم
المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره ه وقال النعمن بن المنذر يوما لجلسائه
من افضل الناس عيشا واطيبهم بالا واكرمهم طباعا واجلهم في النفوس قدرا فسكت
القوم فقال فتى ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت ه وقال
الحسن باع طلحة بن عثمان ارضا بسبع مائة الف فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت
هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما اصبح
وعنده منها درهم ه وكان اسما بن خارجة يقول ما ارد احدا عن حاجة لانه ان
كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عنه عرضي ه وكان مورق
العجلي يتلطف في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند احدهم الف درهم ويقول امسكوها
حتى اعود اليكم ثم يرسل اليهم فيقول انتم منها في حل ه وقال العتبي اعطى الحسن

بن الحكم بن عبد المطلب جميع ما عنده فلما فرغ ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه
يريد الغزو ومات بمنبج فاخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم
وهو مملق لا شي معه فاغنانا قيل كيف اغناكم وهو مملق فقال ما اغنانا بمال
ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا واكرم العرب في الاسلام
طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فساله برحم بينه فقال هذا حايطي بمكان كذا وكذا
وقد اعطيت به ستمائة الف درهم فراح له بالعشي بالمال وقال ان شيت فالمال وان
شيت فالحايط ه وروي ان رجلا بعث الى حسله بجاريه فوافاه بين اصحابه فقال
قبيح ان اخذها لنفسي وانتم حضور واكره ان اخص بها احدا منكم وكلكم له حق
وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية
او وصيف ه وقيل لقيس بن سعد هل رايت قط اسخا منك قال نعم نزلنا بالبادية على امراة
فحضر زوجها فقالت انه قد نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شانكم فلما كان
من الغد جاء باخرى فنحرها وقال شانكم فقلنا ما اكلنا من التي نحرت البارحة
الا اليسير فقال اني لا اطعم اضيافي الغاب فبقينا عنده اياما والسما تمطر وهو
يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمراة اعتذري لنا
منه ومضينا فلما طلع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام
اعطيتمونا ثمن القرى ثم انه لحقنا وقال لتاخذوها والا طعنتكم برمحي فاخذناها
وانصرف ه وقال ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شي فليصحب اهل القبور
وقال ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله
فقد هناه واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه ه وقال الحسن بن كان

بجاريه

كان احدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين ه وقال الغيرة في كل شي
شرف الا في المعروف :. وقيل للحسن لا خير في السرف قال لا سرف في الخير
فقلب اللفظ واستوفي المعنى نظمه محمد بن حبيب فقال

لا الفقر عار ولا الغنا شرف ولا سخا في طاعة سرف
مالك الا اشيا قدمته وكل شي اخرته تلف

واما طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما سمي بهذا
الاسم لانه كان عظيم النبل في كل وجه وكان يشتري الرقاب ويعتقها
وكان كل معتق يولد له ابن ذكر سماه طلحه فسمي طلحه الطلحات وبلغه
ان معلمه كان في الكتاب في الحجاز قد قعد به الدهر فارسل اليه مع غلامه بمايه
الف وقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد او عقب فهما الى ولده وان لم يكن له
ولد ففرقها على قومه فوافاه الرسول وقد مات ولم يعقب ففرقها على قومه ه وقال
زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن ادم امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنه
ونهاك ان تكون لئيما فتدخل النار :. وقال حكيم بن حزام ما اصبحت وطا ببابي
لم ار سائلا طالب حاجة الا عددتها مصيبة ارجو ثوابها ه وقال ابو علي
الثقفي المعروف كنز لا ينفد من بر ولا فاجر :. وكان الزبير اجود الناس
واشجعهم فلما مات وجد عليه مايه الف درهم :. ووجد مكتوبا على حجر
انتهز الفرصه عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك واعلم ان تقتيرك
على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته ه وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك

وروى مالك

وروى ملك في الموطا ان مسكينا سال عايشه وهي صايمه وليس في بيتها
الا رغيف فقالت لمولاتها اعطيها اياه ففعلت فقالت مولاتها لو ابقيت لنفسك
شيا تفطرين عليه فما امسينا حتى اهدى لها اهل بيت شاه وكفنها يعني ملفوفه
بالرغفان فقالت لي عايشه هذا خير من قرصك ه وقال عبد الله بن عمر ما كان
احدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيا ه وقال الحسن
كنا نعد البخيل من يقرض اخاه الدرهم ه ومن عجيب ما ذكر في الايثار ما ذكره
ابو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى احرقوه
فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعه من الذين احرقوا الخان وكتب
رقاعا فيها القتل والقطع والجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعه فعل به ما
فيها فوقعت رقعه فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت ابالي لولا ام لي
وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي ام فخذ رقعتي
واعطني رقعتك ففعل فقتل ذاك وتخلص هذا ه وحكي عن ابي العباس الانطاكي انه اجتمع
عنده نيف وثلثون رجلا بقريه بقرب الري ولهم ارغفه لم تسع جميعهم فكسروا
الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما ان رفع اذا الطعام
بحاله لم ياكل واحد منهم ايثارا لصاحبه على نفسه ه وروي انه اجتمع بالرمله
جماعه من ارباب القلوب فحضر طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد
منهم يمد يده فان ظفر بحبه حصرم اكله وان ظفر بطيب دفعه لصاحبه
ولم ياكله فلما رفع الطبق واصبح الصباح اذا الطيب بحاله لم ياكلوا منه
شيا ه وقال بعض الرواه دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد

تعرّي من الثياب فقلت يا ابا نصر الناس يريدون من الثياب في هذا اليوم وانت
قد نقصت فقال ذكرت الفقرا وما هم فيه ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت
ان اوافقهم بنفسي في مقاساة البرد وقال الاستاذ ابو علي الدقاق سعى غلام
غلام خليل القدري بالصوفيه الى الخليفه ورماهم بالزندقه فامر بضرب اعناقهم
فاما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب ابي ثور واما الشحام
والرقام والنوري فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم النوري
امامهم فقال له السياف لماذا تتقدم وتسابق وما الذي يعجلك قال اوثر اصحابي
بحياة ساعه فتحير السياف وانها الخبر الى الخليفه فردهم الى القاضي
ليتعرف حالهم فالقى القاضي على ابي الحسين النوري مسائل فقهيه فاجاب
عن الكل ثم اخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله
وسرد الفاظا حتى ابكى القاضي فارسل الى الخليفه وقال ان كان هولا
زنادقه فما على وجه الارض مسلم فامر باطلاقهم ه ولما مرض قيس بن سعد بن
عباده استبطا اخوانه في الزياره فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين
فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزياره ثم امر من ينادي الا من كان لقيس
عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد ويروى
ان عبد الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعه له فنزل على نخل قوم
وفيها غلام اسود يقوم عليها فاتي بقوته ثلثه اقراص ودخل كلب فدنى من الغلام
فرمى اليه بقرص فاكله ورمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي

بارض كلاب وانه جا من مسافه بعيده فكرهت رده فقال ما انت صانع اليوم
قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله الام على السخا ان هذا لاسخى مني فاشترى
الحايط والغلام وما فيها من الالات وعتق الغلام ووهب ذلك له ه وقال النوري
رايت محمد بن سرافه بالعراق صاحب مايه الف وبالمشي سالنا له من اصحابه خبرة وقال
ابو عبد الرحمن دخل ابو عبد الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غايبا وهناك
بيت مقفل فكسر القفل وامر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانفذوه الى السوق وباعوه
واصلحوا لهم وقتا من ثمن ذلك المتاع فجا الرجل فلم يقل شيا فدخلت امراته بعدهم الدار
وعليها كسا فدخلت بيتا ورمت بالكسا وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع
فبيعوه فقال لها زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت له اسكت مثل هذا الشيخ
يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه ه واما عبد الملك بن بحر فورث خمسة
الاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال اما كنت بالامس اسال لاخواني الجنه في صلاتي
وابخل عليهم بمالي ه ويروى ان الاشعث بن قيس ارسل الى ابن عدي بن حاتم يستعير
منه قدورا كانت لابيه حاتم فملاها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغه
وقال بزرجمهر لا عز اثبت اركانا ولا اقدم بنيانا من عز بيت الكرم واكتساب الشكر
وذلك ان عز العظيم بالفعل الجميل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وكثر بالمعروف
فقد ظفر بمناواه وربح الشكر والثواب ه وروي ان عبد الله بن ابي بكر وكان احد
الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امراه فاخرجت كوزا وقامت خلف
الباب وقالت تنحوا عن الباب وليا خذه بعض غلمانكم فاني امراه من العرب مات خادمي
منذ ايام فشرب عبد الله الما وقال يا غلام احمل اليها عشرة الاف درهم فقالت سبحان

الله فقال يا غلام احمل اليها ثلثين الفا فقالت اسل الله العافيه فقال يا غلام
احمل اليها ثلثين الفا فما استتم حتى كثر خطابها ه وقال بعض الرواه قصد
رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربع مايه درهم
على دين فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت امراته هلا
تعللت واعتذرت الى الرجل حين شقت عليك الاجابه فقال لم ابك الا لاني لم افتقد
حاله حتى احتاج الى معاودتي في مكاشفتي ه وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا
يقع فان وقع وجد متكا ه وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا ه وروي عن
امراه من العباد انها قالت لهرم بن حيان وهو في جماعه من اصحابه ما السخا عندكم حبان بن هلال
قال البذل والايثار قالت فما السخا في الدين قال ان تعبد الله سبحانه سخيه
به نفسك غير مكرهه قالت اتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم لان الله تعالى وعد
على الحسنه بعشر امثالها قالت فاذا اعطيتم واحده واخذتم عشره باي شي سخيتم
وانما السخا ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون
بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع الله على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيا بشي ه
وقالت بعض العابدات لبعض العابدين اظن السخا في الدينر والدرهم فقط انما السخا
في بذل مهج النفوس لله سبحانه ه وقال ابو بكر الدقاق ليس السخا ان يعطي الواجد
المعدم انما السخا ان يعطي المعدم الواجد ه وقال ابو بكر بن عبد الرحمن كان
الاستاذ ابو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يكن يناول احدا شيا بيده وانما كان يطرحه
في الارض فيتناوله الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان ارى من
اجلها يدي فوق يد احد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى

وكان يتوضا يوما في صحن داره فدخل عليه انسان فساله شيا فلم يحضره شيا
فقال اصبر حتى افرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمه واخرج فلما علم انه بعد صاح
وقال دخل انسان واخذ القمقمه فمشوا واخلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم
كانوا يلومونه على البذل ه

وفي معناه قيل

ملات يدي من الدنيا مرارا فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاه مال وهل تجب الزكاه على جواد

وكان ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعرا فقال له ما عندي ما اعطيك ولكن
قدمني الى القاضي وادع علي بعشره الاف درهم اقر لك بها واحبسني فان اهلي لا يتركوني
محبوسا ففعل ذلك فلم يمسوا حتى دفعوا اليه عشره الاف درهم ه وقال زياد بن جرير
رايت طلحه بن عبد الله فرق مايه الف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده ه ولما دخل المنكدر
على عايشه رضي الله عنها قال لها يا ام المومنين اصابتني فاقه فقالت ما عندي شي ولو كانت
عندي عشره الاف لبعثتها اليك فلما خرج من عندها جاتها عشره الاف من عند خالد
بن اسيد فقالت ما اسرع ما ابتليت فارسلت بها في اثره فدخل السوق فاشترى جاريه
بالف درهم فولدت له ثلثه اولاد فكانوا عباد المدينه محمد وابو بكر وعمر
بنو المنكدر رحمه الله عليهم اجمعين ه وقال يحيى بن معين جاجر بن يزيد في
دار للطلب فجا انسان يساله فقال للغلام اذهب الى الجواري فقل لمن تريد منهن
ان تصبغ ثيابها فتبعث بها فجا الغلام بثياب كثيره فقال للسايل خذها وانصرف ه وقال
الاصمعي كانت حرب بالباديه ثم اتصلت بالبصره فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس
بالصلح على ان يودوا كل قتيل اصيب في تلك الحرب فاجتمعوا في المسجد الجامع قال
فمضيت وانا غلام الى ضرار بن عمرو والقعقاع ابن ادم في شمله فاستاذنت عليه

فادنى لي فاذا هو في شملة تخبطنوا العنز له حلوب فخبرته بمجيء القوم
فامهل حتى اكلت العنز ثم غسل القصعه وقال يا جاريه غدنا فاتته بزيت
وتمر فدعاني فقدرته ان اكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين
ملقى في الدار فغسل به يده ثم صاح يا جاريه اسقيني ما فاتته بما فشربه ومسح
فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصره بزيت الشام متى يودى شكر لله
هذه النعمه ثم قال علي بردائي فارتدا به على تلك الشمله قال الاصمعي فتجافيت
عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حبوه الا
حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان من الاحيامن الديات في ماله وانصرف
وكان الهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطي للسجان كل يوم دينارا فاستنكره
اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن عماره سمعت الثوري يقول اذا كمل صدق
الصادق لم يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبلها وقال سالتك بالله انت سمعته يقول
فحلف بالله لقد سمعته يقول وقال الشاعر

ذريني اكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا تحمدي غبه غدا
اريني جوادا مات هزلا لعلني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا

وكان عبد الله بن ابي بكر ينفق على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره
واربعين امامه واربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوه في الاعياد ويعتق في كل
عيد مائة مملوك فاشترى يوما جاريه بعشرة الاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل
هذه دابتي فقال احملوها على دابته الى داره قال عبد الله بن زهير

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني تروح وتغدو بالملامة والقسم

٩١

تقول هلكنا ان هلكت وانما على الله ارزاق العباد كما زعم
واني احب الخلد لو استطيعه وكالخلد عندي ان اموت ولم الم — اموت

روي ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المومنين لي اليك
حاجه الحيا منعني ان اذكرها فقال فخطها في الارض فخط فيها اني فقير فقال
لغلامه يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحله فقال الاعرابي

كسوتني حله تبلى محاسنها فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن ثنائي نلت مكرمه ولست تبغي بما قد نلته بدلا
ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدات به كل امرى سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي زده مائة دينار فاعطاها اياه فلما ولى [illegible] قال قنبر يا امير المومنين لو
فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شانهم فقال له مه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
وقال مطرف بن الشخير اذا اراد احدكم حاجه مني فليرفعها الي في رقعه فاني اكره
ان ارى في وجهه ذل الحاجه ونزلت على القاضي ابي الوليد وانا اسمعه

وامره بالبخل قلت لها اقصري فليس الى ما تامرين سبيل
ارى الناس خلان الكرام ولا ارى بخيلا له في العالمين خليل
واني رايت البخل يزري باهله فاكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته اذا نال خيرا ان يكون ينيل

ولعروة بن الورد

واني امرؤ عافي انائي شركة وانت امرؤ عافي انائك واحد

أتضحك مني ان سمنت وان ترى جسمي شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسوا قراح الماء والماء بارد

وقال بعض الحكما أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاوها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وروي انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع ثم امر ان يشترى له نصف ربع القفيز من طعام فقيل له تبيع وتشتري فقال انا افرح اذا فرح الناس واحزن اذا حزنوا

وقالت ام حاتم طي

لعمري لقد ما عضني الجوع عضة فآليت الا امنع الدهر جايعا
فقولا لهذا اللائم الآن اعفني فان انت لم تستطع فعض الاصابعا
فهـ[illegible] وكيف ترى لي بان ام الطبايعا

وقال اخر

ا[illegible] لا بارك الله بعدا لعرض في المال
احتال للمال ان اودى فاجمعه ولست للعرض ان اودى بمحتال

وروي ان رجلا سأل الاحنف بن علي شيا فاعطاه خمسين الف درهم وخمسين مائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فاتاه بحمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كرا الحمال من قبلي وروي ان الليث بن سعد سالته امراة سكرجة عسل فامر لها برق عسل فقيل له في ذلك فقالت انها سالت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعمتنا وروي ان رجلا استضاف بعبد الله بن عامر بن كريز فلما اراد الرجل ان يرحل لم تعنه غلمانه فسال الرجل عن ذلك فقال له عبد الله انهم لا يعينون من يرحل عنا

وفي معناه • قال المتنبي اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلثون
في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال في النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال في الشح اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشح يبنى على الازاله فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان يطمع الرجل فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخا النفس عما في ايدي الناس افضل من سخا النفس بالبذل وقال رجل لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت سمعنا الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شي فقال ليس بالشح الذي ذكر الله تعالى لكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس الشي البخل ففرق بينهما كما ترى وقال ابن عباس من اتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل الرجل بما في ايدي الناس والبخل ان يبخل بما في يديه روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بري من الشح من ادى الزكاة وقرا الضيف واعطى في النايبة وقال ابن زيد من لم ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يدع شيا

شيئا امره الله به فقد وقاه الله شح نفسه ٥ وقال ابو الهياج الاسدي رايت
رجلا في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك شيئا فسالته عن شح 2
ذلك فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن
بن عوف واعلم ان البخل يكون من سوء الظن بالله الا يخلف ولا يثيب وهذا
يوهم التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر
بين العبد وبين الخالق وبين العبد والخلق في ترك معاونتهم والنصح لهم وقال
كسرى لاصحابه اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر
لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع ابدا ٥ ولما قدم الشافعي من صنعا الى
مكة كان معه عشرة الاف دينار فقيل له تشتري بها ضيعة فضرب خيمته خارج
مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جا وقت
الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شي ٥ ولما قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلني
فكان الرجل غايبا فلما قدم اخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين الف درهم
دينا فقضاها وقال هذا غسلي اياه ٥ وروي ان رجلا اراد ان يوذي عبد الله بن
عباس فاتى وجوه البلد فقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فاتوه فملوا
الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر ان يشترى الفواكه في الوقت وامر بالخبز والطبخ
واصلح القرى فلما فرغ قال لوكلايه اموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال
فليتغد هولاء كل يوم عندنا الى انقضا شهره ٥ ومن الخصال الجاريه مجرى الجمال
والكمال الحلم ولعلهما من الاصول الصبره

الباب الثاني والثلثون في الصبر

92

الصبر زمام الخصال وزعيم بالغنيمة والظفر وملاك كل فضيله وبه ينال
كل خير ومكرمه قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل
بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فجميع وظايف الدين ذكر
الله تعالى ورسوله له جزا معلوما الا الصبر فانه مجانا بغير حساب وقال وجعلنا ثم
ايمة يهدون بامرنا قيل لما صبروا عن الدنيا ٥ وقال ابن عيينه لما اخذوا براس لما صبروا
الامر جعلهم الله روسا ٥ وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وقال
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود
الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره
وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنه نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
فاخبر الله تعالى انه اتاهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معاصي الله
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي احبس نفسك فمن امارات
حسن التوفيق وعلامه السعاده الصبر في الملمات والرفق عند النوازل ٥ وفيما يروى ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه السلم يا داود من صبر علينا وصل الينا ٥ وقال سفين بلغنا ان لكل
شي ثمره وثمره الصبر الظفر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم
وصابروا عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار
الصلوات بدليل ما روى ابو هريره قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يحط
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو عند المكاره

كثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط. وقال
الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر
وبالقمر فصبر وابتلاه بذبح ولده فصبر. وقال سبحانه وتعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين فبدا بالصبر قبل الصلاة ثم قال فوكد اعظمها فجعل نفسه مع الصابرين
دون المصلين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم
ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطا
خير واوسع من الصبر. وقال ابن مسعود قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل
من الانصار انها لقسمة ما اريد بها وجه الله فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فشق
عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال قد اوذي موسى باكثر
من هذا فصبر. وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على امراة تبكي على قبر فقال لها
اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل هذا رسول الله
جات اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت ساصبر فقال النبي عليه السلم انما الصبر عند الصدمة
الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهان اما الطابي فقال معناه ان الصبر محمود عند نزول
المصيبة وقد فاتك بالجزع. واما القابسي فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي
صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول او نسيان او غلبة
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الايمان فقال الصبر والسماحة. وفي منثور
الحكم قالت الصحة انا لاحقة بارض المغرب قال الجوع وانا معك قال الايمان انا لاحق
بارض الحجاز قال الصبر انا معك قال الملك انا لاحق بارض العراق قال العقل انا معك. واعلم
ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط بعد القدرة ومثال ذلك

كالقدر على النار ان كان ما وها قليلا اغلت بيسير من النار وان كانت مملوة لم
تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها. وفي كتاب جاويذان خرد وليس للعجم كتاب
مثله قال محرم على السامع تكذيب القايل الا في ثلث من غير الحق صبر الجاهل على مضض
المصيبة وعاقل العض من احسن اليه وحماه احسن كسنه.

فصل واعلم ان الصبر على
اقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على الكسب على قسمين صبر
على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نها الله عنه فاما الصبر على ما ليس بكسب للعبد كصبره
على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة. وينقسم من وجه اخر على اربعة اقسام
فاول اقسامه الصبر على امتثال امر الله سبحانه والانتها عما نها الله عنه. والثاني الصبر على ما
فات ادراكه من مسرة او نقصت او فاته من مصيبة. والثالث الصبر فيما ينتظر ورود
من رغبة يرجوها او يخشا حدوثه من رهبة يخافها. والرابع الصبر على ما نزل من مكروه او حل من
امر مخوف وجميع اقسامه محمود بكل لسان وفي كل ملة وعند كل امة مومنة او كافرة. وقال
اكثم بن صيفي من صبر ظفر. وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبوا والقناعة
سيف لا ينبوا. وقال اردشير الصبر الادراك. وقال عليه السلم الصبر ضيا وبالصبر يتوقع
الفرج. وقال عليه السلم الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب. وقال ابن عباس افضل
العدة الصبر على الشدة. وقال عبد الحميد الكاتب لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب لو كان
الصبر والشكر مطيتان ما باليت ايهما ركبت. وقال بعض الحكما بالصبر على مواقع المكروه
تدرك الحظوظ. وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام
اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات
الحمر ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا. وفي منثور

الحكم من احب البقا فليعد للمصايب قلبا صبورا ٥ وقال بزرجمهر لم ار ظهيرا على نقل
الدول كالصبر ولا مذلا للحساد كالتجمل ولا مكسبة للاحباب كتوقي المزاح
ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروة كاستعمال الهزل في مواضع الجد
فاما القسم الاول وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتها عن محارمه فبه يصح اداء
الفرايض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
ولذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد
وقال الجنيد المسير من الدنيا سهل هين على المومن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من
النفس الى الله تعالى شديد والصبر مع الله تعالى اشد ٥ وسيل عن الصبر فقال تجرع
المرارة من غير تعبيس ٥ وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم
العبد انه اواب قال واعجبا اعطى واثنى ٥ وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة
وقال عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله عليها وقواه ومن
عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها ٥ وقال عمر بن عبد العزيز
للقاسم بن محمد اوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر ٥ وقال الحسن الصبر
صبران صبر عند المصيبة وصبر عند ما نهى الله تعالى عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر
بالخوف والرجا من خاف شيا صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية ما يجد من ضرره ومن رجا
شيا صبر على طلبه ليظفر به ٥ واما القسم الثاني وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة
او نقصت او فاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طايعا استراح
واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر ٥ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه للاشعث
بن قيس ان تجزع فقد استحق منك ذلك الرحم وان تصبر ففي ثواب الله خلف من ابنك ان

صبر

صبرت جرى عليك القلم وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مازور

ونظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك الماثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة … فتوجر ام تسلو سلو البهايم
خلقنا رجالا للتجلد والعزا … وتلك الايامي للبكا والماتم

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا
وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا ٥ وقال الحسن والله لو كلفنا الجزع ما قمنا به
فالحمد لله الذي اجرنا على ما لو نهانا عنه لصرنا اليه ٥ وعن هذا قالت الحكما الجزع اتعب
من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر
احسن صورة واكرم طبيعة ولكان الصبر اولاهما بالغلبة لحسن الخليقة وكرم الطبيعة
وقال بعض العلما وكل الناس الى الجزع لجاوا الى الصبر ٥ وقال شبيب بن شيبة للمهدي
ان احق ما صبر عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه وانشده

وقال اخر

واذا نبتك مصيبة فاصبر لها … عظمت مصيبة مبتلا لا يصبر
وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن … فقيدك لا ياتي واجرك يذهب

وقال بعض الحكما ليس بمجموع له الرشد من تتابع اللهف على فايت او اكثر الفرح
عند مستطرف ٥ وقال الحكيم ان كنت جازعا على ما يفلت من يديك فاجزع على ما لم
يصل اليك ومن ايقن ان كل فايت الى انقضا حسن عزاوه عند نزول القضاه

وقال الشاعر

اذا طال بالمحزون ايام صبره … كساه ظنا طول المقام على الصبر
ولا شك ان الصبر يحمد غبه … ولكن انفاقي عليه من العمر

وقال بعض الحكما الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهاده
والترقب فمن اشتاق الى الجنه سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات
ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيات ه واما
القسم الثالث وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبه يرجوها او يخشى حدوثه من
رهبه يخافها فبالصبر واللطف يدفع عاديه ما يخاف ويبال نفع ما يرجوا قال
النبى صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله بالصبر عباده ه وقال محمد بن بشير ه

ان الامور اذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تايسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظا بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقال بعض الرواه دخلت مدينه يقال لها ذمار فبينا انا اطوف فى خرابها اذ رايت مكتوبا
على قصر خرابه ه يا من الح عليه الهم والفكر وغيرت حاله الايام والغير

اما سمعت بما قد قيل فى مثل عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا احداثها طرقت فاصبر فقد فاز اقوام بما صبروا
وكل ضيق سياتى بعده سعه وكل فوت وشيك بعده الظفر

وتحته مكتوب بخط اخر لو كان كل من صبر اعقب الظفر صبرت ولكن اجد
الصبر فى العاجل يفنى العمر ويدنى من الفقر وما كان اصلح لذى العقل موته وهو
طفل والسلم ه قلت لو رايت لكتبت تحته فى الصبر استعجال الراحه وانتظار
الفرج وحسن الظن بالله واجر بغير حساب وفى الجزع استعجال وتهك البدن واستبعاد
الخيبه وسو الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبه وما احسن بذى العقل اجتناب هذا

والسلم

96

والسلم ه وقال بعض العلما من صبر نال المنا ومن شكر حصن النعما ه وقال الشاعر

الصبر مفتاح كل خير وكل شر به يهون
اصبر وان طالت الليالى فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله
ما انعم الله على عبد نعمه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه افضل مما انتزعه منه ه
وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ه وروى ان جاريه كانت لعلى رضى الله عنه تتصرف فى
حوايجه وكلما خرجت تصدا لها خياط كان يقرب دار على ويقول لها والله انى لاحبك فى
الله فلما اكثر من ذلك شكته الى على فقال لها على اذا قال لك مره اخرى فقولى له والله
انى لاحبك ما الذى تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وانا والله احبك فيه فقال تصبرين
واصبر حتى يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فرجعت الجاريه واخبرت مولاها فدعا على رضى
الله عنه الخياط فوجد امره على الصحه فوهبها له مع نفقه يستعين بها ه وقال على رضى
الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل لا يذل باول نكبه
ولا يفرح باول رفعه ه وكان يقال الصبر سلامه والطيش ندامه ه واما القسم الرابع
وهو الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فبالصبر ينفتح فيه وجوه الاراء وتتوقا
مكايد الاعدا قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرايل بما صبروا ه وقال
واصبر وما صبرك الا بالله وقال واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ه وروى ابن عباس
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل
فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج
مع الكرب واليسر مع العسر ه وقال على رضى الله عنه الصبر مناصل الحدثان والجزع
من اعوان الزمان ه وقال الحكيم بمفتاح عزيمه الصبر تعالج مغاليق الامور والشد وا

إنما أجزع مما أتقي ... فإذا حل فما لي والجزع

ولما حبس أبو أيوب في الحبس خمسة عشر سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب
إلى بعض إخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته

صبرا أبا أيوب صبر مبرح ... فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فإن الصبر يعقب راحة ... فلعلها أن تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها أبا أيوب كتب إليه

صبرتني ووعظتني فأنا لها ... وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرما به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرما، ولتميم بن المعز

سأسكت صبرا واحتسابا فإنني ... أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول
عذابي أن أشكو إلى الناس إنني ... عليل ومن أشكو إليه عليل
وإن الذي يشكو إلى غير نافع ... ويشكو اما في نفسه لجهول بدائه

وأنشدوا

دع الدهر يجري بمقداره ... ويقضي عجائب أوطاره
ونم نومة عن ولاة الأمور ... وخل الزمان فإنك ترحم من قد غبطت ... وتضحك من فتح أثاره

وأنشد بعضهم

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني ... عليل ومن أشكو إليه عليل
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه ... عليم بما ألقاه قبل أقول

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله

لطاهر الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

وصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر من صبر في الله على
المكاره فتارة يعجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا يعجز والصبار الذي لو دفع عليه
جميع البلايا والمحن لم يتغير من وجه الحقيقة وإن تغير من وجه الرسم والبشرية والخلقة
كما قال القائل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح الصبور يا صبر صبرا
وهذا أقوى بيت قيل في الصبر وأحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الأيام صبرا أصارني ... إلى أن نادى الصبر لا صبر للصبر

والصبور هو الثابت على هذه المقامات، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق
بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور، ويقال الصبر لله عنا والصبر بالله بقا والصبر
في الله بلا والصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفاه وأنشدوا

إذا لعب الرجال بكل شي ... رأيت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمال

وقال المحاسبي بين الصبر والتصبر حالة هي السعة وذلك إذا دفع الله له علما من أعلام الآخرة
يدله على منازل الصابرين عنده متنعم القلب بسرور النعم، وقال أبو محمد الحريري الصبر ألا
يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو التسلي مع البلايا ووجود
أثقال المحبة وأنشدوه

صبرت ولم أطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سرا فيجري ولا أدري

وقيل للمحاسبي بماذا يقوى الصابر على صبره فقال إذا علمت أن في صبرك رضا مولاك

أما سمعت قول الحكيم ه

رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطي من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

وفي معناه قيل

ساصبر كي ترضى واتلف حسرة وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري

قال شيخنا رحمه الله لم تخبه اعظم من تحملك لنفسك هذا ايوب لما اصيب لنفسه قال مسني الضر ويعقوب لما اصيب بحبيبه قال يا اسفا على يوسف ه قال احمد قال لي ابو سليمن الداراني اتدري بما ازال العقلا اللايمة عمن اسا اليهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا وان ويروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه انزلت بعبدي بلايي فدعاني فما طلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شي به ارحمك ه وقيل في قوله تعالى واصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث ه قال الناس ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر

ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ه

ومما يعين على عظم الاسا وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى وتردد الاسف

وقال الشاعر

لا تكثر الشكوى الى [illegible] وارجع الى الخالق لا المخلوق

لا يخرج العرق بتعريق ه

وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين واعلم انه ما من صبر على شدة الا ونال ما يرجوه من فرج ه وينبغي لمن نزلت به مصيبة او كان في شدة ان ينبغي يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر ما تيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع

والاعمال

من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها لمخلوق بقا فاذا تصور حقيقتها تجد بين المصايب سهلة والمصايب هينة ه وقال الشاعر

الحوادث

يمثل ذو اللب في نفسه مصايبه قبل ان تنزلا فان نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا

راى الامر يفضي الى اخر فصير اخره اولا

وقال بعض الحكما من حاذر لم يجزع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه ما ذكرنا من احوال الدنيا وتقضي المسار ثم الثوى في اللحود بين اطباق الترب والجنادل قد فارقه الاحبا واسلمه الالبا وهجره القربا والبعدا الفته الحوادث واتفقا فسلبته الصبر وضاعفت عليه الاسى ه وقال ابن الرومي ه

ان البلا يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف فهو غير مطاق

وانشدوا

تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني حسن العزا الى الصبر

ووسع صدري للاذى كثرة الاذى وان كنت احيانا يضيق به صدري

وحسن لي ياسي من الناس كلهم لعلي بصنع الله من حيث لا ادري

ولبعض الاعراب

تعز فان الصبر بالحر اجمل وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغني ان يرى المرء جازعا لنازلة او كان يغني التذلل

لكان التعزي عند كل مصيبة ونازلة بالحر اولى واجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه وما لامرئ عما قضى الله مزحل

فان تكن الايام فينا تبدلت ببوسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا تستطيع فتحمل
وقينا بفضل الله منا نفوسنا فصحت لنا الاعراض والناس هزل

الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلم يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف عليه السلم رؤياه بمشهد امراة يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل ٥ وفي الحديث استعينوا على قضا الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ٥ واعلم ان كتمان السر من الخصال المحموده في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك ومن الفرايض الواجبة على الوزرا وجلسا الملوك والاتباع قال علي رضي الله عنه سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امنا الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من خزان الاموال و حفظ الاموال ايسر من كتم الاسرار فان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وعب الاسرار اثقل من عب الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل [illegible] سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن جاشه وكانما القى عن نفسه جبلا ٥ وقال عمر بن عبد العزيز القلوب اوعية والشفاه اقفالها والالسن مفاتحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ٥ ومن العجب الامور ان اعلاق الدنيا كلما كثرت

خزانها كان اوثق لها الا السر فانه كلما كثر خزانه كان اضيع له وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ماربه ولو كتمه امن من سطواته ٥ قال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات ٥ وقال بعض الحكما سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك فاذا تكلمت به فقد ارقته ٥ وكان لعثمن بن عفان رضي الله عنه كاتب اسمه حمران فاشتكى عثمن فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى بماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمن اعاهد الله لا يساكني حمران ابدا ونفاه الى البصره فلم يزل بها حتى قتل عثمن رضي الله عنه ٥ واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في انية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يملك سره ٥ ويروى ان رجلا اودع سره عند رجل فقال له افهمت قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت ٥ وقيل لبعضهم كيف كتمك للسر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال الشاعر ٥

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت مني الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سرايره اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن احسن شي سمعته في كتمان السر ما [illegible] بعض فقها البصرة بالبصرة فقال ٥

ولها سراير في الضمير طويتها نسي الضمير بانها في طيه
وفي معناه
ومستودعي سرا كتمت مكانه عن الحس خوفا ان ينم به الحس

وخفت عليه من هوى النفس شهرة فاودعته في حيث لا يبلغ النفس (يعني القتل)
قال العتبي اسر معوية رضي الله عنه الى عثمان بن عنبسة حديثا فقلت لابي
ان امير المومنين اسر الي حديثا افاحدثك به قال لا من كتم حديثه كان الخيار
له ومن اظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا
فقلت يا ابه ايدخل هذا بين الرجل وبين ابيه قال لا ولكن اكره ان تذلل
لسانك بافشا السر قال فحدثت به معوية رضي الله عنه فقال اعتقك اخي من
رق الخطاه وقيل لبعض الملوك ما اصعب الاشيا على الانسان قال ان يعرف
نفسه ويكتم سره ه وقال قيس بن الحطيم

اجود بمكنون التلاد واني ... لسرك عمن سالني لظنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه ... بنث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني ... كتوم لاسرار العشير امين
يكون له عندي اذا ما ضمنته ... مكان بسويدا الكا اد مكين (الفؤاد)

قال شيخنا قلت الناس يقولون زاد بالاثنين المودع والمودع ولا يريد ان
تريد به الشفتين ه وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره
فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانه ه قلت واذا كانت
امانه حرمت فيها الخيانه كالامانه في الاموال ه وقال ابو بكر بن حزم انما يتجالس
المتجالسان بامانه الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره ه وقال
هشام بن عروه ما من رجل ينقص من امانته الا نقص من ايمانه ه وقال جعفر بن عثمان

١٠٠

يا ذا الذي اودعني سره ... لا ترج ان تسمعه مني
لم اجره قط على فكرتي ... كانه لم يجر في اذني

وكان عمرو بن العاص يقول ما افشيت سري الى رجل فافشاه فلمته اذ كان
صدري به اضيق ه وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر احدكم بسره حتى يحدث به ثم
يقول اكتمه علي ه وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا
(اذا المرء افشا سره بلسانه ولام عليه غيره فهو احمق)
فيخون وانشدوا اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر اضيق
وفي منثور الحكم من افشا سره كثر عليه المتامرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ ... وسر الثلاثة غير الخفي
وقال آخر
ولا تنطق بسرك كل سر ... اذا ما جاوز الاثنين فاشي
وقال آخر
تبوح بسرك ضيقا به ... وتبغي لسرك من يكتم
وكتمانك السر فيما تخاف ... وفيما تحاذره احزم
وقال آخر
اذا ذاع سرك من مخبر ... فانت اذا لمته الملوم
اذا ما ضاق صدرك عن حديث ... وافشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من افشا حديثي ... وسري عنده فانا الملوم

وقال الحكيم ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته
لمزيه بعضيه من صديق مساهم او استشاره ناصح مسالم فمن صفات امنا الاسرار ان
يكونوا ذا عقل ودين ونصح ومروه فان هذه امور تمنع من الاذاعه وتوجب حفظ الامانه
ومن كملت فيه فهو عنقا مغرب ولا تودع سرك عند من يستودعه فان طالب الوديعه
خائن ه قال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك فالطالب للسر مذيع

وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه وان
اودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك اسهل عليك من التململ بتمليك
سرك غيرك ∴ واعلم ان افشا سر غيرك اقبح من اظهار سر غيرك نفسك لانه يبوح
باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان موتمنا او النميمة ان كان مستخبرا وقال
بعض الحكما لابنه يا بني كن جوادا بالمال في مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع
الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وكان يقال
صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجال لا يتركون اديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا

وقال غيره
مرارة الكتمان اعذب من شي تحاذر من عواقبه ... احذر لسانك من جوانبه ما كل مكتوم يباح به
هذا هو الوقر فصحت به ضحك الحسام الى الصادر ... ليس الهوى ما كنت تعرفه ايام تلعب في جوانبه

الباب الرابع والثلثون

في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وضجيعة بالمزيد من النعماء والالاء من
ذي الجلال وهي الشكر

قال الله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلم وقد اتاه ملك الدنيا والجن والانس والطير
والوحش والرياح تجري بامره كيف اراد فلما استمكن ملكه قال عليه السلم هذا من
فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر فما عدها نعمة كما عدها ملوك الارض ولا
حسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنها ملوك الارض بل خاف ان يكون
استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في امة اراد هلاكهم سنستدرجهم من

من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين فاني العسير اصيب عليهم النعم
وانسيهم الاستغفار وانما الفرح بما اوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار
بزبرجها من شعار الكفار الا ترى الى قول قارون اللعين انما اوتيته على علم عندي
فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ∴ ولما خاف سليمن عليه
السلم ان يكون استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك
بغير حساب ∴ واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظا للنعم فقط بل هو مع حفظه
لها زعيم بزيادة النعم وامان من حلول النقم ∴ والشكر على ثلث مراتب شكر بالقلب
وشكر باللسان وشكر بالجوارح فاما الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو ان تعلم
ان النعمة من الله وحده وان لا نعمة على الخلق من اهل السموات والارض الا وبدايتها من
الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك معرفة نعم الله تعالى عليك
وعلى غيرك وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله تعالى على نعمه التي اسديت
الى غيره والدليل على ان الشكر محله القلب قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اي اعتقدوا
انها من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه قوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اي اتقوني فانه شكر
نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد فقال تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم
لعلكم تشكرون والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه
الخضوع ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة ∘ وقال
ابو عثمن الشكر معرفة العجز عن الشكر ∘ وروي ان داود عليه السلم قال الهي كيف اشكرك
وشكري لك نعمة من عندك فاوحى الله تعالى اليه الان قد شكرتني ∘ وقال وهب

ن منبه قال داود عليه السلام الهي ابن آدم ليس منه شعرة الا تحتها نعمة وفوقها
منك نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني اعطي الكثير وارضى باليسير
وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني . وفي هذا ايصال الشكر على الشكر
اتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعم
تشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر ايضا
واجب .

ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن اقر بنعم الله واحسانه فقد ادى بقدر ما كلف لان احدا لا يمكنه ان يوازي شكر نعم
الله تعالى . وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت فكيف
شكرك فقال ان تعلم ان ذلك مني فكان معرفته بذلك شكره لي .

فصل

واما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل
يعني القرآن وحكم الآية عام في جميع النعم . وروى النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بالنعم شكر . وقال تعالى حكاية عن اهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تذاكروا النعم فان ذكرها شكر . وكتب
عدي بن ارطاة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذي يقال له نهر عمر

اني حفرت لاهل البصرة نهرا اعذب لهم مشربه وجادت عليه اموالهم ولم ار لهم
على ذلك شكرا فان اذنت لي قسمت عليهم ما انفقت عليه . فكتب اليه عمر بن عبد العزيز
اني لا احسب اهل البصرة خلوا من رجل قال الحمد لله حين حفر هذا النهر وان الله قد
رضيها شكرا من جنته فاردد بها شكرا من نهرك والسلام . وحقيقة الشكر في هذا القسم
الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بانه شكور حقيقة فشكر
العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر الله للعبد ثناؤه عليه باحسانه واحسان الرب
للعبد انعامه عليه . وهذه اللفظة ماخوذة من قولهم دابة شكور اذا ظهرت من
السمن فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور اذا كان يمتلئ المحاسن ظاهرها
وفي الحديث يقول الله تعالى انا والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
غيري . وقال بعضهم انما اوتي الناس لانهم في موضع صبر وهم يحسبون انهم في موضع شكر

فصل

واما الشكر الذي على الجوارح فقول الله تعالى اعملوا آل داود شكرا
وقليل من عبادي الشكور فجعل العمل شكرا . وقال عطا دخلت على عايشة مع عبيد بن عمير
فقال لها عبيد يا ام المومنين حدثينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي فراشي حتى مس جلدي
جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت له فقام
الى قربة من ما فتوضا واكثر صب الما ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره
ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جا بلال فاذنه بالصلوة
فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل علي ان في خلق السموات والارض فجعل النبي

الاوراد والاعمال بالجوارح شكراً . وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى
انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال افلا اكون عبداً شكوراً . قال ابو هرون دخلت على ابي حازم فقلت
له رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيراً اذعته وان رايت بهما شراً سترته
قلت له فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيراً حفظته وان سمعت بهما شراً نسيته
قلت له فما شكر اليدين قال الا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قلت
فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبراً واعلاه علماً قلت فما شكر الفرج قال كما قال
الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فان انت فعلت فانت الشاكر حقاً . وفي حكمة ادريس عليه السلم لن يستطيع احد ان
يشكر الله تعالى على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعاً الى الخلق مثل ما صنع به الله
تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكراً فان فيها ما هو اشد ملازمة من غيرها فالطاعات
في مواساة الفقرا اشكل بالشكر على الغنا من غيرها لانها من جنس النعمة واذا اردت ان تحرس
دوام نعم الله تعالى عليك فادم مواساة الفقرا والطاعة في رفع ذي الضعة والخمول والتذلل
بغير معصية اشبه بالشكر على رفع قدرك والتنويه باسمك والطاعة في تمريض الفقرا وتلطيف
اعذارهم اشبه بالشكر على العافية من ساير الطاعات والطاعة في الشفاعات عند
السلطان وقضا حوايج الغربا والاخوان اشبه بذوي الجاه من ساير الطاعات وعلى هذا المثال
ينبغي ان يقابل ساير نعم الله تعالى الى العبد . ومن العبارات الجامعة للشكر ان يقال معرفة بالجنان
وذكر باللسان وعمل بالجوارح .

فصل في الكلام على الزيادة

قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني

استجب

استجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على الغنا ثم يبتلى بالفقر
ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده . وقال قوم معناه لازيدنكم
نعم الاخرة . فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والا خرويه
وان تفاضلت واختلفت فكلها متجانسة من حيث انها نعمة . وقال قوم معناه لازيدنكم
خيراً والخير والصلاح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سال
الله تعالى ان يعطيه مالاً او يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال انفقه في المعاصي
او وهبه الصحة اصرف صحته الى المشي في الاثام فالمنع هاهنا موهبة من الله تعالى جزيلة
وعن هذا قال العلما منع الله تعالى عطا . وقال قوم ممن يقدر الاستثنا لئن شكرتم لازيدنكم
الا ان تعصوا فاعاقبكم بالحرمان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو اصلح من ان اعاقبكم في الاخرة والناس
لا يسلمون من الذنوب ولو تهيا ان يسلموا من الذنوب ادرت الزيادات قال الله تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال استغفروا
ربكم انه كان غفاراً يرسل السما عليكم مدراراً ويمددكم باموال وبنين . وقال قوم الاية
خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر الله على الحياة . قال الشيخ
قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يطلع
عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا راينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه
انه قد اخل بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يزكيه او يزكيه لغير اهله او يؤخره عن وقته
او يمنع حقاً واجباً عليه فيه من كسوة عريان واطعام جايع وشبهه فيدخل فيه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده . قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم اذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله تعالى ما بهم من الاحسان

واذا كان قوم في ظل العافيه فان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم بترك ادب او اخلال بحق او المام بذنب كما قال بعضهم ادنى الشكر ان لا
تعصى الله تعالى بنعمه فان جوارحك كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تعصيه بها ويحتمل
ان يكون معنى الايه ان شكرتم لازيدنكم ان شيئا الا ترى انه قال ومن كان يريد حرث
الدنيا نوته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يوتونه فيكون التقدير نوته منها
لمن نشا بدليل قوله تعالى في الايه الاخرى عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد وهكذى قوله
تعالى ادعوني استجب لكم ترى ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجيب لهم ولكن معنى
الايه استجيب لهم ان شيت ولمن شيت بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان
شا وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن تسع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت لا تعصي الله تعالى بنعمه
قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمه ؞ فان قيل ما معنى قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما يحصل من الافعال في الوجود يمكن احصاوه قلنا
نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاوه ودفع البلايا نعم لا يمكن احصاوها وما
يدفع الله عنهم تعالى في مقدوره من ذلك وما يدفع عن العبد لا يحصى ٥ **فصل** ثم عدنا الى قول
العلما والحكما في الشكر فقال بعض الحكما موضع الشكر من النعمه موضع القرى من الضيف
ان وجده لم يرم وان عدمه لم يقم واجمعت حكما العرب والعجم على هذه اللفظه فقالوا الشكر
قيد النعم ؞ وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة وجب اجرها خير من نعمه
لا يودي شكرها ؞ وقال بعض الحكما من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد
ومن اعطي التوبه لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخاره لم يمنع الخيره ومن اعطي المشوره

لم

لم يمنع الصواب ٥ وكان يقال اذا رعيت النعم بالشكر فهي اطواق واذا رعيت بكفر
فهي اغلال ٥ قال حبيب

نعم اذا رعيت بشكر لم تزل نعما فان لم ترع فهي مصايب

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزياده فيما بقي
منها ولا ينتهي ويامر الناس بما لا ياتي يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم ويبغض المسيين
وانت منهم ٥ تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك ٥ وقال المغيره بن شعبه
اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقا للنعمه اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت
وان الشكر زياده من النعم وامان من النقم ٥ وكان الحسن يقول ابن ادم متى يفك من شكر النعم وانت
مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر
من نعمة الا الى ما هو اعظم منها ٥ وقال سفين لما جا البشير الى يعقوب عليه السلم قال على
اي دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله الان تمت النعمه ٥ وروي ان عثمن
بن عفان رضي الله عنه دعي الى قوم لياخذهم على ريبة فافترقوا قبل ان يبلغهم فاعتق
عثمن رقبة شكرا لله تعالى الا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم ٥ وروي ان
الحسن بن علي التزم الركن وقال الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم تجدني صابرا
فلا انت سلبت النعمه بترك الشكر ولا انت ادمت الشده بترك الصبر الهي ما يكون من
الكريم الا الكرم ولا من الجاني الا الجفا ٥ وقال عون بن عبد الله الخير الذي لا شر فيه
الشكر مع العافيه والصبر عند المصيبه ٥ وروي ان نملة قالت لسليمان بن داود عليه السلم
يا نبي الله انا على قدري اشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا ثم قال لولا
اني اجلك لسالتك ان تنزع مني ما اعطيتني ٥ وقال صدقه بن يسار بينما داود عليه السلم

ومما اطلع الى الحسن بعضهم الى الدرج
مناك الحمد لله الذي ... سنة

في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبو الله تعالى بخلق هذه
فانطقها الله تعالى فقالت يا داود لا تعجبك نفسك لانا على قدر ما اتاني الله اذكر
لله واشكر له منك فيما اتاك

والمحمود الوراق

الاهي لك الحمد الذي انت اهله على نعمة ما كنت منك لها اهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وكان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى
فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى فجيء بمحبوس مجوسي مبطون وقيد فجعل حلقة
في رجله وحلقة في رجل المجوسي فكان المجوسي يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان
يقوم معه ويقف على راسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال
الى متى تقول واي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه
في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع

ولبعضهم

ومن الرزيه ان شكري صامت عما فعلت وان برك ناطق
ارى الصنيعة منك ثم اسرها اني اذا لبد الكريم لسارق

وقال رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى
لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ماذا كنت تصنع. ولما بشر
ادريس عليه السلم بالمغفره سال المغفره فقيل له فيه فقال لا شكره فاني كنت اعمل قبله
للمغفره فبسط الملك جناحه فرفعه الى السماء. ويروى ان نبيا من الانبيا عليهم السلم
مر بحجر صغير يخرج منه الما الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت
الله تعالى يقول وقودها الناس والحجاره وانا ابكي من خوفه فدعا النبي عليه السلم

ان يجيره الله من النار فاوحى الله تعالى اليه اني اجرته من النار فمر النبي صلى الله عليه وسلم
ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه مثل ما كان فتعجب فانطق الله تعالى الحجر فقال له لم
تبك هناك ذلك بكا الحزن والخوف وهذا بكا الشكر والسرور. وروي ان الله تعالى
اوحى الى موسى عليه السلم ارحم عبادي المبتلا والمعافى فقال الهي ما بال المعافى فقال
لقلة شكرهم على عافيتي اياهم. واولا رجل اعرابيا بالحسنا فقال لا ابلاك الله
بلا يعجز عنه صبرك وانعم عليك نعمه يعجز عنها شكرك.

وانشد بعضهم

ساشكر لا اني اجازيك منعما بشكري ولكن كي يقال له الشكر
واذكر اياما لدي اصطنعتها واخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وانشدوا

اوليتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها

ولبعض الاعراب

الهي قد احسنت عودا وبداة الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري اقراري بان ليس لي عذر

وكان مطرف يقول الهي منك تكون النعمه وعليك تمامها وانت تعين على شكرها
وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال الله تعالى في الثناء على بعض عباده
انه كان عبدا شكورا وقال شاكرا لانعمه اجتباه وكذلك سائر ما اثنى
الله على عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وان
احسنتم احسنتم لانفسكم ليس للرب تعالى فيها لا قليل ولا كثير فانه اجل من ان
ينال الحظوظ واجل من ان يلحقه ثناء مثن او شكر شاكر فاخبر ان العلو والجلال
له دون غيره وانه يتقدس عن الناس ثناء مثن او كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم

ليغفر لكم فواعجبا اعطا وانثني :: وقال علي رضي الله عنه كفر النعمه داعيه
المقت ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر مما اخذ منك وحقيق من اسديت
اليه نعمه او قضيت له حاجه ان يكافي فان لم يقدر فليشكرها فان شكرها فقد
اداها وقال الشاعر ه

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لرفعه بال او علو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه فقال اشكروا لي ايها الثقلان

وقال البستي :

لئن عجزت عن شكر برك قوتي واقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاعتي لافلاك مما وليتنيه مراكز

وقال اسحق الموصلي وقفت علينا امراة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا ابن ابيه
الشكر وفارقنا الغنا وحالفنا الفقر فرحم الله امرا فهم بعقل واعطا من فضل
وواسا من كفاف واعان على عفاف وانشدوا

فلو كان للشكر شخص يبين اذا ما تامله الناظر
لمثلته لك حتى تراه فتعلم اني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير يحركه الكلم السائر

وقيل للسري ما الشكر فقال المكافاه على قدر الطاعه قيل فما اللغو قال ترك الجزا
ولو بالثنا قيل وهل يلون احد اتخل ممن يخل بالثنا قال نعم من عاد على الصنيعه ه

الباب الخامس والثلاثون
في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمامور ويستريح اليها

الرئيس

الرئيس
والمروس مستخرجه من القران العظيم ه قال الله تعالى وما من دابة
في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فاثبت الله تعالى المماثلة
بيننا وبين ساير البهايم ومعلوم انهم لا يماثلونا في خلقنا واشكالنا ولا في عقولنا
وساير ما تدركه العين منهم ومنا فبقي المماثلة في الاخلاق فلا احد من الخلايق
الا وفيه خلق من اخلاق البهايم ولهذا تجد اخلاق الخلايق مختلفة فاذا رايت من الانسان
خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق ساير الحيوان فالحقه به وعامله كما
كنت تعامله تجنيد تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة فاذا رايناه
الرجل في خلايقه الغليظة في طباعه القوي في بدنه الذي لا يومن طغيانه وافراطه فالحقه
بعالم النمور والعرب تقول احمق من نمر وانت اذا رايت النمر بعدت عنه ولم تخاصمه
ولا تسابنه فاسلك بالرجل كذلك ه واذا رايت الرجل الغالب على اخلاقه السرقة خفيه
والنقب ليلا على وجه الاستتار قلنا هذا يماثل عالم الجرد فدع ملاحاته ومخاصمته
سباب الجرد اذا افسد رحلك ثم اخبار حالك بما يصلح له ه واذا رايت متحاملا على اعراض
الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان داب ذلك الرجل ان يجفو من لا يجفوه ويبتلي
بالاذيه من لا يوذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا انبح السب تذهب في شانك ولا
تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يشتم عرضك مثل ذلك واذا رايت الرجل يحمل على الخلاف
ان قلت لا قال نعم او قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان داب الحمار ان ادنيته بعد وان
ابعدته قرب وانت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تفارقه واذا رايت رجلا يطلب
عثرات الناس وسقطاتهم فمثله في الذباب كمثل الادميين لذباب في عالم الطير فان
الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع النغلة منه وذوات المادة

والدم والنجاسه وإذا رأيت سلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم
الاسود وخذ حذرك منه كما تاخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه كما
قال النابغه ولا قرار على زارٍ من الاسد ه واذا رأيت بانسان خبيث كثير الروغان
والمفاخره فالحقه بعالم الثعالب ه واذا رأيت بانسان يمشي بالنمايم ويفرق بين الاحبه
فالحقه بعالم الظربان يقول العرب عند تفرق الجماعه فسا بينهم ظربان فتفرقوا وخاصيه
هذه الدويبه اذا حصلت وسط جماعة ان تفرقوا وكما ان الجماعه اذا اقبلت نحوهم
هذه الدابه طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك ينبغي اخراج النمام من بين الجماعه
فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق فيما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض ه واذا رأيت انسانا
لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلما والحكما ويالف سماع اخبار الدنيا وساير الخرافات
وما يجري في مجالس العوام فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبه اكل العذرات ويالف
روايح النجاسات ولا تراه الا ملابسا للاخليه والرجاسات وينفر من روايح المسك والورد واذا
طرح عليه المسك والورد مات ه واذا رأيت انسانا دابه حفظ الدنيا لا يستحيي في
الوثوب عليها فالحقه بعالم الاحديه بان تكن زحلك عنه ه واذا رأيت ما لرجل عليه
الديانه والمسكنه فالحقه بعالم وقد نصب اشراكه لاقتناص الدنيا واكل الحرام
واموال الودايع والامانات والارامل واليتامى فالحقه بعالم الذباب وهو كما
قال فيه القايل ذئب تراه مصليا فاذا اخلوت به ركع (مررت؟)
يدعو وجل دعايه ما للفريسه لا ينفع عجل بها يا ذا العلا ان الفواد قد انصدع
واحترز منه كما تحترز من الذئب ه واذا رأيت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان
الكذاب كالميت في الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر لميت وكما لا تصحب الموتى

لا تصحب الكذاب وقد قيل كل شي شي وصحبة الكذاب لا شي ويجوز ان يلحق بعالم
النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ثم يترك واحده على وجه الرمل والاخرى
تحت طاقه من الرمل وساير بيضه في قعر الحفره فاذا راه الغير ياخذ تلك البيضه وينصرف
او يكشف عن وجه الرمل فيجد الاخرى فيظن انه ليس ثم شي اخر والخبير بحاله النعام
اذا راى البيضه لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضه كذلك الكذاب
اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغايه في الكشف عنه واذا رايت الرجل ابا دابه
ان يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها فالحقه بابه ويعدل عمامته ويتقي ان يمسه
شي غيره وينظر في عطفيه ويطرح القذا عن ثوبه ليس له همة بين الجلسا الا نظره الى
نفسه واصلاح ما انثنى من ثوبه فالحقه بعالم الطواويس الذي هذه صفتهم فانه يتبختر
في مشيته وينظر الى نفسه ويفرش ذنبه متخذه للملوك استحسانا له ه واذا رايت بانسان
حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المده على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب
تقول احقد من جمل وتجنب قرب الجمل الحقود واجتنب صحبه الرجل الحقود ه واذا رايت
بانسان منافق يبطن خلاف ما يظهره فالحقه بعالم اليربوع وهو فار يكون في البريه يتخذ جحرا
تحت الارض يقال لها النافقا وله فوهتان يدخل من احديهما ويخرج من الاخر ومنه اشتق
اسم المنافق فاذا هم باخذه دخل جحره وخرج من الباب الاخر فيحصر الصياد خلفه فلا يظفر بشي
كذلك حال المنافق لا يصح شي منه وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس فتستريح منهم وتريحهم
منك فلعمر الله ما استقامت لي صحبة الناس وسكنت نفسي واسترحت من مكابده اخلاقهم
الا من حيث سرت معهم بهذه السيره ه وقال الرياحي يا بني ياخ لا كخير واصغر بالحذرون
عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه ومن الكلب نصرته

ومن ارادي جذره وقد تعلمت من القمر مشي الليل ومن الشمس الظهور الحين بعد الحين

الباب السادس والثلاثون

في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطمانينة النفوس ٥ اعلم ايها الملك متى كملت فيك الخصال المحموده والاخلاق المشكوره والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشيا مواضعها ثم ان الرعية استضمت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فبلغك ما يسوك ورايت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست بالاه فلا تطمعن ان يصفو لك منهم ما لا يصفو منهم للاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلايق اجمعين وانعم عليهم بانواع من النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمه فكمل لهم اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا اليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلا فمنهم من قال هو ثالث ثلثه ومنهم من قال له زوجه ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من انكره راسا وقالوا اما للخلق صانع كما حكاه الخالق عنه فقال نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحييهم ويسقيهم ويصح اجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي ماربهم واوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا ويبلغهم امالهم في معظم ما يحتاجون اليه فمعاصيهم اليه صاعده وبركاته عليهم نازله كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذي حال اولى بها وفي مناجاة موسى عليه السلم انه قال الهي اسلك الا يقال في ما ليس في فاوحى الله تعالى اليه ذلك شي ما فعلته بنفسي فكيف افعله بك وفي هذه السيره عبرة لمن اعتبر وذكرا لمن

١٢٧

١٢٦

اذكر مع انك ان التمست رضا جميع الناس التمست ما لا يدرك وكيف يطلب رضا المختلفين ٥ فيا ايها الملك الذي كتب الله عليه الفنا والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدوده والانفاس المحصوره كيف اردت ان يصفو لك من الرعية ما لم يصف منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات تعب ما املت ومستحيل ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضي منهم خالقهم وتسير فيهم سيرة ربهم فيهم الم تر كيف احسن اليك فرضي منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم والاموال والخول وانظر كيف يستر زلاتك ويتغمد سياتك ولا يفضحك في خلواتك ففي هذا ما يمهد النفوس ويودب ذوي العقول ويهدي الى الصواب ويوضح طرق الرشاد ولله در عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان واعيا لما تلوته عليك فانه روي عنه انه كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون كلها

الباب السابع والثلثون

في بيان الخصلة التي فيها ملجا الملوك عند الشدايد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الاحوال ٥ يا ايها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت عليك وجوه الراي وتنكرت عليك المعارف واكفهر لك وجه الزمان ورايت اثار الغير فلا يفلتنك خصلتان ان تترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طوارق الحدثان وما ياتي به الملوان ٥ وقد روي ان المامون قال في اخر موافقته مع اخيه الامين وقد نفدت الاموال والح الاجناد في طلب الارزاق فقال المامون يعيب لاي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي ما بين قيل له وما هي قال والله اني لاضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خلص له الامر سيل عن تلك الخصله فقال لو ان الامن نادا في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظايف السلطانية وساير الجبايات عشر سنين ملك الامر عليه ولكن الله غالب على امره ٥ ولما خشي المامون انتقاض

بيعته مع اهل خراسان في فتنته مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره
فقال له الفضل قد قرات القران وحديث الرسول عليه السلم والذي عندي ان تجمع الفقها
الى الحق والعمل به واحيا السيرة وبسط والقعود على اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم
القواد والملوك وابنا الملوك وتعدهم بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات الشاكلة
ففعل ذلك وحط عن اهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون
ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلم وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظما ملوك خراسان
ويدخل تحت هذه الترجمه امر اتفق عليه حكما العرب والروم والفرس والهند وهو ان تصطنع
وجوه كل قبيلة والمقدمين من كل عشيرة وتحسن الى حملة العلم وحفاظ الشريعة
وتدني مجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل
بالاشراف من كل قبيلة والروسا المتبوعين من كل نمط فهولاهم ازمة الخلق وبهم تملك من سواهم
من كمال السياسه والرياسة ان تعطي على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزه
وعلى كل ذي منزلة منزلته فحينئذ يكون الروسا لك اعوانا والاتباع دون مقدميهم وسادتهم
اجساد بلا روس واشباح بلا ارواح ه ولما قامت العامه على السلطان بقرطبه ولبسوا السلاح
كان شيخ جالس على كبيرة يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا اقامت العامه على
السلطان قال فلهم راس قالوا لا قال يسوى الكبير يا صبي فذهب مثلا ه

الباب الثامن والثلثون

في بيان الخصال الموجبه لذم الرعيه للسلطان ه

قال حكيم الفرس ذم الرعيه للملك على ثلثه اوجه اما كريم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنا
واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف ه

وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على
معاوده المسئله ه وقيل للاسكندر ان فلانا ينقصك ويسي الثنا عليك فقال انا اعلم
انه ليس بشرير فينبغي ان نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها
رثه فامر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثنا عليه فقال اما ترون
ان الامر الينا ان يقال فينا خير او شر وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعيه مالا وقنيه فيكون
عليهم بلا وفتنة ولكن يتخذهم اهلا واخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح
الرعيه خير من كثرة الجنود ه

الباب التاسع والثلثون

في مثل السلطان العادل والجابر

مثل السلطان العادل مثل الياقوته النفيسة الرفيعه في وسط العقد ومثل الرعيه مثل ساير
الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يبصر المقلبون وينقد الناقدون الواسطه وانما
يثني المثنون على الواسطه وكلما حسنت الواسطه غمرت ساير الشذر فلا تكاد يذكر كما
قال ابن صعده لقيت بالحاجزين مكة والمدينه سكينه بنت الحسين رضي الله عنها وعنه فسفرت
لي عن وجه ابنتها واذا وجهه كانه قطعة قمر وقد اثقلتها بالجواهر واليواقيت وانواع الدرر فالتفتت
الي وقالت والله ما حليته عليها الا لتفضحه وكما ان جمال الملك انه يأتي الواسطه الافضل ... ن السلك
فالافضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان سي النظر كذلك السلطان ينبغي
ان يكون الاقرب فالاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والراي والاصاله والشرف والحصافه
وذوي الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكما ان
جمال العقد بواسطته كذلك جمال الرعيه بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله

ومثل السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت الم وقلق وبلا علاما
ساير الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في ميسوره من الالات والمناقيش
والابر على اخراجها لانها في غير موضعها ينبغي ويوشك ان تقلع بالاخره فاين غرر الياقوت
من شوك القتاده

الباب الموفي اربعون

فيما يجب على الرعيه اذا جار السلطان ٭ اعلم ارشدك الله ان الزمان وعا لاهله وراس
الوعا اطيب ما فيه كما ان راس الجره ارق واصفا من اسفلها فلين قلت ان الملوك اليوم
ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعيه ايضا ليسوا كمن مضى من الرعيه ولست بان تذم
اميرك اذا رايت اثار من مضى منهم باولى من ان يذمك اميرك اذا نظر اثار من مضى من الرعيه
فاذا جار عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر ٭ روى البخاري عن عباده
بن الصامت قال بايعنا النبي عليه السلم على السمع والطاعه في منشطنا ومكرهنا وعسرنا
ويسرنا واثره علينا وان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان
ومنه قال ابن عباس من كره من اميره شيا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا
مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون
بعده اثره وامورا تنكرونها قالوا فما تامرنا يا رسول الله قال ادوا اليهم حقوقهم واسالوا الله حقكم
وروى ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سياتيكم ركب مبغضون يطلبون
منكم ما لا يجب عليكم فاذا سالوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم وليدعوا لكم وهذا الحديث عظيم الموقع
في هذا الباب فندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم ونكف السنتنا عن سبهم يا عبد الله
لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعا عليه ولكن الثقه بالله فلا محنه فوق محنه ابرهيم عليه السلم
لما جعلوه في كفه المنجنيق ليقذف به في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي

٩٠

لي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم ٭ وقال مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب
يقول الله تعالى اني انا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمه ومن
عصاني جعلتهم عليهم نقمه فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وفي بعض الكتب ابن ادم تدعوا على من ظلمك ويدعوا عليك من ظلمته فان شيت اجبناك واجبنا عنك
وان شيت اخرت الامر الى يوم القيمه فيسعكم العفو ٭ وقال سليمن بن داود عليهما السلم لا تجعل
ملجاك في الاعدا المكافاه ولكن الثقه بالله ٭ وروى ابو داود في السنن قال سرقت ملحفه لعايشه
رضي الله عنها فجعلت تدعوا على من اخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبخي عنه
يعني لا تخففي عنه نهاها عن الدعا على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعايه اللهم لا توفقه
فقد دعا على نفسه وعلى ساير الرعيه لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما ظلمك فان
استجيب دعاوك فيه زاد ظلمه لك ٭ ومن الالفاظ المرويه عن سلف هذه الامه قولهم لو كانت
عندنا دعوه مستجابه ما جعلناها الا في السلطان ٭ وقال الفضيل لو ظفرت ببيت المال
لاخذت من حلاله وصنعت منه اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين واهل الفضل من الاخيار
والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعوا ربنا ان يوفق ملوكنا وساير من يلي علينا وجعل اليه امرنا
ولما قدم معويه المدينه دخل دار عثمن فقالت عايشه ابنه عثمان وابتاه فقال معويه يا بنت اخي
ان الناس اعطونا طاعه واعطيناهم امانا واظهرنا لهم حلما تحت غضب واظهروا لنا طاعه
تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا
ندري اعلينا تكون ام لنا ولان تكوني ابنه عم امير المومنين خير من ان تكوني امراه من عرض المسلمين
وروي ان رجلا من العقلا غصبه بعض الولاه ضيعه فاستعدا عليه الى المنصور فقال
اصلحك الله اذكر لك حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا فقال

اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها
وظنا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد ودب كان فراره وشكواه الى ابيه
لعلمه بان اباه اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكا الى الوالي
لعلمه بانه اقوى من ابيه فان زاد عقله واشتدت شكيمته شكا الى السلطان
لعلمه بانه اقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى
من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتني والا رفعت
امرها الى الله تعالى في الموسم فانني متوجهة الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى
قال بل ننصفك وامر ان يكتب الى واليه برد ضيعتها اليها ٥

الباب الحادي والاربعون

في كما تكونوا يولى عليكم

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونون يولى عليكم الى ان ظفرت
بهذا المعنى في القران قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا ٥ وكان
يقال ما انكرت من زمانك فانما افسده عليك عملك ٥ وقال عبد الملك بن مروان انصفونا
يا معشر الرعية تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرتهما
نسال الله ان يعين كلا على كل ٥ وقال قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا انت في السما
ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فاوحى الله تعالى الى بعض انبيائهم اذا استعملت
عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم
وقال عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما
والدنيا عليهما اضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت انت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا

لكما وقد اتسعت فصارت عليكما اضيق من شبر فقال لان رعية ابي بكر
وعمر كانوا امثالي ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك وشبهك ٥ وكتب الى الحجاج
بن يوسف يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك
تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من
شوم الذنوب والسلام ٥

الباب الثاني والاربعون

في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية

اعلم ان ادعا خصال السلطان الى صلاح الرعية واقواها اثرا في تمسكهم بادابهم
وحفظهم لمروتهم صلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفساف الاخلاق وبعده
عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب اهل البطالة والمجون واللعب واللهو
والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع الماجن الرقيع
ابو نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه اودت بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره
واطلق السنة الخلق بالشتم والثنا القبيح على نفسه فخلعه بذلك اخوه المامون عن
الولاية ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وانفذ براسه الى المامون
وكان يعمل كتبا تقرا على المنابر من خراسان وتقف الرجل فيذم اهل العراق فيقول اهل
فسوق وخمور ومجون ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب ابا نواس رجلا شاعرا ماجنا
كافرا استخلصه معه لشرب الخمور وارتكاب الماثم ونيل المحارم وهو القايل

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من اهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وساءت له وجوه الراي فلما بلغ الامين حبسه ثم اطلقه بعد

بعد ذلك بعد ان اخذ عليه الا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا فمتى اراد
السلطان استصلاح رعيته وهو متمادي على مساوي اخلاقه كان كمن اراد بقا
الجسد مع فقد راسه او اراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكمن اراد تقويم
الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف تحيا النون مع فساد الما ولقد اصاب الخليل
في قوله اصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعا لك فقد قيل من اصلح نفسه ارغم انف
اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه وسيل بعض الحكما بم يتم الانسان من عدوه
قال باصلاح نفسه ولابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت
طيبا فمحال استصلاحك رعيتك وانت فاسد وارشادهم وانت غاو وهدايتهم وانت
ضال وقد سبق المثل ومن العجايب اعمش كحال وتقول العرب يا طبيب طب نفسك وكيف
يقدر الاعمى على ان يهدي والفقير على ان يغني والذليل على ان يعز فعدلك عن تطهير
غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب من ابرا غيره من دا به مثله
وقال بعض حكما الهند لن يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول دون
حسن الفعل ما يبلغ رجل واحد باصلاح الف رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القايل

يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدوا لذي السقام من الضنا ومن الضنا ما انت سقيم
ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا صفة وانت من الرشاد عديم

ابدا

ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حليم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالراي منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم
ذوي الاحلام الراجحة والمروات التامة والاذيال الطاهرة فمتى راس العامة سراتهم
فهو الطريق الى حفظ مرواتهم وادابهم وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات
وملازمة المحرمات

وقال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال مزدك الفارسي خلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية تماسك بهما نفسه الراي
وشدة الرحمة وما احق بالسلطان ان يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون
معه فمحمد يكون رييسا على الروسا واميرا على الامرا وان اهملهم وركبوا شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهبت ادابهم وسقطت مرواتهم وبقوا كما جا المثل في الجماعة المذمومة
تقول العرب في القوم لا سروا لساقهم ولا سراة بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول
سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشي فضلا

ولان تكون اميرا على الروسا والفضلا خير من ان تكون اميرا على الاخسا والرمادية والغاغة
والدنا وقد قال عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرني من عبد الله بن
عمر فانه ابا ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسايه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح
منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من اكون اميرا ولما صار داود الى

في الدولة العباسية لبعض من بقي من بني امية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم
اذا اسرعت في قتل اكفائك فمن تباهي بسلطانك اعف يعف الله عنك فعفا عنه
وقال ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية واذهب شرهم تكون رئيسا لاخيار
ممدوحين ولا تكون رئيسا لاشرار مذمومين فتكون داعي الفرقة

الباب الثالث والاربعون
فيما يملك السلطان من الرعية

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منها بالمحبة
فان طلب ذلك بالاحسان هو ادوم بقا منهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك
الابدان فتخطاها الى القلوب بالمعروف واعلم انه اذا عدل السلطان ملك قلوب
الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الريا والتصنع وفي سير المتقدمين قلوب الرعية خزاين
ملوكها فما اودعوها من شي فليعلموا انه فيها واعلم ان الرعية اذا قدرت على ان تقول
قدرت على ان تفعل فاجتهد من ان لا تقول تسلم من ان تفعل وليس يبعد الخلاف ما روي
عن معاوية ان رجلا اغلظ عليه فحلم عنه فقيل له اتحلم عن مثل هذا فقال اني لا احول
بين الناس والسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك ان يسير قوله فاجتهد ان
لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشي وهذه السيرة احسن من سيرة اردشير
لما رفع اليه جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك الاجساد
لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص عن الاعمال لا عن السراير قلت وانما تحسن هذه
السيرة ان عجز عن الاول لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب
لا يكون الا بالعدل واين مدار قوله وقد رفع اليه انك كتبت امس في عدة قبيلة ذلك

حاله لا يومن اغتيال الاعدا فيها فوقع من عم احسانه امن اعداه وما احسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرايح على فراخه ينفي عنهم القذا
ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذباب يا اهل الشام
انتم الجنة والردا وانتم العدة والحذا وقالت الحكما اسوس الملوك من قاد رعيته الى طاعته
بقلوبها ولا ينبغي للوالي ان يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها
بحسن الاثر وصواب التدبير وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجمع ان اخرج للمسلمين امرا من
العدل فاخاف ان لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا
سكنت الى هذا وقال معوية لزياد من اسوس الناس انا او انت فقال يا امير المومنين ما جعل
الله رجلا لا يحفظ الناس بسيفه كمن يسمع الناس واطاعوه بالليل ويروى ان سليم مولى
زياد فخر بزياد عند معوية فقال معوية اسكت فما ادرك صاحبك بسيفه الا ادركت منه بلساني

الباب الرابع والاربعون
في التحذير من صحبة السلطان

اتفقت لنا حكما العرب والعجم ووصاياهم على النهي من صحبة السلطان وفي كتاب كليلة
ودمنة ثلثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وايتمان النسا على الاسرار وشرب السم
على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا صحبة السلطان
وقال مزدك احق الامور بالتثبت فيها امر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل
فقد لبس شعار الغرور وفي كلام الهند ايضا صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة
عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة
فالارتقا اليه شديد والمقام فيه اشد وليس شي في خير السلطان وشره لان خير السلطان

لا يعد وامويد الحال وسوء السلطان قد يزيل الحال وسلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشي الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف ولهذا لما قيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رايته يعطي عشرة الاف في غير شي ويردي من السور في غير شي ولا ادري اي الرجلين اكون ٥ واخبرني ابو العباس الحادي وكان ممن جوح ارض الهند والصين وانتهى الى صين الصين الى الجبل الياقوت بالهند وان فيه ثعابين ليس في معمور الارض اعظم منها فان الواحد منها ليبلع الثور صحيحا ولا يصل احد الى ذلك الجبل ولا يقرب به فاذا اكثرت الامطار احدرت السيول ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسيرة ايام من الجبل فيبحث الناس ذلك الحصا فيجد فيه الواحده بعد الواحده من احجار الياقوت ٥ وقال معوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى رضا الصبي ويسطو سطو الاسد ٥ وقال المامون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان ٥ وقال الاحنف بن قيس لله لا اقول الا ليعتبر بقول لا اخلف جليسي الا بما احضره به ولا ادخل في امر لا ادخل فيه ولا اتي السلطان الا ان يرسل الي ٥ وقال ابن المقفع لابنه ان وجدت من السلطان وصحبته غنا فاغن عنه نفسك واعتزله جهدك فانه من ياخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا ياخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا والوزر في الاخرة ٥ وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا لا تصحب سلطانا وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة وان اقراتها القران ولا تصل من قطع رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلم الكلام اليوم تعتذر منه غدا ٥ وفي منثور الحكم كثرة الاشغال مانعة عن وجود اللذات بينهما

وكم

114

وكم قد راينا وبلغنا ممن صحب السلطان من اهل الفضل في العقل والعلم والدين ليصلحه فيفسد هو به فكان كما قال الاول ٥

عدوى البليد الى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حايطا مايلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحايط عليه فاهلكه ٥ وفي كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفا ولا قريب ولا حميم ولا مكرم عندهم الا ان يطمعوا عنده في شي فيقربوه عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخا الا الى الاجزا والذنب لا يغفر له ٥ وقال بزرجمهر لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مواخاة الاخوان الا باللين والمواساة ٥ وقال بعض الحكما الفرس المال والسلطان مفسدان لكل احد الا رجل له عقل كامل ٥ وقالت الحكما صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركبه اخوف ٥ وقالوا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا تعلق بكرم الشجر لكن يا ادنا بها ٥ وكانت العرب تقول ان لم تكن من قربا الملك فكن من بعدايه ٥ وفي حكم الهند انما مثل السلطان في قلة وفايه في اصحابه وسخا نفسه عمن فقد منهم كمثل البغي والمكاتب كلما ذهب واحد جا اخر ٥ والعرب تقول السلطان ذو عدوان وذو بدوات وذو تدرا تريد انه سريع الانصراف كثير البدوات يحمل على الامور واصله من الدرا

الباب الخامس والاربعون

في صحبة السلطان

قال ابن عباس قال لي ابي يا بني اني ارى امير المومنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني اوصيك بخلال ثلث لا تفشين

ولا تجرين عليك كذبا ولا تغتابن عنده احدا قال الشعبي قلت لابن عباس
كل واحدة منهن خير من الف قال اي والله ومن عشرة الاف وقالوا اصحب السلطان
بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالجهد والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن راي
الملك الا بحسن اثره وقال بعض الحكما لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا
تفشين ما اطلعك عليه من ادل على السلطان استثقله ومن امتن عليه عاداه ومن اظهر
انه يستشيره باعده وقال بعض الحكما اذا زادك السلطان تانيسا فزده اجلالا
واذا جعلك السلطان اخا فاجعله ابا وان زادك فزده يعني السيد مع عبيده واذا ابتليت
بالدخول على السلطان مع الناس فاخذ وانى الثنا عليك بالدعا وان نزلت منه منزلة
الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعا له عند كل كلمة فان ذلك
شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تالوا ما عظمته ووقرته وقال
ابن المقفع لتكن حاجتك في سلطانك ثلث خصال ارضا ربك ورضا سلطانك ورضا من تلي
عليه ولا عليك ان تلهوا عن المال والذخر فسياتيك منهما ما يكفي ويطيب وقال
مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا اجتباك ولا تتغير اذا اقصاك
وروى ان بعض الملوك استصحب طبيبا فقال له اصحبك على ثلث خلال قال وما هي قال لا تهتك
لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قايل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك
قال لا افشي لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك الصاحب احدا قال نعم الصاحب
المستصحب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل
الامكان وقال ابن المقفع اولى الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة
وقال يحيى بن خلد الدالة المفسدة للحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتاكدة وقال بزرجمهر

خالفك
اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية الله فان احسانه اليك فوق احسان الملك
وايقاعه بك اعظم من ايقاعه اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا
عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم فهو حسبهم منك لا تغتبط
السلطان محمودك في اول صحبتك لهم فلا تجد بعد للمزيد موضعا علم السلطان
وكانك تتعلم منه واشر عليه وكانك تستشيره اذا اخلاك السلطان من نفسه
بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى تتغير لك فيلو نوك
عليك اياك ان تناجي من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال
القديمة احذر زمارة الخدر وفيه قيل
ليس الشفيع الذي ياتيك موتزرا مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا
وفي الامثال لا تدل فتمل ولا تتوحف فتجف وقال الرشيد لاسمعيل بن صبيح اياك والادلال
فانها تفسد الحرمة وقال سليمن بن داود عليهما السلم لا تغش السلطان ولا تتعقب
عنه وقال الحكما شدة الانقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط
تفتح باب الملامة واعلم ان من طلب العز بلا ذل كانت ثمرة سعيه بلا ذل احرز
منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتها من الجد والمناصحة واحذر ان يحطك
التهاون عما وقال اليه لتحفظه اشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب
الاشيا الى النار اسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح
الاذى وصل الى حاجته وقال الاحنف بن قيس لا تنقبضوا عن السلطانة ولا تهالكوا
عليه فانه من اشرف للسلطان اذاه ومن تضرع له تخطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه
ملته من عادا من عادت عزته ذل السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة

١٨١/١

السلطان احد رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بحذوه ويسلم بمصانعته واما
مغفل مهين لا يحسده احد فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة
والعفاف فقل ما تستقيم له صحبتهم لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته ويطعن عليه لنصيحته له فاذا
اجتمع عليه مثل الصنفين كان بعرض الهلاك ٥ وقال بعض الحكما من شارك السلطان
في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة لا يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك
للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قفاه ويخرج دمه ٥ وفي الامثال
لا حلم لمن لا سفيه له ٥ وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استصحب معه رجلا فيه ما
فيه يستدفع به شر السفها واهل الدعارة والوغادة ٥ وقال المعتصم ان للسلطان
لسكرات فمنها الرضا عمن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول
الحكما خاطر من لجج في البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان ٥ وقال ابن المقفع
لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العزة تبسطه
في غير باس ولا سخطه ٥ وقال سابور احد حكما الفرس اربعة اشيا ينبغي ان تفسر
للفهم كما يفسر للبليد ولا يتكل فيها على ذكا الحديد تاويل الدين واخلاط الادوية
وصفة الطريق المخوف والراي في السلطان ٥ واعلم ان السلطان اذا انقطع منك الاخر
نسي الاول فارحامهم مقطوعة وحبالهم مصروفة الا من رضوا عنه في يومهم وساعتهم
و اذا رايت من الوالي خلالا لا تنبغي فلا تكابده على ردها فانها رياضة صعبة لكن احسن مساعدته
على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي
تبصره الخطايا اللطيفة اكثر من تبصيرك والعدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه

الى بعض واذا امكن اقلع الخطا ولا تطلب ما قبل الوالي بالمسيلة ولا تستبطيه وان ابطا
ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء فانك اذا استحققته اتاك من غير
طلب واذا لم تستبطه كان اعجل له ٥ وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره
مداراة المراة العاقلة القبيحة الزوج الاحمق المبغض ٥ وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه
تنكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك ان تسخط فيكون السخط منك

الباب السادس والاربعون

في سيرة السلطان مع الجند

اعلم ان الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة
والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين
والحبل الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في نحره بهم يذب عن الحريم
وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة
على العدو وعلى الجند الجد عند اللقا والصبر عند البلا فان كانت لهم الغلبة فليمعنوا
في الطلب وان تكن عليهم فليكسروا الاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا الخيار عنده وينبغي للملك
ان يتفقد جنوده كما يتفقد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذي لا ينفعه
من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع احق ولا يستصلح الجند
الا بادرار ارزاقهم وسد خلاتهم والمكافاة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم وجنود الملوك
وعددها ما وقف على سعود الائمة ونحوستها ٥ وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسع على جندك
فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطا قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع
عليهم في الرجا ولا توسع عليهم في العطا ٥ ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا

وقال لفؤاده سبر واستمل بهذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجع كلبك يتبعك
فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين احشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه
ويدعك ⁘ ويروى ان كسرى صنع طعاما في سماط فلما فرغوا رفعت الالات ووقعت
عينه على رجل من اصحابه قد اخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخادم يفتقد
الالات فلم يجد الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم قالوا افتقدنا جاما من الجامات
فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال
له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيئا ⁘ وسئل عمرو بن معاذ وكان على الطوايف
ثم قلدت على جيوش الصايفة وكان يغزوا في كل سنة ويجرد الجيوش الى بلاد الروم فقال بماذا
الظهر والقديد وكثرة الكعك ⁘ ويروى ان امرا من العرب كان طالما رعيته شديد بعض
الاذى لهم في اموالهم فعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض
الحكما فقال ربما اكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه ⁘

الباب السابع والاربعون

في سيرة السلطان في استجباء الخراج

ايها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة
ولقاحه الامن ونتاجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال اقوى العدد
على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يوخذ من حقه
ويوضع في حقه ويمنع من سرف ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم
ينفق ذلك في الوجوه التي تعود عليها نفعها ⁘ فيا ايها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين
والسلم ايها الملك من جباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير

اذى او لاستماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعتها ويطول صوتها ⁘ ولما عزل عثمن عمرو
بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي السرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو
فقال عثمن يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها
وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا ⁘ وفي منثور الحكمة من جاوز في الحلب حلب
الدم ⁘ وفي الامثال اذا استقصى العجل مص امه رفصته ⁘ وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك
وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم واسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين
وهلاك الرعية وانكسار الخراج الجور والتحامل ⁘ ومثل السلطان اذا حمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن
عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه وياكله من الجوع فهو وان قوي من ناحية فقد ضعف من ناحية
وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ⁘ ومثل من كلف الرعية
من الخراج فوق طاقتها كالذي يطين سطحه بتراب اساس بيته ومن يدمن حز العمود يوشك ان تضعف
فتقع الخيمة ⁘ واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب البلاد ويهرب الزراع
فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان
ايها الملك كن بما تسقي بيد رعيتك اوثق منك بما تاخذ منها لا يقل مع الصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد
شيء وصيانة القليل فليس بتربية للجليل فالمال لا بحق ولا عليه بمصلح ⁘ ويروى ان المامون ارق ليلة فاستد عا
سميرا له يحدثه بحديث فقال يا امير المومنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل
الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا افعل الا ان تجعلي في صداقها مائة ضيعة خراب
فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها الان ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك
قال فاستيقظ لها المامون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امر الولاة ⁘ وسمعت
بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو في

في ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون
بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة
والاجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في اخر ايام ابن ابي
عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فاكلوا
الرعايا واجتحفوا اموالهم واستضعفوهم فهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات
المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها ولم
يزل امر المسلمين في نقص وامر العدو في ظهور الى ان دخلها المرابطون فردوا الاقطاعات كما كانت
في الزمان المتقدم ولا ادري ما يكون بعد ذلك

الباب الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت المال

وهذا باب سلكت فيه ملوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف
سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحجبها عن الرعية وتعدها
ليوم كريهة على ما بينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء تعدهم ببذل الاموال ولا تدخرها وتصطنع
الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وقد علمتم ان جوعه كان اكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع من شعير عند يهودي
وكذلك الخلفاء الراشدون بعده ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وكان
النبي عليه السلام لما فتح الله اليمن كانت تجبى له الاموال فيفرقها ليومها وقد توضع في المسجد فيفرش
الانطاع ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال وروى ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يده خريطة فيها ذهب فقسمه ثم قال ما ظن آل محمد

لو كان

لو ادركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما
كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من جماهير المسلمين وربما كان يفضل منها فضلات فتجعل في بيت
او يكون بالناس عنها غناء في ذلك الوقت فتجعل في بيت فمن حضر من غائب او احتاج من حاضر قسم له حظه
ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا صفراء يا بيضاء غري غيري ثم امر فقسم جميع المال
الذي فيه على المسلمين وامر قنبر ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من الملوك سادوا في بيت
الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط
عليها الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم يكن لهم بيوت اموال وكانوا ياخذون الجزية من سلاطين
الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالطاس او بالخرثل مثل ما ياخذون وقد لا
ياخذ شيئا منها وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت ملوكنا تحتجن الاموال وتضيع الرجال
فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت اموال فبهذه الحيلة قهرونا وظهروا علينا وكان من
يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال يضرب فيه الامثال ويقول عدو الملك بيت المال وصديقه جنده
فاذا ضعف احدهما قوي الاخر واذا ضعف بيت المال ببذله للحماة قوي الناصر واشتد باس الجند وقوي
الملك واذا قوي بيت المال وامتلا بالاموال قل الناصر وضعف الحماة فضعف الملك فوثبت عليه الاعدا
وقد شاهدنا في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدفع بالاموال
بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال وقال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال
لتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقويه الاعداء اعني انك اذا جمعت الاموال اضعفت الرجال
فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيها
عين معينة فان هو قام على البستان فاحسن تدبيرها هندس ارضها وغرس اشجارها وحظر

على حوانيها ثم ارسل عليها الماء الخضر عودها فنبتت اشجارها واينعت ثمارها وزكت
بركاتها وكانوا جميعا في امان من الضيعة ولا يخافون فقرا ولا نشتا تا فان هو
رغب في غلتها وجباها فلم يسق ما يكفيها ولا ساق البهائم الماء ما يرويها رغبة في الغلة نيها
وطمعا في المال ضعفت عمارتها ورقت اشجارها وقلت ثمارها وذهبت غلتها ومحق البر منها ما
جنا من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوا على عدوه مثل
طاير ينتف ريشه ويمص اصولها ويأكل ما نعم منها فلذ له طيبها واعجبه خصب جسمه
على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى الارض فاكلته الهوام
والحشرات ٥ ورايت في اخبار بعض الملوك ان وزيره اشار عليه بجمع الاموال واقتنا الكنوز
وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فمتى احتجتهم عرضت عليهم الاموال فتهافتوا عليك
فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم قال هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا قال فامر
باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان
بعض اصحابه في ذلك فنهاه عنه وقال لا تغير قلوب الرجال فليس في كل وقت اردتهم
حضروا فقال هل لذلك من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما اظلم الليل قال للملك هات
الجفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة ٥ وقد روينا عن سيرة بعض السلاطين في ارض مصر
وكان قد ملكها وكان اسمه بلدتوز انه كان يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال وقال له
اصحابه ان امير الجيوش بالشام سيقاتلك وكان به قد قدم عليك فاستعد الرجال
وانفق فيهم الاموال فاومى الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق فغزا
امير الجيوش تلك المملكة في مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رايه رايا فاسدا لان
رجالا تحميهم لو فتنه ليس فيهم غنا ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للحروب ٥ وفي التدبير الروية

أهوا

في هذا الباب انه لما فتحت العراق جي بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال ادخله بيت
المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوي تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي في المسجد بالانطاع
وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد
والدر فبكى فقال له العباس او عبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين ما هذا بيوم بكاء
ولكنه يوم شكر وسرور فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا
في قوم الا وقع باسهم بينهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني اعوذ بك ان اكون
مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة بن
جعشم فاتى به اشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل
فقال قل الله اكبر قال الله اكبر قال قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
بن جعشم اعرابيا من بني مدلج ثم قلبهما وقال ان الذي اداه لامين فقال له رجل انا اخبرك جعشم
انت امين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما اديت الى الله تعالى فاذا رتعت رتعوا قال صدقت
واما البسهما سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كاني بك
وقد لبست سواري كسرى ولم يجعل له الا السوارين ٥ ولما ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه
جاه مال من العمال فصب في المسجد فامر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب الانصاري فجئته فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
ان النبي عليه السلام قال لي لو قد جاني مال لاعطيتك مثل هذا وهكذا واشار بكفيه فسكت
ابو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم انصرفت وعاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل
عني فقال اعنك اذهب فخذ فحفنت حفنة قال عدها فعددتها فوجدتها خمس ماه
دينار فاخذ مثليها فانصرفت بالف وخمس مايه دينار وابو ايوب من اغنيا الانصار وهو

قول النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للغني والفقير وذلك
ايضا انه لا يجب ان يساوي فيه جميع المسلمين لان ذلك موكول الى اجتهاد الامام

فصل قال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة
الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من اموال مصر
من الخراج مما يوخذ من اموال وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف
والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث
الزمان نظرا للمعاملين وتقوية لحالهم من العين اربعة وعشرون الف الف واربع مائة
الف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد كحفر الخليج والانفاق على الجسور وسد
الترع واصلاح المنشيات ثم في تقوية من يحتاج اليه تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة
العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك من الالات واجرة من يستعان به لحمل البذار
وساير نفقات تطبيق الارضين ثمان مائة الف دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء الموسومين
بالسلاح ومن يحملهم من الشاكرية والغلمان واشياعهم وعدة جميعهم ... نوا
موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة الف واحدى عشر الف ثمانية
الف الف دينار ولما يصرف للارامل والايتام برضون به من بيت المال وان كانوا غير
محتاجين حتى لا يخلو امثالهم من بر فرعون اربع مائة الف دينار ولما يصرف في كهنة
برابيهم وساير بيوت صلواتهم مائتا الف دينار ولما يصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادي
بريت الذمه من رجل كشف وجهه لفاقة الا حضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامنا
جلوس فاذا راوا السائل امر بحرسه بان لا ياخذ فرد بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال وجمع
من هذه الطايفة عدد دخل امناء فرعون نحوه بتفرقه المال ودعوا له بطول البقاء ودوام

دلو

[illegible]

العز والسلامة وانهى اليه حال تلك الطايفة فيامر بتغيير شعثها بالحمام واللباس ثم يمد
السماط فياكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان
ذلك من افة الزمان رد عليه مثل ما كان لديه وان كان عن سوء راي وتدبير غير مستقيم ضمه
الى من يشرف عليه وياخذه بالادب والمعرفة الى ان يصلح ما بينا الف دينار ولما يصرف من نفقات
فرعون الراتبة لسنته مائتا الف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة الاف الف
وثمان مائة الف دينار وحصل بعد ذلك مما يسلمه لفرعون في بيت المال لنوايب الزمان اربعة
عشر الف الف وست مائة الف دينار وقال ابو ذهر كانت ارض مصر ارضا مدبرة
حتى ان الماء يجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسوه كيف شاؤوا ويرسلون كيف شاؤوا
وذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان
ملك مصر عظيما لم يكن في الارض ملكا اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل متصلة
فقطع منها شي عن شي والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها
تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا في جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من اولها
الى اخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها الف منبر وقال عبد الله بن
عمرو استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل اهل
القرى يسالونه ان يجري الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى
قرية من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس في مصر
خليج اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر
فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزاينه وذخايره

ولا يرغب فيما بايديهم ردّ على اهل القرى ما اخذت منهم فرد عليهم اموالهم فهذه
سيرة من لا يعرف الله ولا يرجوا لقاه ولا يخاف عذابه ولا يبو من سوء الحساب
فكيف يجب ان يكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب
وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
قال من خزاين مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف فرعون وتخلفه
وينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلني على خزاين الارض
ولما استوى امر يوسف الصديق عليه السلام وكمل وصارت الاشيا اليه واراد ربك
ان يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وظلت سنو الغلامات العزيز وذهبت الذخاير
وافتقرت زليخا وعمي بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك
ويغنيك فطالما حفظتيه واكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلي فانه ربما يتذكر ما كان منك
اليه من المراوده والحبس فيسي اليك ويكافيك بما سبق منك اليه فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه
وجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مايه الف من عظما قومه
واهل مملكته فلما احست به قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم
وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن انت قالت انا التي كنت اخدمك على
صدور قدمي وارجل جمتك بيدي واكرم مثواك بجهدي وكان مني ما كان وذقت وبال
امري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت اسل الناس فمنهم من رحمني ومنهم
من لا يرحمني بعد ما كنت مغبوطه اهل مصر كلها صرت مرحومهم بل محرومهم هذا جزا المفسدين
فبكا يوسف عليه السلام بكا شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيا فقالت
والذي اتخذ ابرهيم خليلا لنظره اليك احب الي من ملي الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف عليه

السلم وارسل اليها وقال ان كنت ايما تزوجناك وان كنت ذات بعل اغنيناك فقالت
للرسول الملك اعرف بالله من ان يستهزي بي لم يردني ايام شبابي وجمالي فكيف
يقبلني وانا عجوز عميا فقيره فامر بها يوسف عليه السلم فحملت فتزوجها وادخلت عليه وجعل يصلي
فصف قدميه ودعا الله تعالى باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها وبصرها
مثلها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرايم بن يوسف وميشا بن يوسف
وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فحق للقوي ان لا ينسا الضعيف وللغني ان
لا ينسا الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسول يصير سايلا وراحم
يصير مرحوما فهذا يوسف الصديق عليه السلم انظر الى ضعفه في يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم
بين يديه يوم الصاع ومده زليخا ملكة مصر وسيدة اهلها عادت تتكفف الناس في الطرقات
قال الله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فكان
يوسف عليه السلم بعد هذا يجوع وياكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له تجوع وبيدك
خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسا الجايعين وقد رايت ان الحقه متقبنه في مثلها يتنافس
العقلا ويرغب فيها الملوك والوزرا وذلك اني لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك
الغالب على الدوله خواجا بزرك رحمه الله قد وزر لابي الفتح ملك الترك ابن البارسلان
وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتيهما احسن قيام فشد اركانهما وشيد بنيانها
واستمال الاعدا والاوليا واستعمل الكفاه وعم احسانه العدو والصديق والبغيض
والحبيب والبعيد والقريب حتى اتا الملك بخزانه وذل الخلق لسلطانه وكان الذي مهد
له ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه انه اقبل بكليته على مراعاة حملة الدين فبنا دور
العلم للفقها وانشا المدارس للعلما واسس الرباطات للصوفيه والعباد والزهاد وامثل

الصلاح والفقراء ثم اجرى لهم الجرايات والكسا والنفقات واجرى الخبز والورق لمن كان
من اهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سائر اقطار مملكته فلم يكن من اوايل
الشام وبيت المقدس الى سائر الشام الاعلا وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها الى
سمرقند من وراء جيحون مسيرة زهاء مايه يوم حامل علم او طالبه او متعبد او زاهد في زاويته
الا وكرامته شامله له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله في هذه الابواب
ست مايه الف دينار في كل سنه فوشى به الوشاة الى ابي الفتح واوغروا صدره عليه وقالوا
ان هذا المخرج من بيوت الاموال يقيم به جيشا يركز رايته بسور قسطنطينيه
فخامر ذلك قلب ابي الفتح فلما دخل عليه قال له يا ابه بلغني انك تخرج من بيوت الاموال كل
سنه ست مايه الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكى نظام الملك وقال يا بني انا شيخ اعجمي
لو نودي علي فيمن يزيد لم احفظ خمسه دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلثين
دينارا وانت مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون
طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنوايب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان
وقوس لا يتعدى مدى مرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي
والمزمار والطنبور وانا اقمت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نام جيوشك ليلا قامت جيوش الليل
على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا بالدعا السنتهم ومدوا الى الله تعالى
اكفهم بالدعا لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعايهم تثبتون
وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السما السابعه بالدعا والتضرع فبكى ابو الفتح
الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش يا ابه شاباش اكثر لي من هذا الجيش ومن مناقب هذا الرجل وفضائله
ان رجلا قصده يقال له ابو سعيد الصوفي فقال له يا خواجا انا ابني لك مدرسه ببغداد مدينه

السلاح

السلام لا يكون في معمور الارض مثلها تخلد بها ذكرك الى ان يقوم الساعه قال
افعل وكتب الى وكلايه ببغداد ان يدفعوا له ما يطلبه من الاموال فابتاع بقعة على شاطى دجله
وخط المدرسه النظاميه وبناها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنا حولها
اسواقا تكون محبسه عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقفت عليها فكملت لنظام
الملك بذلك رياسه وسوددا وذكرا جميلا طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب اثره
وكان ذلك في سني عشر الخمسين واربع مايه من الهجره ثم رفع حساب النفقات الى نظام
الملك فبلغ ما يقارب ستين الف دينار ثم نما الخبر الى نظام الملك من الكتاب واهل الحساب
جميع ما انفق فيها نحوا من تسعه عشر الف دينار وان سائر الاموال احتجنها لنفسه وخان فيها فدعاه
نظام الملك الى اصبهان للحساب فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفه ابو العباس يقول
هل لك في ان اطبق الارض بذكرك واشر لك فخرا لا تمحوه الايام قال وما هو قال تمحو اسم نظام
الملك عن هذه المدرسه وتكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفه يقول
له انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان فقال له نظام الملك انك انفقت عليها نحوا
من ستين الف دينار نفقه واحب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد لا تطل الخطاب ان رضيت
والا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وارسل معي من يقبض المال فلما احس نظام
الملك بذلك قال يا شيخ قد سوغنا لك جميع ذلك كله ولا تمح اسمنا ثم ان ابا سعيد بنى بتلك
الاموال الرباطات للصوفيه واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور واوقف جميع
ذلك على الصوفيه فالصوفيه الى يومنا هذا في رباط ابي سعيد الصوفي واوقافه يتقلبون ببغداد
ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف
الاخره وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا ابقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او

أو قبيحا   قال الشاعر ه

ولاشي يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر
الصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك كما ادخروا واعلم ان الماكول للبدن
والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر اي الثلاث شيت والسلم ه وقال ابن ابي
دواد للوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يريد سوا الاسدا
بالنوال فعاتب له الواثق امير المومنين يوما فقال بلغني بسط يدك بالعطا وهذا يتلف بيوت
الاموال فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال يا امير المومنين ذخاير اجرها واصل اليك ومفاتيح شكرها
موصولة بك وانما لي من ذلك تعشقي في ايصال الثنا اليك فقال له الواثق لله انت جد بالعطا
واكثر بالشكر والثناء

الباب التاسع والاربعون

في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وفي سيرة العمال

اعلم ان يوسف عليه السلم لما ملك خزاين الارض كان يجوع وياكل خبز الشعير فقيل
له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسا الجايعين ه وروى البيهقي باسناده
قال لما استخلف ابوبكر الصديق رضي الله عنه غدا الي السوق قال فلحقه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد جاك ما يشغلك عن السوق قال سبحان
الله يشغلني عن عيالي قال نفرض لك بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض اخرى ثمانيه الف درهم
ووصى ان يرد من ماله في بيت المال ه وروى هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرت ابابكر
الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانيه الاف درهم
فقال اقضوه عني فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضا الله ما ترون ولا بد

لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فان شيتم اجتمعتم وائتمرت لكم وان
شيتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا اله الا هو ما الوكم ونفسي خيرا فبكيا وقالوا انت خيرنا
واعلمنا فاختر لنا فاني قد اخترت لكم عمر ه وروى مالك هذه القصة على غير هذا الوجه
قال بلغني ان ابابكر لما ولي لم ينفق من مال الله تعالى شيا وغدا يوما من بني عمرو بن عوف
وكانت له منائح امراة من الانصار في جمال له يريدها فلقيه بعض المسلمين فقالوا له ما تصنع
هذا اشغلك عن الناس وعن النظر في امورهم قال كيف اصنع قالوا تفرغ للنظر في امورهم
ونستنفق من هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال
فكان ينفق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز
فلم ينفق منه فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل ولكني اخذت من هذا المال فان يكن
لي فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت ه قال ابن غانم قلت لمالك فاين قولهم
عن عمر انه رد ثمانين الفا قال كذبوا انما نزل هذا اعدا الله ثم لم يجز لولده ابي موسى اباه سلف
حتى اخذ منه نصفه فكيف ياخذ من مال الله ثمانين الفا فلما توفي ابو بكر استرجع علي رضي الله
عنه وجا مسرعا باكيا ثم قال رحمك الله ابابكر كنت والله اول القوم اسلاما واكملهم
ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحوطهم على رسوله صلى الله عليه وسلم واشبههم
به هديا وسمتا وخلقا وفضلا واكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت
رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جا بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة وصاحبه
حين نفروا اكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة
وخلفته في امته احسن الخلافة فقويت حين ضعف اصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالامر

حين فشلوا او مصيب بغوث اذ وقفوا كنت اطولهم صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا
واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض
فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا ۞ وقال عمر رحم الله ابا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا
وروى الشعبي عن عمر رضي الله عنه انه قال انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم
ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وفي رواية اخرى ان احتجت اخذت
منه فاذا ايسرت رددته وفي رواية اخرى الا اخبركما ما استحل من مال الله تعالى وما لا
يحل لي استحل منه حلتين حلة في الشتاء وحلة للقيظ وما احج عليه واعتمر وقوتي وقوت
عيالي كقوت رجل من قريش لا من اغنيائهم ولا من فقرائهم ثم انا بعد ذلك رجل من
المسلمين يصيبني ما اصابهم ۞ وقال انس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه
فاكل خبز الشعير وكان قبل ذلك لا ياكله فاستنكره بطنه فصوت فضربه بيده
وقال هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين ۞ وقال ابو عثمان النهدي رايت عمر بن الخطاب
يطوف بالبيت وعليه صوف فيها اثنا عشر رقعة احداها بادم احمر ۞ وقال عطاء بن السايب جبه
استعمل عمر بن الخطاب السايب بن الاقرع على المداين فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا
صنم يشير باصبعه الى الارض قد عقد اربعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وثم شي
فحفروا فاستخرجوا اسفاطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اما بعد فاني
دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرايت كذا وكذا فاحتفرت فاخرجت اسفاطا فيه جوهر
فلم احد احق به منك يا امير المومنين لكن من في المسلمين فاقسمه بينهم انما اصبنا شيا تحت الارض فلما
قدم الاسفاط على عمر وعليه خاتم السايب فراى عمر فيما يرى النايم كان نارا اججت وتو

يريد ان يلقانيها فكتب الى السايب ان اقدم علي فقدم عليه وهو يطوف في ابل الصدقة
فطفت معه الى نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعا لي بماء فاغتسلت ثم ذهب الى منزله فاتي
بلحم غليظ وخبز متهشم فقال انظر من على الباب فاذا اسودان من الصوفية فاذن لهم فجعل ياكل
معهم فاذا لحم غليظ لا استطيع ان اسيغه وقد كنت تعودت درمك اصبهان اذا وضعته في
فمي دخل بطني ثم دعا بالسفط وقال اتعرف خاتمك قلت نعم قال كتبت تنفق لي رغم ابي الحق
به من ان اصبته فاخبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى اقسمه بينهم ۞ وقال قتادة
قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فصنع له طعاما لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء
المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن
كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا ۞ وقال عبد الله بن عمر
العمري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام قال لابي عبيدة اذهب بنا الى منزلك
قال ما تريد الا ان تعصر عينيك علي قال فدخل منزله فلم ير شيا فقال عمر اين متاعك لا ارى الا لبدا
وشنا وصحفة وانت امير اعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخرج منها كسيرات فبكا
عمر فقال له ابو عبيدة قد قلت لك انك ستعصر عينيك علي يا امير المومنين يكفيك من الدنيا ما
بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا ابا عبيدة ۞ وقال النخعي حدثت ان عمر بن الخطاب
مصدقين فابطوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاوا بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة يخالف
بين اولها واخرها يقول هذه لفلان وهذه لفلان الى ان انتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا
امكن اكله اكله ثم قال من ادخله بطنه النار فابعده الله ۞ وقال طاوس اجدب الناس بن الخطاب
على عهد عمر رضي الله عنه فما اكل سمنا ولا سمينا حتى اكل الناس ۞ وقال سعيد بن جبير ان عليا
رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رفع ازاره بخرقة لبسته بقطرية

من ورائه فقال يا امير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت او مقتول قال
ان هذا خير لي في صلاتي واصلح لقلبي واشبه بسنة الصالحين قبلي واجدر ان يقتدي بي من يأتي
بعدي ٥ وقال الحسن ان عمر بن الخطاب بينما هو يعس في المدينة بالليل اذ اتى على امراة من الانصار
تحمل قربة فسالها فذكرت ان لها عيالا وان ليس لها خادم وانها تخرج في الليل فتسقيهم الماء وتكره ان
تخرج بالنهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يخدمك خادما قالت
لا اصل اليه قال انك ستجدينه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا هي بالذي حمل قربتها فذهبت
تولي فارسل في اثرها وامر لها بخادم ونفقة ٥ ولما حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفا
قال ثمانية عشر دينارا يا امير المؤمنين قال ويلك اجحفنا ببيت مال المسلمين ٥ وقال شهر بن حوشب لما قدم
عمر الشام فطاف بكورها حتى نزل حمص فقال اكتبوا لي فقراهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها
سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فعجب عمر كيف يكون اميركم فقيرا فقالوا
انه لا يمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له
امراته ما لك اصابك امير المؤمنين بشيء قال اعظم من ذلك اتتني الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائها باربعين عاما فوالله ما يسرني ان لو حبست
عن الرعيل الاول وان لي بما طلعت عليه الشمس فانا اصنع فيه ما شئت قال هل عندك معونة قالت
نعم فاشترى خمارها فصر الدنانير فيها صررا ثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعرض جيشا
من جيوش المسلمين فامضاها كلها فقالت امراته رحمك الله لو حبست منها شيئا نستعين به فقال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطلعت امراة من نساء اهل الجنة الى الارض لملات الارض من ريح المسك
واني والله ما اختار كن عليهن فسكتت ٥ وروي ان عمر استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد
فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمر ان قدم حافيا عكازته واداوته ومزوده

وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير اخبثتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين
اما نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال وقد جئتك بالدنيا اجرها بقرانها
قال وما معك من الدنيا قال عكازة اتوكا عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزودي احمل فيه طعامي
واداوتي هذه احمل فيها ما اشرب لوضوئي وصلاتي وقصعتي هذه اتوضا فيها واغسل فيها راسي واكل
فيها طعامي فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبعا لما معي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبكى ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل
ثم عاد الى مجلسه ثم قال ما صنعت قال اخذت الرقة من اهل الرقة والابل من اهل الابل واخذت
الجزية من اهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله يا امير
المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير انشدك الله ان
تردني الى عملي ولم اسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله ولقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه
وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم من حاجه حججته ولكن ائذن لي الى اهلي فاذن
له فاتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار فقال انظر عميرا فانزل عليه ثلاثا فان يك
خائنا لم يخف عليك في عيشه وحال اهل بيته وان لم يكن خائنا لم يخف عليك فادفع اليه المائة فاتاه
حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلث قال يا حبيب ان رايت ان
تحول الى جيراننا فلعلهم ان يكونوا اوسع عيشا منا انا نحن فوالله لو كان عندنا غير هذا لاثرناك به
قال فدفع له المائة وقال بعث بها اليك امير المؤمنين فدعا بفرو خلق لامراته فصرها الخمسة والستة
والسبعة فقسمها فقدم حبيب على عمر فقال يا امير المؤمنين جئتك من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا
لا قليل ولا كثير فبعث اليه عمر وقال ما صنعت في المائة يا عمير فقال الا تسالني عنها قال لتخبرني
قال قسمتها بين اخواني المهاجرين والانصار قال فامر له بوسق طعام وثوبين فقال يا امير المؤمنين

اما الثوبان فاقبل واما الوسقان فلا حاجة لي بهما فعند اهلي صاع من بر يكفيهم حتى ارجع
اليهم ٥ وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صر اربع مايه دينار وقال للغلام اذهب بها
الى ابي عبيده بن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه
وقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال
تعالي يا جاريه اذهبي بهذه السبعه الى فلان وبهذه الخمسه الى فلان حتى انفدها ورجع
الغلام الى عمر فاخبره ووجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال امض بها الى معاذ بن جبل وتلكا
في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان امير المومنين يقول لك اجعل
هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال يا جاريه اذهبي الى فلان بكذا والى
فلان بكذا فقالت امراة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقه الا ديناران فدحا
بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوه بعضهم من بعض ٥

الباب الموفي خمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيره

اعلموا ارشدكم الله ان اول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطيه على ما رايي عمر بن الخطاب
وكان يفضل اهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى اجرى على العامه شيا واحدا ثلث مايه
واربع مايه وفرض للعيال مايه درهم في كل سنه وكان ابو بكر يساوي بين الناس في
العطا ولا يفضل اهل السابقه ويقول انما عملوا لله فاجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر
ياكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم ٥ وكان عمر يقول لا اجعل من قاتل رسول الله
كمن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولايه عمار فاجرى على عمار ست مايه درهم
مع عطايه لولايته وكتابته ومؤذنه ومن كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه

عثمن بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل يوم نصف شاه وراسها وجلدها
واكارعها ونصف جريب كل يوم واجرى على عثمن بن حنيف ربع شاه وخمسه دراهم كل
يوم دايما مع عطايه واجرى على عبد الله بن مسعود مايه درهم في كل شهر وربع شاه في كل
يوم واجرى على شريح القاضي مايه درهم في كل شهر وعشره اجربه وانما فضل عمارا عليهم
لانه كان على الصلوه ٥ قال مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا فطم فرض له
فمر من الليل وصبي يبكي على الرضاع وامه لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض
له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مايه درهم في كل سنه قال ابن
حبيب وفرض عمر للعيالات لكل عيل مد كيل واثني جريبين من بر في كل شهر وقسطين من
زيت وقسطا من خل ومايه درهم في كل سنه قال والجريب قفيز بالقرطبي والقسط قدر
ثمن ربع الزيت بالقرطبي ٥ قال الحسن وكان عطا سلمن خمسه الاف وكان على زها ثلثين
الف من الناس وكان يخطب الناس في عباه يلبس نصفها ويفترش نصفها فاذا خرج عطاوه
امضاه وكان يسف الخوص وياكل من سفيف يده ٥ وقال الحسن قدم على عمر بن الخطاب
وفد من اهل البصره مع ابي موسى الاشعري قال فكنا ندخل عليه وله كل يوم خبز يلت فربما وافقناها
مادومه بسمن واحيانا بزيت واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم اغلي عليه
وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال له يوما اني ارى تقديركم وكراهيتكم لطعامي والله
فاني لو شيت لكنت اطيبكم طعاما وارفعكم عيشا اما والله ما اجهل كراكر واسنمه وعن صلا
وصنايق وصلايق قال والصلا الشوي والصناب الخردل والصلايق الخبز الرقاق ولكني سمعت
الله تعالى عير اقواما بامر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
فكلمنا ابو موسى فقال لو كلمتم امير المومنين يفرض لنا من بيت المال طعاما ناكله فكلمناه

فقال يا معشر الامرا اما ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا يا امير المومنين ان المدينة
ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغشينا ولا يوكل طعامك وانا بارض ريف
وان اميرنا يغشينا وان طعامه يوكل قال فنظر ساعة ثم رفع راسه فقال قد فرضت لكم
من بيت المال شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجريبين
وكل انت واصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن يمينك ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم
لحاجتك واذا كان العشا فضع الشاة الغابرة على الجريب الاخر فكل انت واصحابك الا
واشبعوا الناس في بيوتهم واطعموا عيالهم والله ما اظن رستاقا يوخذ منه كل يوم شاتان
وجريبان الا يسرع ان في خرابه وكان عمر قد اطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم
فاجراه على كل رجل في كل شهر ممن كان في الديوان مكان ما كانت فارس تجريه على خبوهم
واساورهم وقال سعيد بن المسيب وابو سلمة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابو
العيال يسلم على ابوابهن ويقول الكن حاجة واتكن تريد ان تشتري شيا فيرسل معه نحو الحمير ومن
ليس عنده شي اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور تتبعهن بنفسه في منازلهن
بكتب ازواجهن ويقول ازواجكن في سبيل الله وانتن في بلد رسول الله ان كان عندكن من يقرا
والا فاقربن من الابواب حتى اقرا لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى يبعث
بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الباب حتى
اكتب لكن ويمر الى المغيبات فياخذ كتبهن فيبعث بها الى ازواجهن وقال الربيع بن زياد
الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يامره بالقدوم
عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفا فقلت يا يرفا مسترشد
وابن سبيل اي الهيات احب الى امير المومنين ان يرى فيها عماله فاوما الى الخشونة فاتخذت خفين

مطارق

٤٧

مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على راسي فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه
فصعد فينا وصوب فلم تاخذ عينه غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي
قال وما تتولى من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير قال فما تصنع
بها قال اتقوت منها شيا واعود على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقرا المسلمين قال فلا باس ارجع
الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم ترفع عينه الا علي فدعاني فقال
كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الان حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي حديثوا
عهد بلين العيش وقد تجوعت له فاتي بخبز واعصاب بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت
اكل وجعلت انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولم
اقلها فقلت يا امير المومنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني
ثم قال كيف قلت فقلت اقول يا امير المومنين لو نظرت الى قوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك
اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فنوتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن عنه ثم قال ههنا نزعت
قلت نعم قال يا ربيع انا لو شئنا لملانا هذه الرحاب من صلايق وسبايك يعني خبز الحواري ولكني
رايت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم امر ابا موسى
بان يقرني على عملي وان يستبدل باصحابي وقال قبيصة بن ذويب دعا عمر بن الخطاب رضي
الله عنه عبد الله بن سعيد وكان على اهل حمص فقال علام يحبك اهل الشام قال اني احبهم فاحبوني
قال ما لك اليوم قلت عبدي وفرسي وبغلي وخادمي قال فماذا تلبس في الشتا قلت عصابة اشد
بها راسي وجبة وكسا قال فماذا تلبس في الصيف قلت قميصا وريطة فاعطاني عمر
الف دينار وقال خذها واستنفق منها واعط منها قلت لا ارب لي فيها وستجد من هو احوج اليها مني
قال خذها فان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الي مالا وهو دون الذي اعطيتك فقلت له

كما قلت لي فقال يا عمر ما اتاك الله من هذا المال عطا من غير ان تتعرض له او تشرف
له نفسك فاقبله فخذه فانطلق به الى المراة فقال ان ابن رجلا له مقدار من فقرا المهاجرين
او من الاغنيا فقالت بل من الاغنيا فقسمها حتى بقيت منها صرة اظن فيها مايتين او نحو ذلك
فقالت له المراة اليس لي انا حق فاعطاها ما ابقاها وقال رجاء بن حيوه بينا نحن بخناصرة
اذا بامراة تسل عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارشدناها الى الدار فرات دارا رثة
متهشمة فقالت لخباط ما لك استاذن لي على فاطمة امراة عمر بن عبد العزيز فقال ادخلي
وصوتي بها فانها تاذن لك فدخلت فلما ابصرت ما بها قالت جيت اعمر فقري من بيت
الفقرا واذا رجل يعمل في الطين فسالتها عن امير المومنين فقالت هو ذلك يعمل في الطين فقالت
له يا امير المومنين مات زوجي وترك لي ثمان بنات فبكا عمر بكاء شديدا ثم قال لها ما تريدين قالت
تفرض لهن قال نفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانه وكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية
قالت فلانه فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا امير
المومنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد لاهله لاتممنا لك مع السبع
فلتواسين هذه الثامنه

الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة

روى عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى
اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المومنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل
ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا الا نحدث في مداينا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا
قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين

ولا

في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال
نطعمهم ولا ناوي في كنايسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القران
ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان ارادوه وان
نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شي من لباسهم في قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنا بكناهم ولا نركب السروج ولا
نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور
وان نجز مقادم روسنا وان نلزم زينا حيث ما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا
وكتبنا في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنايسنا الا ضربا خفيفا
ولا نرفع اصواتنا بالقراة في كنايسنا في شي من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع
اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ
من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم فلما اتيت عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد
فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن
خالفنا عن شي مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل المعاندة
والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان امض ما سالوه والحق فيه حرفين اشترطهما عليهم
مع ما شرطوه على انفسهم ان لا يشتروا شيا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع
عهده وروى نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى اهل الشام في النصارى
ان تقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي
المسلمين ليعرفوا وروي ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المومنين
انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قال نصارى قال ادعوا لي حجاما ففعل فجز نواصيهم وشق

من اردئهم حزما كثيرة مونتها وامرتهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا على الاكف من شق
واحد. وروي ان امير المومنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم
واقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على ابوابهم مثالا للشياطين لانهم اهل ذلك
وقرب منه اهل الحق وابعد عنه اهل الباطل والاهوا فاحيا الله به الحق وامات به الباطل
فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا. وكان عمر بن الخطاب يقول لا
تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا. ولما استقدم عمر بن الخطاب
ابا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستاذن
لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين
اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المومنين لي كتابته وله دينه
فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله. وكتب
بعض العمال الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان العدد قد كثر وان الجزية قد كثرت
فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعدا الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله
ولا تردوا اليهم شيا. وقال عمران بن اسيد اتانا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن
المنتشر اما بعد فانه بلغني ان في عملك رجلا يقال له حسان بن يزدي على غير دين الاسلام
والله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين واذا اتاك كتابي هذا
فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابا فلا تستعين به ولا تاخذ من
غير اهل الاسلام على شي من اعمال المسلمين فقرا الكتاب عليه فاسلم. ولما خرج النبي صلى

صلى الله عليه

الله عليه وسلم الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان
اتبعك واصيب معك قال تومن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك
ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له قوة وجلد فقال
جئتك لاتبعك واصيب معك قال تومن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك
ثم لحقه على ظهر البيدا فقال له مثل ذلك قال تومن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل
عظيم في انه لا يستعان بكافر فهذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلم ويراق دمه
فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين. وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على
اعمالنا الا اهل القران فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل
القران خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير. **فصل** ومما ينقض الذمي العهد بمخالفته
لشي من الشروط الماخوذة عليهم لم يرد الى مامنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق
وقال اصحاب الشافعي ويلزمهم ان يتميزوا عن المسلمين في اللباس وان يلبسوا قلانس يميزونها
عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من نحاس
او رصاص او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمايم والطيلسان واما المراة
فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام
ويكون احد خفيها اسود والاخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف
عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يصدرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلجون الى اضيق
الطرق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنا وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا
دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة
والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على

كل

طائفة منهم رجع لا يلبث اسمايهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يوخذون به من جميع الشروط
وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنا احدهم بمسلمة
او اصابها بنكاح او آوا عينا للكفار ودل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله
او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه
مما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما لا يوجب
نقض العهد رد الى مامنه في احد القولين وقيل يتخير في القول الاخر

فصل

وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلما فقيل انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به
عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اربعة
وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي
الشافعي وجعلوه كانه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان
وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر يجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر
ولا يجوز ان ينقص منه وقيل يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يوخذ
من الموسر اربعون درهما ومن المقتر دينار وعشرة دراهم وخرج على مذهب مالك في وجوب
تقدير طرفيها قولان بنا على العشر الماخوذ منهم هل هو تقدير شرعي ام لا يجوز الزيادة والنقصان
والمجانبين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد
فان اهل الكوفة قد اصابهم بلا وشدة وجور من العمال وسنن سيئة سنها عليهم
عمال السو فاجر عليهم اوضم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تاخذون
من الخراب الا ما يطيقونه ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة ليس لها اثر ولا اجور
الضرابين ولا اداه الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا اجور البيوت

ولا دراهم

ولا دراهم النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يوخذ ما ضربه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب
نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

فصل

وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلما اما الكنايس فامر عمر بن الخطاب
ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث كنيسة وامر الا يظهر عليه
خارج من كنيسته ولا يظهر صليب خارج من كنيسته الا كسر على راس صاحبه
وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعا وهذا مذهب علما المسلمين اجمعين وشدد في ذلك
عمر بن عبد العزيز وامر الا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة
وهكذا قال الحسن البصري من السنة ان تهدم الكنايس التي في الامصار القديمة والحديثة
ويمنع اهل الذمة من بنا ما خرب فقال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحايط منعوا وان طينوا
داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنا وتجوز المساواة وقيل لا يجوز

الباب الثاني في بيان الصفات المعتبرة في الولاة

اعلم ارشدك الله ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدك
في استصلاح العمال واذا فقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرق للاستجنان
والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منها موضع
ليس للاخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للراي والمشورة ومنهم لارادة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع
الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة

والذكر ومنهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة ولا يكمل للملك
ملك ما لم يجمع هذه الطبقات ٥ وقال ابو بكر رضي الله عنه لما مات كسرى
بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن
يفلح قوم اسندوا امرهم الى امراة ٥ وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة من استعمل
القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار فقال
اميران هلك والله القوم وليس يشترط النسب الا في الولاية لامامة العظمى دون سائر
الولايات ٥ ولما استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطبا
قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن امة قال زيد فقد كان
اسمعيل بن ابرهيم ابن امة واسحق ابن حرة ومحمد عليه السلم من ولد اسمعيل ثم اتهمه
في امر فقال له زيد انا احلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس احد فوق
ان يؤمر بتقوى الله ولا احد دون ان يامر بتقوى الله ٥ وقال بعض الخلفا دلوني على
رجل استعمله على امر قد اهمني قالوا وكيف تريده قال اذا كان في القوم وليس
اميرهم كان كانه اميرهم واذا كان اميرهم كان كانه رجل منهم قالوا
ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها ٥ ويروى ان عمر بن عبد العزيز
استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك باهل العدل قال ومن هم
قال الذين ان عدلوا فهو ما رجوت وان قصروا قال الناس اجتهد عمر ٥ ولما قدم البريد
من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان ساله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو الشديد في غير
عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الاخر الاجود الذي كان يامن عنده
البرى ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في

غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥ وقال الحليم اعتبر الرجال
بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان النسر مع عظمه ياكل الجيف وطير الماء مع ضعفه
يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منه ٥ وفي حلم الهند السلطان الحازم ربما احب الرجل
فاقصاه واطرحه مخافة ضره كالملسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه
وربما ابغض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه لغنا يجده فيه كتكاره
المرء على الدوا البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا فلا تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معوية واليا على الشام
من قبل عمر ثم عثمن فاستشار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهده
فاذا دخل في سعتك فاعزله فقال رحمك الله اتامرني ان اطلب العدل بالجور ثم عزله
فكان سبب عصيانه وهكذا اشاروا عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو فضلت موالي
الاشراف ومن يخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوسق الامر عدت الى التسويه
فقال اتامروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت
بينهم ولم افضل بعضهم على بعض فكيف والمال لهم واعطا المال في غير حقه تبذير وسرف
وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الاخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير اهله الا حرمه الله تعالى شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم
من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة لينال منه فان زلت به النعل يوما ما فاحتاج
الى معونته ومكافاته ما سلف من مبرته فشر خليل والام خدين ٥ واياك ايها الوالي وحب
المدح فان من احب المدح هو كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضا
حوايجهم منك فعند ذلك يكون قضا الحوايج لنفسك لا لهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم

احثوا في وجوه المداحين التراب ه وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان رضي
الله عنه فاخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه ه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يمدح رجلا فقال قطعت ظهر اخيك لو سمعها ما افلح بعدها ه ووصف اعرابي
اميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غايب
عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خايف ه وقال عبد الله بن الزبير لاسعد بن
هند ان كانت فيه لمخارج ما نجدها في احد بعده ابدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث
الحرب على براثنه باجرى منه فيتفارق لنا وان كنا لنتخدعه وما ابن ليلة من الارض باذها
منه والله لوددت انا متعنا به ما دام في هذا الحجر واشار الى ابي قبيس لا يتحوز له عقل ولا
ينقص له قوة ه وقال الصلحي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن
القاده اما بعد فانه لا يقيم امر الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه
على عورة ولا يحنق في الحق على جرة ولا يخاف في الله لومة لايم ه وقال المتجاجل
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وساله ان يكتب له كتابا في امر فقال اذهب الى منزلنا
فاتي بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب فلم اجد عندهم الا اذن مزود فكتب له
في تلك الاذن ه ولما ولى المامون يحيى بن اكثم قضا البصرة بعد ان امتحن عقله وعلمه وامتحنه
بمسايل توجب فوق ما يريد تلقاه وجوه اهل البصرة فراوا شابا صبيا ما قفلت لحيته
فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال له بعضهم
كم سن القاضي اصلحه الله قال مثل سن عتاب بن اسيد لما ولاه النبي عليه السلم مكة فهابوه
لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن اسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة
وكان عمر يقول لا يصلح ان يلي امور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد

الهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا تاخذه في الله لومة
لايم ه وقال الصابي ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل
عصفور ويكون عنده من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير
حق ه ويروى ان الرشيد احضر رجلا ليوليه القضا فقال اني لا احسن القضا ولا انا فقيه
فقال له الرشيد فيك ثلث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك
من العجلة ومن لم يعجل قل خطاوه وانت رجل تشاور في امرك ومن يشاور كثر صوابه
واما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعنا ه وقال اياس بن معوية
استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت فساكتني فسكت فلما اطال قلت ايه سل عما بدا لك
قال اتقرا القران قلت نعم قال فهل تعرض الفرايض قلت نعم قال فهل تعرف من ايام العرب شيا
قلت انا بها اعلم قال فهل تعرف من ايام العجم شيا قلت انا بها اعلم قال اني اريد ان استعين
بك قلت ان في ثلثا لا اصلح معهن للعمل قال ما هن قلت انا دميم كما ترى وانا حديد وانا عيي
قال اما الدمامة فاني لا اريد ان احاسن بك واما العي فاني اراك تعرب عن نفسك واما سوء الخلق
فيقومك السوط تولاني واعطاني الف درهم فهو اول مال تمولته ه وقال سليمن بن داود
عليهما السلم ما ملاقاة اللبوة سلبت عن اشبالها باصعب من لقا جاهل راض عن نفسه ه

الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط التي تو خذ

اعلم ارشدك الله انه يجب ان يولى على الاعمال اهل الحزم والكفاية والصدق والامانة
وتكون التولية للغنا لا للهوى وملاك الولايات واساسها ان لا يولى الاعمال طالب لها
ولا راغب فيها ه روى البخاري في صحيحه عن ابي موسى الاشعري قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلم

الا استعمل على عملنا من اراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت النبي
في نفسه ٥ وقد روي عن بزرجمهر وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار امره الى ما صار
اليه قال لانهم قلدوا اكابر الاعمال صغار الرجال ولله در عمرو بن العاص حيث قال
موت الف من العليه اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة ٥ وقال العلا بن ايوب غضب المامون
على بعض اصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا اماتك الله او يبلغك دولة السفلة ٥ وقال
رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قلدناه ادركتك امره الصبيان
وقال المستعين الاكبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلث مايه سنه ٥

وما سقطت يوما من الدهر امة الى الذل الا ان يسود دميمها
اذا ساد فينا بعد ذلك لئيمنا تصدى للنا ذلك وقد ادلمها
وما قادها للخير الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله ولكن لتدبير الامور حكيمها

واعلم ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا
يطلبها الا لص في ثوب ناسك وذئب في مسلاخ عابد حريص على الدنيا نابذ لدينه ومروته
مبتغ عرض الحياه الدنيا وقد سبق المثل والحرص على الامامه دليل الخيانه يتخذون عباد الله
خولا واموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين واحلت اموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم
فانتقصت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في اول كتاب الايثار في كراهيه
الولايات ٥ وقال المامون ما فتق علي فتق في مملكتي الا وجدت سببه من جور العمال
فان قيل فما معنى قول يوسف عليه السلم للملك اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
قلنا يوسف كان نبيا من انبيا الله تعالى واثنا من نفسه بالكفايه والامانه بين يدي

من لا يحقق بواطن اسراره ولا يعلم خصايصه وفضايله ويرى الامور والاعمال
والولايات في ايدي من ليسوا اهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته
ولا ما عنده من الخصال والفضايل ان يذكر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك
من شره وعن هذا قال بعض اصحاب الشافعي اذا كان القضا في يد من لا يصلح وجب ان يخطبه
من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقها الامصار على خلاف هذا الراي ويحتمل
ان يكون يوسف عليه السلم قد اوحي اليه بما يصير امره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة
الاسلام فلهذا نبه على نفسه ٥ ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمن الحليم كان حبشيا
عبدا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين لامراه من بني الحسحاس وكان جليسا لداود عليه
السلم فاتاه جبريل عليه السلم بالنبوه من عند الله الذي يصطفي لنبوته من يشا فقال لقمان
يا جبريل ان خيرني ربي سمع وطاعه وان خيرني اخترت الحكمه فرضي الله تعالى قوله
واعطاه الحكمه وصرف الرساله لداود عليه السلم فكان داود يقول طوبا لك يا لقمن
اوتيت الحكمه واوتي داود البليه ٥ وروي انه جالس داود عليه السلم وداود يعمل
الدرع فاقام حولا لا يعرف صنعه الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسال عن ذلك فلما تم حولا
لبس داود الدرع وقال درع حصينه ليوم حرب فقال لقمن الصمت حكمه وقليل فاعله ٥ وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه اربعه لا يركب البراذين ولا يلبس
الرقيق ولا ياكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوايج الناس وما يصلحهم ويقول له
اني لا استعملك على ابشارهم ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملك لتصلي بهم وتقضي
بينهم بالعدل ٥ وروي عبايه بن رفاعه قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن ابي وقاص
اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع التصويت فارسل عمر محمد بن مسلمه وكان عمر

اذا اتى الذي نوما بالامر كما هو بعينه فقال له ابت سعدا فاحرق عليه بابه فقدم
الكوفه فلما اتى الباب اخرج زنده واستورى نارا ثم احرق الباب فاتى سعد الخبر ووصف راني
له الصفه فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ امير المومنين انك قلت انقطع
التصويت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذى امرنا به ونودي
عنك ما تقول ثم ركب راحلته فلما كان ببطن الربذه اصابه من الخمص والجوع ما الله به اعلم
فابصر غنما فارسل غلامه بعمامته فقال اذهب فابتع منهم شاة فجا الغلام بالشاة وهو
يصلي فاراد ذبحها فاشار اليه ان يكف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكه
مسيمها فاردد الشاه وخذ العمامه وان كانت حره فاردد الشاه فذهب واتى
مملوكه فرد الشاه واخذ العمامه واخذ بخطام ناقته وجعل لا يمر بشي الا خطمها
حتى اداه الليل الى قوم فاتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شي غير هذا اتيناك به فقال
بسم الله كل حلالا اذهب السغب خير من ماكل السوء حتى قدم المدينه فنزل بابله
فابرد من الياتم راح فلما ابصره عمر رضي الله عنه قال له لولا احسن الظن بك ما راينا انك ادبت
وذكر والله اسرع السير فقال قد فعلت وهو يحلف بالله ما قال فقال عمر هل تقدر
امر لك بشي قال قد رايت مكانا ان تامر لي فقال عمر ان ارض العراق ريفيه وان اهل
المدينه يموتون حولي من الجوع فخشيت ان امر لك بشي يكون لك باردة ولي الحاره وروي
زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعا هنيا على الحما فقال
يا هني اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوه المظلوم فان دعوه المظلوم مستجابه وادخل
رب الصريمه والغنيمه واياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما
يرجعان الى نخل وزرع وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيته ياتيني ببنيه

فيقول

فيقول يا امير المومنين افتاركهم انا لا ابا لك فالما والكلا ايسر علي من الذهب والفضه
وايم والله انهم ليرون اني قد ظلمتهم انها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهليه واسلموا
عليها في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عنهم
من بلادهم شبرا ٥ ومر يوما ببنا يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا انه لعامل من
عماله على البحرين فقال ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها وقاسمه ماله وكان يقول لي
على كل خاين امينان الما والطين ٥ وكان انوشروان يكتب على عهد العمال سس خيار الناس
بالمحبه وامزج للعامه الرغبه بالرهبه وسس سفله الناس بالاخافه ٥ وقال سليمان بن داود
عليهما السلم كما يصلح الهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح التضييب لظهر الجهال
وفي الامثال من لم يصلح باللين اصلح بالتليين ٥ وقال هلال بن يساف استعمل النبي صلى الله
عليه وسلم المقداد على سريه فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رايت
الامارة ابا معبد قال خرجت يا رسول الله وما ادري ان لي فضلا على القوم فما رجعت الا
وكانهم عبيد لي قال وكذلك الاماره ابا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذي
بعثك بالحق لا اعمل على عمل ابدا ٥ وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يمنعك ان
تولي العمل الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال انا اجل من ان ادنسهم
بالعمل ٥ وقال ابراهيم كان عمر اذا قدم عليه الوفد سالهم عن حالهم واسعارهم وعمن
يعرف من اهل البلاد وعن اميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود عليه المريض فان قالوا
نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان اقبل ٥ ومثل السلطان اذا ولي الظالمين
مثل من يسترعي غنمه الذياب ومثل من يربط الكلب العاقور ببابه وان العامه
تشتم الحجاج بن يوسف والخاصه تلوم عبد الملك بن مروان لانه الذي استرعاه

ورابطة

وفيه قيل   ومن ربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من عاقر الكلب
وكان العلاء بن ايوب لما ولي فارس من قبل المامون يكتب عهد العامل ويقراه على من
يحضر من اهل ذلك العمل ويقول لهم عيونكم عليه فاستوفوه منه ومن تظلم اليّ منه
فعلي انصافه وبعثته جاسوسا وراجعا وياخذ العامل الذي يقرا عهده على اهل عمله في
كل جمعة وان يقول لهم مثل ما استوفيتم ٥

الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشا على الشفاعات

روى ابو داود في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاخيه شفاعة
فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد اتا بابا عظيما من ابواب الربا والسر فيه انك اذا
قدرت على قضا حاجته من عند السلطان الظالم او اليد القاهرة صار ذلك واجبا عليك
وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له
ابن اللتبية فلما جا قال يا رسول الله هذا لكم وهذا اهدي لي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا يقول هذا لكم وهذا اهدي لي الا قعد في بيت
امه وابيه فينظر هل يهدى له ٥ قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاطر
العمال وياخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال فقال
ابو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت فقال لهم اشاطروا انما شاطرهم حين ظهرت
لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم ٥ وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد
الله اخوه ابلا فبعث بها الى الحما فرعت فقال عمر رعيتما في الحما فشاطرهما
وشاطر سعد بن ابي وقاص حين قدم من الكوفة كانه راى ان ما اصاب العامل من غير

من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لانه بالامرة قوة على ان ينال من
الحلال ما لا ينال غيره فجعله كالمضارب للمسلمين ٥ ولما دفع ابو موسى الاشعري
مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا به بضاعة فربحت
بالمدينة فاراد عمر ان ياخذ جميع الربح فراجعه عبد الله فجعل بينهم نصف الربح ولهما جميعا
نصف الربح واخذ عمر النصف لبيت المال ٥ وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما
هلك من كان قبلكم انهم منعوا الحق حتى يشترى (بالرشوة) وبسطوا الباطل حتى يفتدى الملك بالدين يعني
والدين بالملك يعني ٥ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا
نهارا ولا يدخلوا اليه ليلا كيلا يحتجزوا شيئا من الاموال ٥ وقال عتاب بن اسيد والله ما اصبت في عملي
الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان ٥
وروى ان عليا رضي الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري على السواد فرجع الى داره وقد امتلات
فقال ما هؤلا قالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلا يريدون ان يا كلوا في
اماناتي ويروى في امارتي فرجع الى علي وقال لا حاجة لي في العمل ٥ وقد ذكرنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اخر لي قال اقعد في بيتك وفي الامثال
ان الهدية تعمي وتصم ٥ وقال بعض الحكما الرشوة رشا الحاجة وانشد بعضهم

اذا اتت الهدية دار قوم   تطايرت الامانة من كواها
ولبعضهم
ان الهدية حلوة   كالسحر تختلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى   حتى تصيره قريبا
وترد مصطغن العداوة   بعد نفرته حبيبا

ومما قلته في الرشوة

ولكم من يدق الباب شخص   ثقيل الحمل مشغول اليدين

وقلت ايضا

ينوء اذا مشى نفسا ونفخا   وينطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشي عليها   ابو المعشوق فوق الصفحتين

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه خلابه بعضهم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى رسول يقال له الدرهم

وكتب عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتشى بكرميه

اذا رشوة من باب بيت تقحمت لتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كانها حليم تولى عن جواب سفيه

الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق

اعلم ارشدكم الله ان هذا الباب مما غلط فيه الخلق وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى اخلاق العامه من خلابق الغوغاء والدنا وما يجري بينهم اذا التقوا وتعاشروا من الافراط في مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراياه والمعاريض عن الامور المكنونه التي يسوا اظهارها والانخراط في سلك المزاح والمهاتره فهذا وما اشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما رضي الله عليه ورسوله من حسن الخلق فاول ذلك ان تعلم انه لم يحبو الارض على بشر احسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله او قاربها او بعضها كان احسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعدو اخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا اصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما اوتي الناس في هذا الباب بجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وسا انا امليه عليك من اخلاق انبياء المرسلين والاوليا والاصفيا والعلما والصالحين ما نرجوا ان ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لنبيه ووصفه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله نبيه من كرم الطبايع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد مالم يؤته غيره ثم ما اثنا الله تعالى عليه بشي من فضايله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا

الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلم من حسن الخلق قال عبيد الله بن عمير قلت لعايشه ام المومنين صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي اما تقرا القران كان خلقه القران وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القران فالقران يجمع كل فضيله ويحث عليها وينهي عن كل نقيصه ورذيله ويوضحها ويبينها ولذلك لما انزل الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر ان اخلاق العامه من هذا النمط وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها اصول الفضايل وينبوع المناقب لان في اخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطا المانع وفي الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله عز وجل يدخل جميع اداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وقوه النفس عن مماراه السفيه ومجاراه اللجوج فهذه الاصول الثلث تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وضمنا واعتبارا وروى انس قيل يا رسول الله اي المومنين افضل قال احسنهم خلقا وروى ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم محاسن الاخلاق اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى امته انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم محاسن الاخلاق اذ الحسن الخلق امتثال الشرايع باسرها وروى البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من احبكم الي احسنكم اخلاقا وكان النبي عليه السلم في بعض اسفاره وعليه ردا نجراني غليظ الحاشيه فجبذه اعرابي جبذه شديده حتى اثرت حاشيه الردا في عنقه وقال يا محمد

مولى من مال الله الذي اتاك فلست تامولي مما لك ولا مما اليك فالتفت اليه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال تم والدوام الحكمة بشيء ٥ وروى معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له احسن
خلقك للناس معاذ بن جبل ٥ واعلموا ان الخلق الحسن افضل مناقب العبد وبه يظهر
جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه الا ترى ان الله تعالى خص نبيه عليه
السلم بما خصه به من الفضايل ثم لم يثن عليه بشي من خصاله بمثل ما اثنى عليه بخلقه ٥ وقال
بعض المفسرين في قوله وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفته بالله
تعالى وقيل لم يوثر فيك جفا الخلق بعد معرفتك بالحق ٥ قال المحاسبي كظم الغيظ واظهار
الطلاقة والبشر الا للمبتدع او فاجر والا ان يكون تاجرا اذا انبسطت اليه استحيا واقلع والعفو
عن الزالين الا بادب او اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر او اخذ
مظلمة لمظلوم فهذا حسن الخلق ٥ وقيل حسن الخلق ان لا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك ٥ وقيل
للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري قال بينما هو ذات يوم جالس
في داره اذ جاته خادم له بسفود عليه شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت
الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى ٥ وكان ابن عمر اذا راى واحدا من عبيده
يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرايا له فكان يعتقهم فقيل
له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له ٥ وقال الفضيل لو ان امرا احسن الاحسان
كله وكانت له دجاجة فاسا اليها لم يكن من المحسنين ٥ وقال المحاسبي فقدنا ثلثة
اشيا حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخا مع الوفا ٥ وقال
الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق وكان عبد الله بن محمد الرازي
يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام ما اليك ٥ وقال سهل حسن الخلق ان لا

تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة احد الا الله تعالى ٥ وقيل حسن الخلق تحمل اثقال
الخلق ٥ وقال ابو ساه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المون ٥ وقيل حسن
الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا ٥ وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفا الخلق
وقضا الحق بلا ضجر ولا قلق ٥ وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة ٥ وقالت امراة لمالك بن
دينار يا مرائي فقال يا سيدة وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ٥ وفي الحديث ان النبي عليه السلم
قال لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق ٥ وروى ان ابا عثمن اجتاز بسكة
وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طست رماد فتغير اصحابه وبسطوا السنتهم في الملقي
فقال ابو عثمن لا تقولوا شيا من استحق ان يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب
وقيل لابرهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم
فجا انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجا انسان وصفعني ٥ وكان اويس القرني اذا
راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار كيلا تدموا علي
ساقي فتمنعوني الصلوة ٥ وروى ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا
وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك
جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الالهية
يفرغها الله على المصطفين من عباده واهل الصفوة من اوليايه الا ترى الى قوله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك جرده عن حقايق
البشرية والبسه من نعت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبر على تبليغ الرسالة فيهم مع الذي
كان يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلا الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشا
وقال النبي عليه السلم المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم

لانه تالف من الجواهر والالوان ٥ وقال عليه السلم للرجلين متباغضين ادم الله بينكما اي
الف بينكما ومنه يسمى الادم الماكول لانه يولف الطعام ويحسنه ٥ ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لرجل اراد ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى ان يودم
بينكما اي يولف بينكما ٥ وروي ان معروف الكرخي نزل الدجلة يتوضا ووضع
مصحفه وملحفته فجاءت امراة فاخذتهما فتبعها معروف وقال يا اختي انا معروف فلا
باس عليك الك ابن يقرا قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتي المصحف وخذي الثوب
وروي ان ابا ذر كان على حوض يسقي ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم
اضطجع فقيل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا اذا غضب الرجل ان يجلس
فان ذهب عنه والا فليضطجع ٥ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا لنصافح اكفا
نرى قطعها ٥ وقال ابو ذر انا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ٥ وقال الحربي بن قيس
يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله
فلا اكثر الله في المسلمين مثله ٥ وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة بني لتكن كلمتك
طيبة ولتكن وجهك طلقا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطا ومن يصحب صاحب السو
لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم ٥ وروي ان ابرهيم بن ادهم خرج الى بعض البراري
فاستقبله جندي فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب راسه فاوضحه فلما جاوزه
قيل له هذا ابرهيم بن ادهم زاهد خراسان فجاه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني سالت
الله لك الجنة فقال لم فقال قد علمت اني اوجر على ذلك فلم ارد ان يكون نصيبي منك الخير
ونصيبك مني الشر ٥ وحكي ان ابا عثمن الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافا باب الدار
قال يا استاذ ليس لي وجه في دخولك وقد ندمت فانصرف رحمك الله فرجع ابو عثمان

فلما وافا منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة
فقام ابو عثمن ومضى معه فلما وافا داره قال مثل ما قال في الاولى واخذ يعتذر ثم كذلك
فعل في الثالثة والرابعة وابو عثمن ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف
على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمن لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب
فالكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر ٥ وروي ان بعض الفقرا نزل على جعفر بن حنظلة وكان جعفر
يخدمه والفقير يقول نعم الرجل انت لو لم تكن يهوديا فقال ابو جعفر عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج
اليه من الخدمة فسل لنفسك الشفا ولي الهداية ٥ وروي ان ابا جعفر القمودي المتعبد لقيه بعض
٤ المازني الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلفي فابا فضرب راسه بالسوط
حتى اوجعه فقال له بعض الحاضرين ويحك هذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه وجعل
يقبل يديه ويعتذر اليه فقال له انت في حل ٥ قال ابرهيم بن الحسن سمعت ابرهيم القمودي ليالي
عدة اذا فرغ من حزبه في جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه ٥ وقيل مكتوب
في الانجيل عبدي اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ٥ وقال بعض المفسرين في قوله
تعالى وقولوا للناس حسنا اي كل من لقيته فقل له حسنا من القول ٥ وقال لقمن الحكيم لابنه ثلثة
لا يعرفون الا في ثلثة الحليم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة اليه ٥ وروي
ان عبد الله الخياط كان له مجوسي يخيط عنده الثياب ويدفع له دراهم زيوفا وكان عبد الله
ياخذها فجا المجوسي يوما بالدراهم فلم يجده فاعطاها التلميذ فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما
رجع عبد الله قال تلميذه هذه دراهم المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله بيس ما فعلت انه
يعاملني بهذه المعاملة منذ اعوام وانا اصبر عليها والقيها في البير ليلا يغر بها غيري ٥
وروي ان معاوية نظر الى ابنه يزيد يضرب امة له فقال انضرب من لا يمتنع منك لقد حالت القدرة

سبي الحسن اولي الترابا ه وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين
ادناه واهونه ان لا يتسع لمراد الخلق واقصاه وشره ان لا يتسع لمراد الخالق ه وقال
المحاسبي اصل سوء الخلق الاعجاب وقل ما يسوء خلق الرجل الا من عجبه وتكبره ولا يرى فوقه
احدا ولا يعرف قدر نفسه فتداخله العزة ه وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر
اي وخلقك فحسن ه وكان لبعض النساك شاة فراها على ثلث قوايم فقال من فعل
هذا بها فقال غلامه انا فعلته قال ولم قال لاغمك بها فقال لاغمن من امرك بها اذهب
فانت حر ه وروى البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال راى عيسى
بن مريم رجلا يسرق فقال له اتسرق قال كلا والذي لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلم
امنت بالله وكذبت عيني ه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه فساد الاخلاق معاشرة
السفهاء ه وقيل الخلق السيء يضيق قلب صاحبه لانه لا يتسع فيه غير مراده كالمكان
الضيق لا يسع فيه غير صاحبه ه ويقال من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك ه وسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن الشوم فقال سوء الخلق ه وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قيل له ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ه ولما وصى يعقوب
عليه السلم اولاده قال احفظوا عني خصلتين ما انتصفت من ظالم قط قولا ولا فعلا وما رايت
حسنة الا وافشيتها وما رايت سيئة الا وسترتها كذلك فافعلوا ه وقال ابن عمر اذا
سمعتموني اقول لمملوك اخزاه الله فاشهدوا انه حر ه ويقال السيء الخلق هو الذي لا يملك نفسه
عند الغضب ه وقيل اصل سوء الخلق مطالبة غيرك ان يوافقك دون ان تطلب لنفسك موافقة
غيرك وعلامة حسن الخلق ان يحتمل معاملة سيء الخلق ليستتر به سوء الخلق ه وقيل العارف
يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب ان لا يكون بينه وبين خلقه

١٢٩

عتاب ه وروى ان عبد الله بن جعفر كان في حجره يتيم سيء الخلق فمات فحزن عليه
فقيل له انك تجد عبرة قال فمن لي بمثل سوء خلقه ه وكان ليحيى بن زياد الحارثي
غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق ه وقال الفضيل
لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق ه فان قيل البشر قد روي
ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلم التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كانك امن
فقال عيسى وانت تلقاني عابسا كانك ايس فاوحى الله تعالى اليهما ان احبكما الي ابشكما
صاحبه ه قلنا كذلك يستحب ان يكون المومن وليس اطلاق الوجه والتبسم في وجه
اخيك منهي عنه وانما المكروه ما ذكرناه في اول الكتاب من الملق والتصنع وفصل الخطاب
في هذا الباب ما روى هند بن ابي هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال
كان اصحابه كانما على رؤوسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه طاير لا يبرح فانه
لا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينه حذرا ان ينفر الطاير ه وقال ابن المقفع كان لي صديق
من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا
من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه
فلا يدعو اليه مونة ولا يستخف له رايا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا
يقدم ابدا الا على ثقة بمنفعة كان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القايلين وكان
الحد فهو متضاعفا مستضعفا فاذا جا الليث عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مرا
ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما يكون العذر
في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا يشتكي

ولا ينعم ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من إنعامه وحيلته وقوته. فاقتف
بهذه الأخلاق فإن لم تطق فأخذ القليل خير من ترك الجميع. وروي أن حكيما سمع رجلا
يذم الزمان وأهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق أحد يصحب فقال يا هذا إن كنت
طلبت صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله فلا يرزأك
بشيء وتجفوا عنه فلا ينتقم ويأكل رحلك فلا تنال منه شيئا وجدت أصحابا
وإخوانا وخلانا وأنا أول من يصحبك. فصل في الفرق بين المداهنة والمداراة
من دارا سلم ومن داهن أثم وهذا باب اغتلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون
أنهم يدارون فالمداهنة منهي عنها والمداراة مأمور بها قال الله تعالى في المداهنة ودوا
لو تدهن فيدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداراة رأس العقل بعد الإيمان بالله
التودد إلى الناس وأمرت بمداراة الناس كما أمرت بأداء الفرائض. واعلم أنه إذا استقيم
المداراة صارت مداهنة فالمداهنة أن تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداراة
مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وقد قالت قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فأبى فقالوا فشهرا فأبى قالوا
فيوما فأبى قالوا فساعة فأبى قالوا فاستلم آلهتنا بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وطمع أن يفعل أن يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون
وقيل له ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات. ومثاله أن تقول للظالم أبقاك الله ومن دعا لظالم بالبقاء فقد أحب
أن يعصى الله سبحانه وهذا ينبغي لذوي الدين حفظه. وقد رأى بعض الفقهاء
الخروج من هذه العهدة بالتعريض وكان الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جار نصراني

يقضي

يقضي حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر أن يقول له أبقاك الله وتولاك أقر الله
عينك سرني والله ما يسرك جعل الله يومي قبل يومك لا يزيده على هذه الكلمات فيفرح
النصراني بها وتسره فعوتب الفقيه في ذلك فقال إنما أدعو بمعاريض قد علم الله ذلك
من نيتي أما قولي أبقاك الله وتولاك فأريد أن يبقيه الله تعالى لغرم الجزية وتولاه بالعذاب
وأما قولي أقر الله عينك فأريد أن يقر حركتها بسهم يعرض لها فلا تتحرك جفونها وأما قولي يسرني
والله ما يسرك فإن العافية تسرني كما تسره وأما قولي جعل الله يومي قبل يومك فأريد
أن يجعل الله تعالى اليوم الذي أدخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره.

الباب السادس والخمسون
في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الفاسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه
الأوصاف الثلاثة الكفر والظلم والفسق وقال سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
وقال أحمد بن خضرويه لو أذن لي في الشفاعة ما بدأت إلا بالظالمين لتعزية الله تعالى في قوله
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أغتنم سفرا لا يكون فيه من لا يؤذيني
ويظلمني شوقا مني لتعزية الله تعالى للظالمين. وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الآية وعيدا
للظالم وتعزية للمظلوم. وقال كعب لأبي هريرة في التوراة من يظلم يخرب بيته فقال أبو هريرة
وذلك في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم أدعى شيء إلى سلب النعم
وحلول النقم. وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه قال يا عبادي
إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته

فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم
يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون
بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي
لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان
مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما
هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك
ولا يرويه أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يلوم الا نفسه
أبو إدريس إذا حدث به جثا على ركبتيه ۝ وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الظلم ظلمات يوم القيامة ۝ وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة
المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ۝ وروى أبو هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان
له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه
وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الأرض
شبرا طوقه من سبع أرضين قال أبو جعفر الطحاوي معناه أنه يقلب شجاعا أقرع فيطوقه
كما قال النبي صلى الله عليه في مانع الزكوة يجيء يوم القيامة شجاع أقرع يتبعه ويقول
أنا مالك أنا كنزك فكان هذا داخلا في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

هذا

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم ۝ وروى أبو موسى
الأشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وقرأ
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ۝ وروى أنس أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله كيف هذا أنصره مظلوما
فكيف أنصره ظالما قال تأخذ فوق يده ۝ وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال صنفان من أمتي لم أرهما ناس معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء
كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن
ريحها وقال الله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا وفي الآية تأويلان أحدهما أمرناهم بالطاعة ففسقوا أي
خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المد أي كثرنا عددهم وأسبغنا النعم عليهم فعصوا
وتتابعوا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي
كثيرة النتاج واعلموا أن حشرات الأرض وهوامها تلعن العصاة ۝ وقال مجاهد إذا اشعثت
الأرض تقول البهائم هذا من أجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون ۝ وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الجعل ليموت بذنب ابن آدم يعني
أن بذنوب الخلق يمنع القطر فلا تنبت الأرض فتهلك الدواب والحشرات ۝ وسمع أبو هريرة
رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى أن الحبارى لتموت هزلا في وكرها
بظلم الظالم ۝ وقال ابن مسعود خطيئة ابن آدم قتلت الجعل ۝ وروى مسلم في صحيحه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار
وحرم عليه الجنة فقال الرجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن كان قضيبا من أراك

وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا القى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا
في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم
قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو ه
وقال بعض الحكما اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك
لا يعجبنك رحب الذراعين يسفك الدما فان له قاتلا لا يموت ه وروي كان بعض الملوك
رقم على بساطه   لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا   فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم
وانشدنا قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني رحمه الله ببغداد ه
اذا ما هممت بظلم العباد   فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان المظالم يوم القصاص   لمن قد تزود منها شر زاد
وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حكيم يقول ما هبت شيا قط هيبتي رجلا ظلمته
وانا اعلم انه لا ناصر له الا الله فيقول لي حسبك الله الله بيني وبينك ه وقال بلال بن
سعد اتقوا فيمن لا ناصر له الا الله ه وقال ابو سليمان الداراني لما دخل اخوة يوسف عليه
عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فجعل يكلمهم وكان ابن خالته فقال له بم
اوصاك ابوك قال باربع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان
يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من عينه
ولا تسي بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين ه وبكى علي
بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى
ولم تكن له حجة ه

ولمحمود الوراق

اني وهبت لظالمي ظلمي   وتركت ذاك له على علمي
ورايته اسدى الي يدا   لما ابان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه واحساني   فآب مضاعف الجرم
وغدوت ذا اجر ومحمدة   وغدا بكسب الذم والاثم
ما زال يظلمني وارحمه   حتى رثيت له من الظلم
فكانما الاحسان كان له   وانا المسي اليه في الحكم

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا
يجد ناصرا غيري ه وقال ابن مسعود لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس ترادوا
المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر من اساسه فيرده الى صاحبه ه وقال ثور بن يزيد
الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه ه وقال غيره لو ان الجنة وهي دار البقا اسست
على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب ه وقال الحكما العدل رحمة والظلم ظلمة فالعدل يجر
اليك الحوايج وبالجور يهجم عليك الجوايح فاحذر من لا جنة له الا الثقة بنزول الغير ولا سلاح
له الا الابتهال الى مقلب الدول ه وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب يا معشر الظلمة
لا تجالسوا اهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم
بلعنتي ه وقال ابو امامة يجي الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم
وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات
فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سياتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل
من النار ه ومن صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على اناس وقد اقيموا في الشمس

وصب على رؤوسهم الزيت قال قلنا قال يعذبون في الخراج فقال اما اني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا
واخبرني رجل ممن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا
شيخ يكون عينا للكاتبين يدور حولهم فرايته في النوم بعد وفاته فقلت
له من اين تجي فقال لي لا تسل فاعدت عليه فقال لا تسل فسالته فقال من الجحيم
فقلت له فالى اين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف لقيت قال وما
ذا لقيت كان لحمي جعل في ماوون ودق حتى صار مثل المخ واخبرني رجل من اهل
العلم والدين قال رايت رجلا من الباعة بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال انا محبوس
عن الجنة فقلت فيما ذا قال كنت ابيع في الدكان فيزدحم على الناس فاخذ دراهمهم
فاضعها في فمي فكلما نفرغت وزنتها واعطيت كل انسان حقه فاختلطت في
في الفضتان فدفعت لاحدهما فضة الاخر وكانت انقص من فضته حبة ثم حبست
في على حبة فقلت له فادفع الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من اين ادفع له من
اين ادفع له وكرر ذلك مرات ويروى ان يونس عليه السلم لما نبذ بالعرا وانبت الله عليه
شجرة من يقطين كان ياوي الى ظلها فيبست فبكا عليها فاوحى الله تعالى اليه يبكي على شجرة
نبتت نهارا ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم وقيل لابن السماك الاسدي
ايام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال
بعض الحكما اكثر الناس اكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما
لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله

فذكر الحجاج فسببته ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالمظلمة
فلا يزال المظلوم يشتمه الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم الفضل عليه
وقال عمر وبن دينار بينا رجل في بني اسرايل مر باني فلا يظلمن احدا واذا رجل قد ذهب
ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من راني فلا يظلمن احدا فسئل عن حاله فقال بينما انا
اسير في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد اصطاد تسعة انون فاخذت منه نونا
وهو كاره بعد ان ضربت راسه فعض النون ابهامي عضة يسيرة ثم اكلناه فوقعت
الاكلة في ابهامي فاتفقت الاطبا على قطعه فوقعت في كفي ثم ساعدي ثم عضدي
فمن راني فلا يظلمن احدا فخرجت اسيح في البلاد واريد قطع عضدي اذ رفعت لي شجرة
فاويت الى ظلها فنعست فقيل لي في المنام لاي شي تقطع اعضاك رد الحق الى اهله
نجيت الصياد فقلت يا عبد الله اني مملوكك فاعتقني فقال لما اعرفك فاخبرته
فبكا وتضرع وقال انت في حل فلما قالها تناثرت الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له بما
ذا دعوت علي فقال لما ضربت راسي واخذت السمكه نظرت الى السما وبكيت وقلت يا رب
اشهد انك عدل تحب العدل وهذا ملك عبدك وانك الحق تحب الحق وهذا استحق
وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلني ضعيفا فاسالك بالذي خلقتني وخلقته
ان تجعله عبرة لخلقك وقال معويه ان اولى الناس بالعفو اقدرهم على الانتقام وان
انقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكما الظلم على ثلثه اوجه ظلم لا يغفره
الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبا الله به شيا فاما الظلم الذي لا يغفره الله
فهو الشرك بالله واما الظلم الذي لا يتركه الله فظالم العباد بعضهم بعضا واما
الظلم الذي لا يعبا الله به فظلم العبد بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران

من ظلم رجلا مظلمة فعاله ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت
ان يخرج من مظلمته ه وقال يوسف بن اسباط توفي رجل من الحواريين فوجدوا
عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح عليه السلم فوقف على قبره فاحياه ودعا
الله تعالى وفي رجليه نعلان من نار فسال عن ذلك فقال والله ما عصيت الله تعالى
قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فنعلت هاتين النعلين ه واما انا
فاوصيك اذا فعلت باحد مكروها فادع الله تعالى واستغفر له كما فعل موسى
عليه السلم لما اذاه هارون واخذ براسه ولحيته ثم تبين له براءته فان بني اسرايل غلبوه
عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين
وروي ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال فاهلكهم الله بها كانوا يتغوطون في
الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي المياه الجارية وفي شطوط الانهار وكانوا يحذفون
الناس بالحصا فيعورونهم واذا اجتمعوا في المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح منهم واللطم
على رقابهم وكانوا يرضون بان ياتيهم قبل ان يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهي
اللوطية قال الله تعالى اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر
والنادي المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور
وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحمرة ويزيد عليهم هذه الامة باتيان
النسا بعضهم بعضا وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازلهم
وحوايطهم وقحط من الثمار فقالوا باي شي نمنع ثمارنا حتى لا يطرقها احد من الناس فاصطلحوا وقله
على ان من وجدوه فيها نكحوه وغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها من احد
من العالمين قال ابن عباس فكان بدو الفاحشة فيهم انهم تسموا لذلك فجاهم ابليس

في هيئة صبي احمل شي راه الناس فنكحوه وجروا على ذلك ؞ وقال ابو العتاهية

اما والله ان الظلم لوم ... ولكن المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تقضت ... فتخبرك المعالم والرسوم

وروي ان انوشروان كان له معلم حسن التادب فعلمه حتى فاق في العلوم فضربه
المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما حملك
على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رايتك ترغب في العلم رجوت
لك الملك بعد ابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال انوشروان زه زه

الباب السابع والخمسون
في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه امرهما من الافعال

الرديه والعواقب الذميمة ه قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى في القران اصناف اهل
الكفر والالحاد واهل التثليث والدهر والظلم والفسوق واشباههم ولم ينسب سبحانه
احدا منهم الا النمام في هذه الاية وحسبك بها خسة ورذيلة وسقوطا
وضعة وهذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة في اصح الاقوال والهماز المغتاب الذي
ياكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بحاجبه في المجلس
وهو الهمزة اللمزة والعتل في اللغة الغليظ واصله من العتل وهو الدفع بالعنف ه
وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري العتل الفاحش السيء الخلق ه وقال ابن عباس
العتل الفاتك الشديد المنافق ه وقال عبيد الله بن عمير العتل الاكول الشروب

القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة ○ وقال يمان بن الجابي في الناسي
اللئيم العسر ○ وقال مقاتل العتل الضخم ○ وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل
شديد عند العرب عتل ○ وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل ○ والزنيم هو الذي
لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت ○

وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد ○

وقال عنترة

زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم

وقال اكثر المفسرين هذا رجل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وعن بعض
الحكماء لا يكون نماما الا ولد في نسبه شيء ○ وسعى رجل الى بلال بن بردة برجل
كان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير
رشده يعني ولد زنا ○ وقال ابو موسى الاشعري لا يبغي على الناس الا ولد بغي ○ وقيل
الزنيم الذي له زنمة في عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة ○ قال ابن عباس لما وصفه
الله تعالى بتلك الخصال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له زنمة
يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ○ ومن ذلك قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي
معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم
عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم كشف امرهم فوجد ما قاله كذبا فنزلت هذه الآية وسماه الله تعالى

فاسقا ومن ذلك قول الله سبحانه سماعون للكذب اكالون للسحت فشرك
الله تعالى بين السامع والناقل في القبيح وساوى بينهم في الذم فكان فيه تنبيها على
ان السامع نمام في الحكم ○ واما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في
الصحيح قال همام كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان
رضي الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي عليه السلام يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ آخر
نمام ○ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال
من شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب ○ وروى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز
ملعون كل قتات ملعون كل نمام منان ○ فالشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة
والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به ○ وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستتر من
البول واما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة
قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله
عليه وسلم ○ واما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة
لانه يجمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل
والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي
ساع وكم حرم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا
ومن محبين تباغضا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته
الايام وامكنته القدرة وتراخت عنه الاقدار ان يصبح لساع او يستمع لنمام

وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ديوث ولا قلاع
فالديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع الساعي
الذي يقع في الناس عند الامرا لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع
فيه حتى يقلعه ٥ وقال كعب اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلم
فخرج موسى يستسقي في بني اسرايل فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى اليه اني
لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا
فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واتيها فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث
ولما لقي اسقف نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له يا امير المومنين احذر قاتل
الثلثة قال ومن قاتل الثلثة قال الرجل ياتي الامام بالحديث الكذب فيقتله الامام فيكون
قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك ابعدت ٥ ووجدنا في حكم القدما
ابغض الناس الى الله المثلث ٥ قال الاصمعي هو الرجل يسعى بالنميمة باخيه للامام فيهلك
نفسه واخاه وامامه ٥ وذكر السعاة عند المامون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم
اصدق ما يكونون ابغض ما يكونون عند الله تعالى ٥ وقال حكيم الفرس الصدق زين كل
احد الا السعاية فان الساعي اذم واثم ما يكون اذا صدق ٥ وروي ان رجلا سعى برجل
الى عبد الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فتخبرنا انك جاسوس وان شئت ارسلنا
معك فان كنت صادقا ابغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك
قال تاركني يا امير المومنين قال قد تاركناك ولله در الاسكندر حين وشا اليه واش برجل
فقال له الاسكندر ان شئت قبلنا كلامك على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان شئت
اقلناك قال اقلني قال قد اقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر ٥ ومن العجب الذي لا
عجب

عجب نعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسال الناس عنه مثل
هو من اهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم ينم عندك بحديث فيه الهلاك
وفساد الاحوال فتقبله ٥ وقال يحيى بن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما الم سعى
النم اخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال انا في اخر قدم من الدنيا واول قدم من الاخرة تامرني
ان اغمزه ٥ وقال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المومنين قال لمن نصيحتك هذه لنا ام
لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المومنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح
حالا ممن قبل سعايته ولا تخلوا من ان تكون حاسد نعمة فلا نشفي لك غيظا او عدوا فلا نعا قب
لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا ينصح لنا ناصح الا ما لله فيه رضا وللمسلمين
فيه صلاح ٥ وروي ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه يحيى نرى
قبول السعاية شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شي كمن قبل
واجاز لان من فعل اشر ممن قال ٥ ويروى ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على
ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن اثرنا على الله تعالى
وروي ان رجلا قال للمامون يا امير المومنين الله الله في اصحاب الاخبار فانهم قوم ان اعطوا
كذبوا وان حرموا كذبوا ان اعطوا مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون
وقال المامون لله درها من كلمة ما اصدقها وابين فضلها وامر ان تثبت في امور اصحاب الاخبار
وقال مروان بن زنباع العبسي يا بني عبس احفظوا عني ثلاثا من نقل اليكم نقل عنكم
واياكم في التزوج في البيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا
من العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن ٥ وقال بعض الحكما احذروا اعدا
العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات

وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلاك ولصوص عدلك فيفرقون
بين قولك وفعلك وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع
الشجر فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه والحق الناس بعايبه
ما سمعته من سيئه الخلال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه الابيات من
اتاه الله سلطانا ومكن له في الارض قدما فذو القدره اذا اطاع الواشي هلك العالم
وكان بعض الحكما يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه
بينه وبينهم قاضيا عدلا لا يحكم الا بالعدل ولا يقبل الا في احد ولا في نفسه الا بشهود
وتعديل فانا قد احببنا بقول اقوام وابغضنا بقول اخرين فاصبحنا نادمين ومن لطيف
حكمه الله تعالى في النميمه لما علم من شومها واستطاره شرورها وعموم مضرتها
في الورى يجعل يفسق النمام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره وقال ابن عمر
وفد الله الحاج ووفد الشيطان عوفر يرسلهم الشيطان الى الناس ويسلمهم على حالهم
يخبرونه ان الناس راضون وليسوا براضين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان
على الحالتين يستاند كما الان للتكثر بها وطول تبعها خلق الله الحواس الشريفه
والاعضا النافعه النفيسه ثم افضل ما ركب فيه اللسان الذي هو اله النطق والبيان
وبه فضل بينه وبين البهايم ثم فضله على ساير الحيوان وامتن عليه به في اول سوره الرحمن
فقال تعالى الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان وجعل الله فيه اعضا ذاك
وتشبهات وجعلها مجرى لفضول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويروي
عثرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفنها كان قد استعمل اشرف
الالات في اخس المستعملات وصار كمن لحس بلسانه سوءة اخيه وجعل الكرم جوارحه

لا يحسن احاسن المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتتبع
نغل الجسد ويتحامى صحيحه وقد كان له في نشر المحاسن شغل ولكن اهل كل ذي
حال اولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا يصلح فلا تكن ذبابا يفسد ومن لم يقدر على
جميع الفضايل فليكن همته ترك الرذايل واذا تتبع الامام عورات الناس افسدهم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من اصحابه يتحدثون فامتنع من
الخروج اليهم حذرا الا يفسد قلبه عليهم ولو علم الذي يسمع اخبار الناس ما جنا على نفسه
لعلم ان الاصم كان اهنا لعيشه وانعم لباله من سماع الاخبار ما واحد ماذا يحمل ثقله
الاخبار حملوا اليك الصدق والكذب فتكون في سماع الكذب ممن قال الله تعالى
فيه سماعون للكذب اكالون للسحت وتكون في سماع الصدق حمالا للهم حرج
الصدر على الخلق معاديا لهم متتبعا لعثرات الخلق وخزانا لسقطاتهم قد وعيت منهم
ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفه من قايل الا انك ان
كنت ذا قدره اهلكت الرعيه ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعيه وان كنت سوقه
لم تشف غيظك ثم افسدت اخوانك وابغضت من يجب ان تحبه واحببت من يجب ان تبغضه
ثم لا تزال تحمل الحسايف وتربي الاحقاد والضغاين وترصد لكل قايل يوما تشتفي
صدرك فيه فما اغنى العاقل عن هذه البليه ولله در عمرو بن العاص روي انه لاحاه رجل
يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لا تفرغن لك فقال له عمرو بن العاص الان وقعت في
الشغل يا ابن اخي والسلام

الملاحاة والتلاحي دشنام دادن

الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته

قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يعني اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه

اجر ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حبوته وحباه الذي يتم به ه روى ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضا بين الناس في الدما
وروى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاخيه مظلمه
فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن
له حسنات اخذ من سيات اخيه فطرحت عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري
فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازره وزر اخرى فكيف يوخذ الظالم بذنب ركبه
المظلوم ؛ قلنا معنى الايه انه لا يعاقب احد بذنب احد ابتدا فاما في مسلتنا فمظلمه
بقيت عنده وليس له وفا بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطره بين الجنه والنار ليقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنه
فو الذي نفسي بيده لاحدهم اهدى بمنزلته في الجنه منه بمنزلته في الدنيا ه وروي منه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمه فلياتي
حتى اقصه من نفسي فقام سواد بن غزيه فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني
ليله العقبه فاوجعتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال
يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه
فاذا هي كالقباطي يعني ثياب مصر فاكب عليه يقبله فقال يا سواد ما حملك على
هذا فقال يا رسول الله دنا اللقا وهو لا يعني المشركين فاردت ان يكون اخر العهد بك ان
اقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع ان الله تعالى قد

غو

غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لعلمه بان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين
العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلمه لاحد عند نبي ولا غيره وفي
الحديث يقول الله تعالى يوم القيمه انا الظالم ان فاتني ظلم ظالم ه ويروى ان داود
عليه السلم يقدمه خصمه الى الله يوم القيمه فيقضي له عليه فيدفعه الى اوريا لما سلما
ثم يستوهبه الله تعالى من اوريا فيهبه بعوض اوربا على ذلك الجنه ه وقال حبيب دخل
عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقه له واذا في علفها شي فاخذ باذنه
فعركها ثم ندم فقال للغلام قم فاقتص مني فابا الغلام فلم يزل به حتى قام فاخذ باذنه فعركها
ثم قال اعرك اعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمن انه قد بلغ منه ثم قال واها
لقصاص الدنيا قبل قصاص الاخره ه روى عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا خادما له فلم يجبه وكان ناىما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لاوجعتك
ضربا ؛ وروى ابن وهب في موطاه عن ابن شهاب قال وقد اقاد النبي صلى الله عليه وسلم
والخليفتان من انفسهم ليستن بهم ولم يتعمد واحتسبا وكانوا سلاطين ه ومن صحيح مسلم
روى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم
له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامه بصلاه وصيام وزكاة وياتي قد شتم
هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من
حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم طرح في النار ه قال مالك وبلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافه
ضرب رجلا ثم ندم وقال ما لي ولهذا الا ارد بها عليهم فسمعته عايشه رضي الله عنها فارسلت
الى عمر فجاه عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافا من هذا ان اضرب فقال عمر

كذلك الامارة قال فالمخرج بالان ناتي الرجل فتسله ان يجعلك في حل فاباه فاستعداه
ثبت الاثار على ان الامير والمامور في القصاص سوا اذا جنا الضرب بما على الاخر وان الامير اذا ظلم
المامور زال تامره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المومر عليهم حتى
يتحاكموا في ذلك الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرايي ليعلموا الناس
دينهم ويعلمونهم سنتهم فيقسمون فيهم ولم ابعثهم ليضربوا ابشارهم ويحلقوا اشعارهم
فمن ظلمه اميره فلا امرة عليه حتى اخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص الله الله يا امير المومنين اذا ادب دوني
رجل رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر وانا لا اقصه منه وقد رايت النبي صلى الله عليه
يقص من نفسه ٥ فاما القصاص من البهائم فاختلف الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينها فكان
ابن عباس يقول حشرها موتها قال ويحشر كل شي الموت الا الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيمه ٥
وقال معظم المفسرين انها تحشر ويقتص منها قال ابن حبيب تحشر البهائم وقال قتاده تحشر كل شي حتى
الذباب ٥ وقال ابو الحسن الاشعري لا نقطع باعادة البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوه ويجوز
ان يعادوا ويدخلون الجنه ويجوز الا يعادوا والدليل على ثبوت الاعاده في الجمله قوله تعالى واذا
الوحوش حشرت وقوله تعالى وما من دابه في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم الى ان قال
ثم الى ربهم يحشرون ٥ وروى مسلم في صحيحه عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيامه حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا ٥ وقال ابو ذر انتطحت شاتان
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون فيما انتطحتا قلت لا ادري قال ولكن الله يدري
وسيقضي بينهما قال ابو ذر لقد تركنا النبي عليه السلم وما يقلب طاير جناحيه في السما الا ذكرنا
منه علما ٥ وقال ابو ذر ان الحجر ليسل عن نكبه اصبع الرجل ٥ وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري
وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتين احدكم على رقبته شاه تيعر ثم يبسط لها بقاع

قرقر فتطاوه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه اولاها عادت اخراها والحديث وارد في
مانع الزكوة ٥ وقال ابو الحسن لا يجوز المناقصه بين البهائم لانها غير مكلفه ولا يجري عليها القلم
قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله تعالى عليه السلم يقتص للجما من القرنا ويسل العود لم خدش
العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شده التقصي في الحساب وانه لا بد ان يقتص للمظلوم من الظالم
ولما ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني قال في الجامع الحلي يجري القصاص بينهما ويحتمل انها كانت
تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا اجري فيه القصاص وكلام الاستاذ له وجه في الصحه لان
تعرف النفع والضر فتفر من العصا وتقبل الى العلف وينزجر الكلب اذا زجر وتستاسد له الخيل والطير
والوحش تفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجز عليهم القتل في الدنيا وقع القتل عليها في الاحكام
فان قيل القصاص انتقام وهو جزا على جنايه وقعت من مخالفه الامر والبهائم ليست بمكلفه ولا
اعقول ولا جاها رسول والعقول عندكم لا يجب بها شي على العقلا فضلا عن البهائم وفي هذا
انفصال عن قول الاستاذ انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شي ويشهد له قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ٥ والجواب انها ليست مكلفه لان من ضروره التكليف ان تعلم
الرسول والمرسل وذلك من خصايص العقلا وهم الثقلان واذا لم يكونوا مكلفين كانوا في المشيه يفعل
الله ما اراد كما سلط عليهم في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى له ان
يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يولم البهيمه ابتدا جاز ان يولمها بعد حياتها
والايه محموله على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجر عليهم القلم في الدنيا فانما رفع القلم عنها في الاحكام
ولكن فيما بينهم يواخذون به ٥ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان
ينفخ على ابرهيم عليه السلم فهذه بهايم عوقبت على سو صنيع جنسها وفيه دليل على ان لله تعالى
ان يعذب بملكه لا بالمعصيه وقد ضرب موسى عليه السلم الحجر الذي فر بثوبه وبنو اسرايل ينظرون عورته

رواه البخاري عن النبي عليه السلام قال ضربه بعصاه والحجر يعدو ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر
قال ابو هريرة والذي نفسي بيده انه لندب بالحجر ستة او سبعة ، وروي في تفسير قوله تعالى
وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التي نكتت الناس في الدنيا ، وروى البخاري ان المسيح عليه السلام
مر بجبل فسمع انينه فسأله عن ذلك فقال سمعت الله تعالى يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري
اكون من تلك الحجارة ام لا ، وقد تاول بعضهم قول ابن عباس يحشرها موتها حشرها لضرب من القصاص
بينها ثم تصير ترابا او ماتت وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل فيه تفريقها
وتفرقه اجزايها ثم قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها
وجمعها الى ذاتها ؛

الباب التاسع والخمسون

في الفرج بعد الشدة ، قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه
الاية قال النبي عليه السلام ابشروا اتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين ، وقال ابن مسعود والذي
نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر ولن يغلب عسر يسرين ومعنى الاية انه لما عرف العسر
ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته فهو هو واذا نكرته ثم كررته فهما
اثنان ، وقال بعضهم ،

ان تكن يا الك الزمان بلوى عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع باكيات سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا اذا توالت تولت
واذا اوهنت قواك وجلت كشفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة

ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم
في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ماء ثم قفى
ابرهيم منطلقا فاتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه
انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا
لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه
ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقا
عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا
اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي هل ترى احدا فلم ترى احدا ثم سعت
سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم ترى احدا
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه فلذلك سعى الناس بينهما فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان
عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت
تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف فقال النبي
عليه السلام يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وارضعت
ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه وان
الله لا يضيع اهله ، ومنها قصة الثلثة الذين خلفوا وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال
بن امية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلثة قال فاجتنبنا الناس
وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فما هي التي اعرف وكنت اطوف في الاسواق واشهد

الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني احد واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه واقول
في نفسي هل حرك شفتيه برد السلم ام لا حتى اذا طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار
حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلم فلما تمت خمسون
ليلة من يوم نهى رسول الله عن كلامنا صليت صلاة الفجر وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا
جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت وما
كان من شي اهم علي من ان اموت فلا يصلي علي النبي او يموت النبي عليه السلم فاكون من الناس
تلك المنزلة لا يكلمني احد ولا يصلي علي فانزل الله توبتنا فسمعت صوت صارخ من اعلا الجبل يا كعب
بن مالك ابشر فخررت لله ساجدا وعرفت ان قد جا الفرج فجعلت ثوبي على الصارخ لبشراه ووالله ما
املك غيرهما ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال
ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة
الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي عليه السلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك ه وروي
ان ابرهيم عليه السلم لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل راى كوكبا يقال
انه راى الزهرة فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما افل بعد طلوع الفجر قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما اصبح وراى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد
هداني يعني الى الاسلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشا ربي وسع ربي كل شي علما افلا تتذكرون
قالوا يا ابرهيم اما تخاف من الهتنا ان تصيبك بسو لانك ان سببتها او عبتها قال وكيف
اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق
بالا

بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع اصناما يعبدها قومه ثم يعطيها ابرهيم
يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر ثم يغمسها فيه على رؤوسها ويقول لها اشربي استهزا بها ويعيب
واظهارا لقومه فساد ما هم عليه ففشا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك نمرود فاول ما كاد قومه
ان نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى اصنامهم فظنوا انه مطعون
وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم فدخل عليها وهم قد
وضعوا لها طعاما وشرابا فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها
وقطع ايديها وارجلها حتى جعلها جذاذا واراق طعامها وشرابها وعمد الى الفاس وعلقه بيد الههم
العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت اصنامهم فلما راوا ما صنع بها راعهم
ذلك وعظموه وقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين فقالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم
سمعناه يسبها ويستهزئ بها فقال نمرود فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما اتي بابرهيم
عليه السلم قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسلوهم ان
كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون انا قد ظلمناه بما نسبناه اليه
ثم قالوا وقد عرفوا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هولا ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فقال له نمرود حين سمع ذلك
منه صف لي الهك الذي تعبده وتدعوا الى عبادته قال ابرهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال
نمرود وانا احيي واميت قال كيف ذلك قال اخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل احدهما
فاكون قد امته واعفو عن الاخر فاكون قد احييته فقال ابرهيم ان كنت صادقا فاحيي
الذي قتلت بزعمك واخرج روحا من جسد من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد الى ابرهيم شيا وامر به الى السجن فلبث

فيه سبع سنين وجعل يدعوا اهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره وفشا
واتبعه قوم كثير على دينه فلما ارادوا ان يحرقوا ابرهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوا حيرا طول
جداره ستون ذراعا ووضعوه الى صفح الجبل منيف لا يرام ولا يرقا وبلطوا الجدار فلا يمشي فيه احد
الا زلق عنه واذن موذن نمرود ايها الناس احتطبوا لنار ابرهيم ولا يتخلفن عنها ذكر ولا انثى ولا
حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن يتخلف عن ذلك القي في تلك النار فعملوا في ذلك اربعين ليلة حتى
ان المراه منهم سدر ذلك على نفسها ان رجع ابنها او افاق عليلها حتى اذا كمل ذلك قذفوا فيه النار
حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافه البعيده فلما بلغ ذلك وضع ابرهيم في كفة المنجنيق قال
وهب بن منبه فبلغني ان السماوات والارض والبحار وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة واحدة قالوا ربنا ليس في
الارض احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فاوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بشي منكم فانصروه واغيثوه
وان دعاني فانا وليه وناصره فلما وضع في كفة المنجنيق وقذفوه قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم
انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاوحى الله تعالى الى النار ان كوني
بردا وسلاما على ابرهيم فاطاعت النار ربها ولو لم يقل سلاما لمات من شدة البرد ولبث في النار سبعة
ايام وظن قومه انه احترق ثم قال نمرود انظروا ماذا فعل ابرهيم فاني رايت الليلة ان جدار هذا
الحير قد تهدم وخرج ابرهيم يمشي قال وذاب النحاس الذي شد به باب الحير واحترق الجدار فصار
رمادا فاطلعوا على ابرهيم فراوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما راتم خرج
يمشي حتى قعد الى امه وهي في الجمع واقبلت ساره وكانت اول من امن به حتى جلست اليه فقالت
يا ابرهيم اني امنت بالذي جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت لها ام ابرهيم احذري القتل على نفسك
فقالت اليك عني فاني لا اخاف شيا وقد امنت باله ابرهيم وحول ابرهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم
يا نمرود انجد دوا العذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فنسفت رماد تلك النار في وجوههم

دخلها

١٥٢

بالخاتم

مجاهد

وغيرهم فقروا عنه وقام ابرهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به وقال قتادة وغيرهم
ان نبي الله سليمن بن داود عليه السلم انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له صخر ولم يكن سليمان
عليه السلم يدخل الخلا او يدخل الحمام واعطا الشيطان خاتمه فالقاه في البحر فالتقمته سمكة
ونزع ملك سليمان منه والقي على الشيطان شبه سليمن فجاء فجلس على كرسيه وسلط على جميع
ملك سليمان غير نسايه فجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون قضاياه حتى قالوا لقد فتن نبي الله
سليمن ومكث على ذلك اربعين يوما ثم اقبل في حالته تلك وهو جايع تايع حتى انتهى الى صيادين
في البحر فاستطعم احدهم من صيده وقال له انا سليمن فقام اليه فاوجعه ضربا وشج وجهه قال
فجعل يغسل دمه على شاطي البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوا سليمن سمكتين
مما قد تغير عندهم ونتن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن ان يقوم الى شاطي البحر فشق
بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه في بطن احديهما فاخذه فلبسه فرد الله عليه بهاه وملكه وجات
الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمن فجاوا يعتذرون اليه وروى وهب بن منبه ان الله
تعالى وهب لابرهيم اسحق فلما كان ابن سبع سنين اوحى الله تعالى الى ابرهيم ان يذبحه وان يجعله
قربانا فكتم ذلك ابرهيم عن اسحق وامه وجميع الناس واسره الى خليل له يقال له العازر وكان
اول من امن به من قومه يوم احرق فقال ان الله تعالى رفع اسمك في الملا الاعلى على جميع اهل
البلا حتى كنت ارفعهم نبيه ليرى فعلك الله تقدر ذلك في المنازل والفضايل وقد علمت ان الله تعالى
لم يبتلك بذلك لعنتك ولا ليضلك فلا تسون بالله ظنك واعوذ بالله ان يكون ذلك حتما مني على
الله تعالى او سخطا لحكمه الذي حكم على عباده ولكن هذا احسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك
فكن عند احسن علمه بك ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم فعزا ابرهيم عليه السلم بقوله
واستند له رايه وبصيرته وانطلق باسحق فلما صعد الجبل ومعه السكين والحبل واداه القربان

فقال اسحق يا ابه اري معك اداة القربان ولا اري قربانا فقال ابرهيم يا بني الغني بان تجيز ربك
نظر اليه وان شا رحم اباك فلم يفطن ابرهيم اسحق فلما وافا راس الجبل قال ابرهيم يا اسحق ان الله
تعالى امرني ان اذبحك واجعلك قربانا يرفعك اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر
فقال له والله لقد فرحتني يا ابي بامر ما فرح بمثله والد بولده واني لاري من سرورك بذلك وشكرك لربك
امر الرجا به العاقبه والفرج فقال يا ابه لم يكن شي من الدنيا احب الي من البر بك ويا ابي فاذا اردت
ذبحي فاشدد وثاقي فاني اخاف حين يفارقني عقلي واحتلام الحديد ان تحرك مني عضو فيوذيك
وانا اكره ان اختم بذلك عملي فاذا فرغت من امري فاقراها السلم وقل لها لا تجزعي وتقبل اكرم
الله لك ابنك في صحوته فلما فرغ من وصيته عمد ابرهيم عليه السلم اليه فعصبه بعمامته ما بين
منكبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه لكي لا تدركه له رحمه
اذا هو تشحط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يجز انقلب السكين فاوجس ابرهيم في نفسه
ثم عاد الثانيه فلما اراد ان يجز انقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي
المحسنين ان هذا لهو البلا المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فدا ابنك قد جعله الله لك به فنظر
ابرهيم خلفه فاذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فجره فوجهه ابرهيم الى القبله وقبلته
يوميذ مكه فذبحه ابرهيم وقضبه اسحق فلما فرغا منه وضعاه فرفعه الله اليه وتقبله
قال ابو جعفر ثم لما صار يوسف عليه السلم الى مصر واسترق بعد الحريه جزع جزعا شديدا بلغ
وجعل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته ووطنه وما ابتلي به من الرق فاحيا ليله من الليالي
يدعو ربه تعالى وكان من دعايه ان قال رب اخرجتني من احب البلاد الي وفرقت بيني
وبين اخوتي وابوي ووطني فاجعل لي في ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن
حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا فيها وحببها الي كل من يدخلها وحببني الى اهلها
وحببهم

وحببهم الي ولا تمتني حتى تجمع بيني وبين ابوي واخوتي في سترك ونعمه وسرور وتجمع لنا بهم خير
الدنيا والاخره انك سميع الدعا فاتى يوسف في نومه فقال ان الله تعالى قد استجاب دعاك
واعطاك ما سالت وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك ابوك واخوتك واهل بيتك فطب
نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده [illegible] يوسف صارت مصر محبوبه يحبها من دخلها
ولا يكاد يخرج منها قال قتاده ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت النعمه
عليه اشتاق الى اقاربه فقال رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت وليي في الدنيا والاخره توفني مسلما والحقني بالصلحين ولما وجه سليمن بن عبد
الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق اهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن ابي مسلم فلما ولي
يزيد بن عبد الملك الخلافه ولي يزيد بن ابي مسلم افريقيه فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن
ابي مسلم فاتي به في شهر رمضان عند المغرب الى يزيد بن ابي مسلم وفي يده عنقود عنب فقال له يزيد حين دنا
منه محمد قال نعم قال اما والله لطالما سالت الله تعالى ان يمكنني منك بغير عهد ولا عقد فقال
محمد وانا والله لطالما سالت الله ان يجيرني منك ويعيذني قال يزيد فوالله ما اجارك ولا
اعاذك وان سابقني ملك الموت الي قبض روحك قبضته والله لا اكلت هذه الحبه حتى اقتلك
واقام المودن الصلاه فوضع يزيد العنقود وتقدم ليصلي وكان اهل افريقيه اجمعوا على قتله
فلما ركع ضربه رجل على راسه بعمود فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شيت فسبحان
من قتل الامير واحيا الاسير سنه الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور
الموت من معدن الحياة ويروى ان سلطان صقليه ارق ذات ليله ومنع النوم فارسل الى
قايد البحر وقال انفذ الان مركبا الى افريقيه ياتوني باخبارها فعمر القايد المركب وارسله
لحينه فلما اصبحوا اذا بالمركب في موضعه لم يبرح فقال [illegible]

ثم امتلأت المركب وانحدرت المركب ورجع بعد ساعة وسجد ثلثا فجا مقدم المركب ومعه
رجل فقال للملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت في المركب فبينا انا في جوف
الليل والبحارون يقذفون اذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها
مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا ناديناه مرارا يا لبيك يا لبيك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين
ونحن نجيبه يا لبيك يا لبيك فقذفنا بالمركب نحو الصوت فالفينا هذا الرجل غريقا في اخر رمق من الحياة
فاستقيناه من البحر وسالناه عن حاله فقال كنا مقبلين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام
وما زلت اسبح حتى حدث الموت فلم اشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان من اسمعهم سلطانا
ولم يجار الى قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة
لا اله الا انت سبحانك ۝ واخبرني رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال
كنت بصقلية ايام فتن العدو وزحف الينا في البحر في سفن تقارب ثلاث مائة سفينة وارست
في ساحل قرابنا امراس ودونا الشيخ الصالح ابن السمنطاري فلجا الناس اليه واستجمعوا
حوله يتبركون به وينتظرون الفرج على يديه فقال انظر الى السما حينا وسجد عفر خديه بالارض
علينا ميتا وشيما لا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مزقتها كل ممزق فلم يجتمع منها
اثنان ۝ واخبرني ابو القاسم بن مابل رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في
مفازة تبوك فقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيعه بالدنانير بارفع الاثمان فجا
رجل كان موسوما بالصلاح عليه قطعة نطع يحمل ركوة ومعه شي من دقيق فتشفع
الى الجمال ليبيعه الماء بذلك الدقيق فكلمته فابا علي ثم عاودته فابا قال فبسط الرجل النطع
في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق السما وقال الهي انا عبدك وهذا دقيقك ولا املك غيره وقد
[illegible] ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله ما افترقنا حتى نشا السما

فاضطرب الحبل من قرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ۝ واخبرني شيخ مسن ممن كان يصحب العلما بالقيروان
يقال له حرز قال اخبرني ابن عبد الكافي الباجي قال رايت بالقيروان اية عظيمة وذلك ان
رجلا جا بصبي له وقد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمن فقال له ان ابني هذا
قد اسكت منذ ايام فدخلت به الى الفقيه فادع الله تعالى ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ
ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي اشهد ان لا
اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم التفت الى الرجل وقال اكتمها علي الى الموت ثم
التفت الى جارته فقال اكتمي هذه علي الى الموت وانت حرة فلما كان يوم توفي الشيخ ابو بكر
واجتمع الناس لجنازته وتكاثرت الامم فقام الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال
يا اهل القيروان اسمعوا قصتي مع هذا الشيخ وذكر الحديث كما سقناه ۝ وحدثني هذا
الشيخ قال نزلت عندنا بالقيروان قصة لم يسمع في السالفين مثلها وذلك ان بعض الجزارين
اضجع كبشا ليذبحه فتخبط بين يديه فافلت منه وذهب فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي
الى ان دخل خربة فاذا فيها رجل مذبوح يتخبط في دمه ففزع وخرج هاربا واذا اصحاب
الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فاصابوا
بيده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وحملوه الى السلطان فقالوا
له انت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال
فيه فامر به السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم لينظروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل
من الحلقة المجتمعين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل القتيل فقبض وحمل الى السلطان فاعترف
وقال انا قتلته فقال السلطان كنت معافا من هذا فما حملك على الاعتراف قال

رأيت هذا الرجل يقتل ظلمًا فمكثت إن لقيت الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان
فقتل ثم قال للرجل ما دعاك إلى الاعتراف بالقتل وأنت بريء قال الرجل فلحقني رجل
مقتول في الخربة وأخذني وأنا خارج من الخربة وبيدي السكين ملطخة بالدم فإن أنكرت
من قتلني وإن اعتذرت من عذرني فخلى سبيله وانصرف مكرمًا ه ولما وزر فخر الملك نظام
الدين وكان لفخر الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال
للملك سنجار لا حياة لي معه الآن فاقتل ابن عمي شهاب الملك فأبى سنجار فما زال يراجعه إلى أن
أمر به فحبس في بلد يقال لها ... وكان والي تلك البلد يكرمه لجلالته وحكى له أهل بيته
وأخلى له دارًا في القلعة مشرفة ثم جعل فخر الملك يفسد قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك
إلى أن أرسل سنجار إلى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالي قتله وأخره أيامًا ثم لم يجد بدًّا
من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينا شهاب الملك يطلع من طاقات الدار إذا بفارس يركض
فأوجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد قتلي فوصل الفارس وقال مات فخر الملك فخلى شهاب
الملك ثم وزر لسنجار مكان فخر الملك فسبحان الفعال لما يريده وأخبرني أبو الفضل المعبر
بمصر قال كان بمصر ملوك بني حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع
القولنج فأعيا الأطباء ولم يوجد له شفاء ثم إن السلطان دس على قتله فأرصد له رجلًا معه
خنجر فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل في
خاصرته فأصاب طرف الخنجر المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط ثم عافاه الله
فصح وبرئ كأحسن ما كان ه ولما كنت بالإسكندرية نزلت سفن العدو بساحل
مدينة برقة فأخذوا قومًا من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم
وشد كتافه من خلفه فلما ركبوا السفينة عمد إليه بعض الأعلاج فرفسه وألقاه في البحر

في البحر ثم طعنه برمح كان معه فأخطأ فصل الرمح حبل الكتاف فقطعه وانحلت يدا
الرجل فسبح حتى لحق بالشاطئ سليمًا ووصل إلى الإسكندرية في عافية ه وحدثني بعض الشاميين
أن رجلًا خبازًا بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش
قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيًا عليه فنظروا فإذا هو ميت
فجعلوا يلتمسون به ويحملون له الأطباء فيلمسون دلائله ومواضع الحياة منه فقضوا بأنه
ميت فغسل وكفن وحمل إلى الجبانة فهم خارجون به من باب المدينة استقبلهم
رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته
فقال لهم حطوه حتى أراه قال فحطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها
ثم فتح فمه وسقاه شيئًا أو قال حقنه فاندفع ما ناله بسبيل وإذا الرجل قد فتح عينيه
وتكلم وعاد كما كان إلى دكانه ه وكان رجل يمشي ببغداد فبينما هو في الطريق
إذ بدار وقعت عليه كالجبل العظيم وإذا في الحائط طاقة فما أخطأت رأسه فصارت فخرجت
الدار كومًا وخرج الرجل من الطاقة سليمًا ه وحدثني أبو القاسم الحضرمي قال كنت
باليمن في أرض الصليحي فوشي بي إلى السلطان فأمر بي إلى القتل فأخرجت وقدمت للقتل
وبركني السياف ثم قال مد رقبتك فمددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السياف
اشتد فقلت دونك يا هذا فبينا نحن كذلك إذا بصائح من أهل القصر لا تقتلوه لا
تقتلوه فخلوا سبيلي ه وجرت بقرطبة قصة غريبة في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك
أن رجلًا يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور
مدة مع جماعة من الأدباء من وجوه قرطبة مرمومون بالانهماك والزندقة
وكان ينادى عليه في كل جمعة يوقفون إثر صلاة الجمعة بباب الجامع الأعظم من

كانت عنده شهادة فيهم فليؤدها فثبت على قاسم عند القاضي بسجل الشهادات
الشهود بأنواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر وعقد مجلس عظيم
واستشير الفقهاء فيه فاوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر ابوه وحضر ابنان
صغيران لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وحمل ابوه معه نعشا وحنوطا وجعل ابوه
والصبيان يبكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سياف يعرف بابن الحندي ودفعت
لما سيق من القصر فجعل يرددها ويندب شفارها ابوه وابناه ينظرون وحضر الفقيه
الفقيه ابو عمر بن المكوي الاشبيلي وكان غائبا عن الحضور فاستفتوه فقال يا هؤلاء ان
الدماء لا تسفك الا بالحق الواضح دون الشبه احسبوا ان السنبسي فرجا بماذا تدعونه
فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وامعنت النظر فيه فقال الفقيه اوقفني عليه
فاخذ السجل ونظر فيه فقال اوقد اخبرني بمن قبلته من هؤلاء الشهود فقال هذا وهذا حتى
عد خمسة قال الفقيه بجميعهم تقبله قال نعم قال فلو شهد منهم اثنان خاصة
كنت تقتله قال لا انما قووا بعضهم بعضا وزكى اكثرهم عندي فالتفت الفقيه الى
الفقهاء المشاورين فقال يا هؤلاء بالله عليكم تستحل المسلمين عندكم وتسفك دماؤهم فلست
ارى قتله ولا اشير به فرجع الفقهاء الى قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما افتوا بقتله
منذ ساعة اشهر فانفض الجمع وشيم السيف وطار البشير الى ابن ابي عامر فاخبره
بالجلية فقال أحضيتم تقتلون ابن السنبسي قد فتن القاضي قد اجتهد لنا للدين ولا قاتل
لحبل فخبس ابا حاتم اطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول القاضي في مثل هذا قال
القائل الاشبيلي عرف الله قال بغضه عزائمي ومعنى الدعايم على الشان الفقيه
من الشهود الذي لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا ثبتا لا فيه فاذا كثروا قووا بعضهم

بعضا

بعضا فلا يثبت الحكم بهم ه وفي نقيض هذا ما حدثني القاضي ابو مروان الداني بطرطوشة
وقد ولي قضاءها مدة اكثر يوما فقال نزلت قافلة بقرب جزيرة من اعمال دانية فاووا الى
دار خراب هناك ليستكنوا من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم
وقرب تلك الخربة حائط مائل قد اشرف على الوقوع فقال رجل منهم لا ميل الناس قيام لا
تقعد ولا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا تحت هذه البقعة فابوا الا دخولها وبات الرجل
متنبذا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم اصبحوا في عافية وحملوا دوابهم فبينما هم
كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليتسخن بقية النار فخر عليه الحائط فمات مكانه ه وبلغني
عن بعض الفقهاء ان حشاما من الجيوش كان بصقلية ناهضا من مكان الى مكان فقعدوا ساعة
لبعض شانهم فاذا عقرب تدب فضربه بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو
عنقه فاذا بالعقرب قد نشبت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فقضى
مكانه ه واخبرني القاضي ابو الوليد الباجي عن ابي ذر قال كنت اقرأ على الشيخ ابي حفص
عمر بن احمد بن شاهين ببغداد حرا من الحلبة في حانوت رجل يبيع العطر فبينا انا
جالس معه في الحانوت اذ جاء رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فبينا انا جالس معه في طبق
يحمله على يده فاعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع لي اشياء سماها من العطر فاخذها
في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى
رحمناه فقال ابو حفص لصاحب الحانوت لعلك تجبر له بعض هذه الاسباب قال
نعم فنزل وجمع ما اجتمع منها وجبر له ما نقص واقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول
له لا تجزع فامر الدنيا ايسر من ذلك فقال الطواف ايظن الشيخ ان جزعي لضياع
ما ضاع لقد علم الله تعالى مني اني كنت في القافلة فضاع لي هميان فيه اربع مائة

دينار او قال اربعة الاف دينار السبك من ابي ذر ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما
جزعت لضياعها ولكن طلع لي الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما يحتاج اليه النفسا
ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفقت ان اشتري بها حوائج النفسا فلم
يكن عندي غيرها فابقى بغير راس مال ولا اقدر على التكسب فقلت اشتري بها شيا واطوف
به صدر نهاري فعسى استفضل شيا اسد به رمق عيالي وبقا راس المال انصرف فيه
فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي ما ارجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت
انه لم يبق لي الا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يهلكون بعدي فهذا الذي اوجب جزعي
قال الشيخ ابو ذر وكان رجل من الجند جالسا على باب داره يستمع الحديث
فقال للشيخ ابي حفص انا ارغب اذا تممت امره ان يدخل معه عندي وقام فظننا انه يريد
ان يعطيه شيا قال فدخلنا عليه فاذن لنا فقال الجندي للطواف عجبت من جزعك فاعاد
عليه القصة فقال الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بها من اعلام الناس
فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط
منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندي لو رايته كنت تعرفه قال نعم فاخرج الجندي
هميانا ووضعه بين يديه وقال هذا هميانك وعلامة صحة قولي ان فيه من الاحجار ما
صفته كذا وكذا ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندي خذ مالك
بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير او اكثر فخذ انت
الدنانير فنفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لاخذ على امانتي شيا فدخل الطواف
وهو من الفقرا وخرج وهو من الاغنيا فبكا الجندي بكا شديدا وانتحب فقال له ابو حفص ما
يبكيك وقد ادا الله امانتك وقد بذل لك ما لا جبرا وان شيت عرضنا عليه ان يعيده

عليك فقال ما ابكي لذلك وانما ابكي لاني اعلم انه قد حان اجلي فانه ما كان بقي لي امل
اؤمله ولا امنية اتمناها الا ان ياتيني الله بصاحب هذا الهميان فياخذ ماله فلما قضى الله
تعالى ذلك بفضله ولم يبق لي امل علمت انه قد حان اجلي قال الشيخ ابو ذر فما انقضى الشهر
حتى توفي رحمه الله عليه قال القاضي وحدثني ابو القاسم بن حبيش بالموصل
قال لقد جرت ها هنا في هذا المسجد وهذه الدار والحانوت واشار اليها قصة عجيبة كان
يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فبينما هو يحمل الخز
في خرجه على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فاراد انزاله عن الحمار فثقل عليه فامر
انسانا هناك فاعانه على انزاله ثم جلس ياكل فانبسط على ذلك الرجل ليأكل معه فاجابه
واكل معه ثم ساله عن امره فاخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر ازعجه بدون زاد
فقال له الرجل تكون معي وتعينني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص
على خدمتك ومحتاج الى طعامك فسار معه في طريقه يخدمه على احسن حال قال فوصلا
تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ
رحلنا حتى ادخل واشتري حاجتنا ثم دخل وقضى حاجته فابطا مليا ثم خرج فلم يجد الرفقة
ولا وجد صاحبه وظن انه لما رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعقبة الجهد
فسالهم عن صاحبه فقالوا اما ذا معنا ولا رايناه ولكنه ادخل الاسباب على الحمار ودخل
المدينة على اثرك فظننا انك امرته بذلك فرد الرجل راجعا الى تكريت وسال عنه فلم يجد له اثرا
ولا سمع له خبرا فيئس منه وسار الى الموصل مسلوب المال فوافاها نهارا جايعا عريانا
فقيرا مجهودا فاستحيا ان يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقي حتى امسى ثم
دخل فدق باب الدار فقيل من هذا فقال فلان يعني نفسه فاظهروا سرورا واعطيا

وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جابك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة
والحاجة والفاقة وحملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج اهلك وقد ولدت اليوم
ولدا والله ما وجدنا ما نشتري للنفسا ولقد كانت هذه الليلة طاويه على حالها
فحمل الثاني دقيق ودهن يسترج به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم
بحاله فخرج لهم واخذ وعا للزيت وجرابا للدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل
بيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه قد اغلق دكانه واطفا مصباحه ونام فناداه فاجابه
وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت افتح زنادا اريك الدراهم
في دقيق وزيت وعسل احتجت اليه الساعه وكره ان يخبره بتاخير الثمن فيمتنع منه
فقدح البياع الزناد واستصبح فقال له التاجر زن لي من الدقيق كذا ومن الزيت
كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا اذ حانت منه التفاته الى قعر
الحانوت فراى فيه خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب اليه والتزمه والقا
يده في اطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال يا عبد الله اين مالي فقال له
صاحب الحانوت ما لك يا فلان فوالله ما اعرفك متعديا ولا علمتني جنيت عليك ولا على
سواك فما هذا قال خرجي فيه بضاعتي خدمتي بجميع مالي في تجارتي قال ما لي علم غير
ان رجلا ورد علي بعد العشا فاشترى مني عشاه واستضافني فاضفته وجعلت هذا
الخرج في حانوتي وهذا الحمار في داري والرجل في المسجد بايت فقال له احمل معي الخرج
وانهض معي الى الرجل فرفع الخرج معه فالقاه على عاتقه ومشى به الى المسجد واذا الرجل
نايم في المسجد فرفصه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له ما لك فقال له اين مالي
يا خاين قال هو ذا على عنقك والله ما تغادر منه ذره قال فاين الحمار والله قال

هو عند هذا الجاي معك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار
من الموضع الذي كان فيه ووسع على اهله واخبرهم بقصته فزاد اهله فرحا وتبركوا بذلك
المولود ولما وفا موسى عليه السلم لشعيب صهره عليه السلم الاجل الذي اجله لرعي غنم
شعيب التي دعاها موسى عوضا عن مهر ابنته اخذ موسى عليه السلم زوجته وكر راجعا
من مدين فلما وافا الوادي المقدس عند جانب الطور اجنهم الليل بظلمته فامسوا بايتين فبينما هم
كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وليس عندهم ما تحتاج اليه النفسا من
الغذا والدوا وما يصلح به شانهم فبقي في ضيق من الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى عليه
السلم يلتمس ميتا وشمالا عسى فرج لما امسوا فيه من الضرر اذ راى نارا فقال لاهله
امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها اضيق ما يكون
ذرعا واحرجه قلبا واياسه من رفق نودي من شاطي الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة
يا موسى اني انا ربك وهكذا لطايف الحق سبحانه مع من سلم الامر ورجا فضله وتكلم بالهدى
والبشرى بقبس الله له امله ويعطيه فوق ما ساله هذا موسى عليه السلم خرج يقتبس نارا
نودي بالنبوه وعن بعض علمانا ليس في خصال الخير وان جلت ولا في انواع الاعمال وان
عظمت اعلا من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعرا فقال

ايها العبد كن لما لست ترجوا من نجاح ارجا لما انت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا من ضيا راه والليل داج
فاتا اهله وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد دنت منه راحه الانفراج

وروى ان العدو نزل بساحل افريقيه في عدد كثير من المراكب ففني ماوهم وعطشوا السلمون

لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فمنعوهم النزول لاستقا الماء واسلموا
المسلمين ان يخلوهم واستقا الما فابوا فتضاعف عطشهم حتى هموا بالهلاك فنحوا
اناجيلهم واخذوا في الدعا والاستسقا الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يك باوشك
من ان السما التفت باودوا فهام ارخت ماكثير انبسط القوم اذ ظاعنهم وجماعتهم
والاتهم فشربوا وملوا اوانيهم ففتح المسلمون عند ذلك وقالوا هو لا كفار اعدا الله
ورسوله فلا خلصوا الى دينهم واتانوا اليه وسالوه فلم يجب ابه دفعهم فاغاثهم فتحي احق
بالدعا والتضرع الى الله تعالى واولا بالاجابه منهم ثم اخذ المسلمون في الدعا والتضرع
والصلاه والابتهال الى الله تعالى في ان يريهم اية تقوى بها قلوب الضعفا وبين ايديها
شر اهل المعرفه والاوليا فبيناهم كذلك اذ ارسل الله عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم
كل ممزق وكسرت مراكبهم ولم ينج منهم اثنان ٥ ومن عجايب صنع الله تعالى
في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جا الى بيت المقدس وزار قبر الخليل عليه السلم واكل
من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ودام خروجها بكل
حيلة فاعزته حتى تركته مضنا ثم رجع الى بلاده فبينا هو جالس اذ عطس فطارت
الحبه في الارض فاذا طاير فالتقطها لوقتها وترى الرجل فسبحان من جعل انف هذا
الرجل حرزا لقوت هذا الطير على بعد الشقه وطول المسافه ٥ واما انا فلما هممت
بالرحيل من بلدي الى المشرق في طلب العلم كنت لا اعرف التجاره ولا لي حرفه ارجع اليها
فمنعت من الخروج وكنت [illegible] وهبت نفقتي ماذا افعل وكان اقوى الامال في
نفسي ان احفظ البساتين بالاجره [illegible] العلم بالليل ثم استخرت الله سبحانه ورحلت
وكانت معي نفقه وافره في هميان على وسطي وكنت اسمع المسافرين يقولون من نام بالليل في

على وسطه

الفيافي وله نفقة فليحلها فان اللصوص اذا كابدت الناس يبتدروا اوساطهم فخرجت من
بلاد السويديه الى انطاكيه فاخذني عيني فحللت الهميان ونمت ولم استيقظ الى
ضحوه نهار فاستيقظت ومددت يدي الى الهميان فلم اجده فجعلت انظر الى القافله
والتفت الى وجوه الناس وقد اسقط في يدي ولم ابق في حيلة فاسترجعت ووضعت امري
الى الله سبحانه واذا رجل من اهل القافلة ملتفتا الي فوقع وجهي في وجهه فاذا هو
يضحك لما راى ما بي فقال ما لك ايها الفقيه قلت خيرا فراجعني فقلت خيرا فقام
الي وقال خذ هميانك عافاك الله فسالته كيف ظفر به فقال رايتك قد خرجت راجعين
وتلانه فالتفت فرايت سوادا في الموضع الذي كنت فيه نايما فسرت اليه واخذته
فاذا هو الهميان رحمه الله عليه ورضوانه لديه ٥

الباب الستون

في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضايل ومن فقدها لم تكمل فيه خصلة وهي
الشجاعه ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس قالت الحكما واصل الخيرات
كلها في ثبات القلب ومنها يستمد جميع الفضايل وهو الثبوت والقوه على الخيرات كلها
ما توجبه العدل والعلم ٥ والجبن غريزه يجمعها سو الظن بالله والشجاعه حاله متوسطه
بين الجبن والتهور ٥ سيل الاحنف عن الشجاعه فقال صبر ساعه ٥ وسيل ابو جهل
عن الشجاعه فقال يصبرون على حر السيوف فواق ناقه وهو ما بين الحلبتين ٥ واعلم

ان القادم للقتال طريده من طرايد الموت فا … خير من استدباره وقد قال
الاول رب حياه سببها التعرض للوفاه … ووفاه سببها طلب الحياه ومن حرص على الموت

في الجهاد وهبت له الحياه ٥ وقالوا الهزيمه شعره من شعار الموت والفار ممكن من نفسه

وان المقاتل يدفع عن نفسه ه وقالوا ثمره الشجاعه الامن من الحذر فوه واعلم
ان من قتل في الحرب مدبرا اكثر ممن قتل مقبلا وقالوا تاخير الاجل احصن المحارب
وقيل لبعضهم في اي جنة تحب ان تلقا عدوك قال في اجل متاخر ه وقيل لاخر في اي
سلاح تشتهي ان تلقا عدوك قال بادبار دولته وانقضا مدته واعلم ان الشجاعه
لمن كانت له الدوله واذا انقضت المده لم تغن كثره العدد وقال علي رضي
الله عنه اذا انقضت المده كانت الهلكه في الحيله ه واعلم ان كل كريهه تدفع
او مكرمه تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعه الا ترى انك اذا هممت ان تمنح شيئا من
مالك خار طبعك دونه وقلبك وعجزت نفسك فشححت به واذا حققت عزمك
وقويت نفسك وعضدت ذلك العجز اخرجت المال المظنون به وعلى قدر قوه القلب
وضعفه تكون طيبه النفس باخراجه او كراهيه النفس لاخراجه مع اخراجه
وعلى هذا النمط جميع الفضايل مهما لم تقاربها قوه نفس لم تتحقق وكانت
بمحل وجه ه وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعه والجبن غرايز
يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده فالجبان يفر عن ابيه وامه والشجاع يقاتل
عمن لا يووب به الى رحله فبقوه القلب يصاب امتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر
وبقوه القلب يصاب اكتساب الفضايل وبقوه القلب ينتهي عن اتباع الهوي والتقمح
بالرذايل. قال الشاعر

جمع الشجاعه والخضوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

وبقوه القلب يصبر الجليس على اذا الجليس وجفا الصاحب وبقوه القلب تكتم
الاسرار ويدفع العار وبقوه القلب يقتحم الا [illegible] سحاب وبقوه القلب تحمل اثقال

المكاره

المكاره وبقوه القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوه القلب ينفذ كل عزيمه وروية
اوجبها الحزم والعدل وبقوه القلب تضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبها
مشحونه بالضغاين والاحقاد كما قال ابو ذر انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم
وقال علي بن ابي طالب انا النافخ اكفاني فطهها ولبس الصبر والشجاعه وقوه
النفس ان تكون مصرا في الحال لجوجا في الباطل ولا ان تكون جلدا عند الضرب صبورا على
التعب مصمما على التغرير والتهور فان هذه صفه الحمير والخنازير ولكن ان تكون صبورا
على اذا الحق وقع عليك صبورا على سماعها والقايها اليك غالبا لهواك ما كان لشهواتك
ملتزما للفضايل بجهدك عاملا في ذلك على الحقيقه التي لا تجهلك عنها حياة ولا موت
حتى يكون عندك موتك على الخير الذي اشار به العلم واوجبه العدل خيرا من البقا على ما اوجب
ضد العلم والعدل كما قال علي للحسين رضي الله عنه يا بني وما يبالي ابوك لو ان الخلق
خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير دله للحق الا بعد الموت وعن هذا قالت حكما
الهند اذا لم يكن الملك من نفسه معين كان في جميع اموره ضعيفا متبذلا واعلم
ان الجبن مقتله والحرص محرمه والعجز ذل والحب ضعف والجبان يعش على نفسه يفر
عن امه وابيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريهه ما بين الجبانين والشجاع يحمي عمن لا
يناسبه ويقي مال الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف ما لا يخشى به والجبان حتفه من فوقه
واعلم ان الشجاعه عند اللقا على ثلثه اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان
والتحمت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي
هل من مبارز ه والثاني اذا ناشب القوم واختلطوا ولم يدر احد من اين ياتيه الموت يكون
رابط الجاش ساكن القلب لم تخامره الدهش ولا خالطته الحيره فيتقلب بتقلب

المالك لامره القايم على نفسه ٥ والثالث اذا انهزم اصحابه يلزم الساقه ونصر
في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب اصحابه ويرجي ضعيفهم
ويمنيهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن
كردس عن فرسه كشف عنه حتى ييأس العدو منهم وهذا احمدهم شجاعة
دعن هذا قالوا المقاتل من ورا الفارين كالمستغفر من ورا الغافلين وزاكي م
اللوم الذي فاح عن الجريره وقالوا الكل واحد يوما تي لا بد منهما احدهما لا يعجل عليه
والثاني لا يغفل عنه فما الجبان والفرار ٥ وكان شيوخ الجند يحكون في بغداد انا
قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من
بيضة الحديد قد ثلمها بما حوته الراس فما انهم لم يروا قط ضربه اقوى منها
وكان شيوخ الجند في بلد ناطوطشه يحكون انهم خرجوا في ايام سيف الله
في سريه الى بلاد العدو فبينا هم يسيرون اذ لقيتهم سريه الروم يزيدون منهم قال
وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتواقفنا
ساعة ثم تلاحدنا وشدوا فالتقينا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله اكتافهم فجعلناهم
حصيدا كانهم جذوع في الاوصام وكان هناك بقرب قريه فيها شي من الخمر فشربناه
وسكرنا ثم اشتهينا شرايح اللحم فصرنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار واكلنا منها فرجع
من كان اسرناه وبلغ الحديث الى الروم فما تعليت النصرانيه تحيا منا وقذف الرعب في
قلوبهم ٥ وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معدي كرب فقال له
يا عمرو اي السلاح افضل في الحرب فقال عن ايها تسل قال فما تقول في السهام
قال منها ما يصيب ويخطي قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما
تقول

تقول في السيف قال ذاك لا ام لك قال فما تقول في الترس قال هو
الدايره وعليه تدور الدواير ٥ وكان عمرو هذا من ابطال الجاهليه وشجعان العرب
نزل يوم القادسيه على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان اسرعتم مقدار
جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي اقاتل به تلقا وجهي وقد عقرني القوم وانا قايم بينهم
وان ابطاتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد
علام تدعون صاحبكم والله ما ارى ان تدركوه حيا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه
وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها وان الفارس ليضربه فما تقدر الفرس ان تتحرك
فلما غشيناه رمى الرجل نفسه وخلا فرسه فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدتم
والله تفقدوني قالوا اين فرسك قال رمي بنشابه فخار وشب وصرعني ٥ ويروي
ان عمروا احمل يوم القادسيه على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك
الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما على فيل فجذب عرقوبه فسقط رستم
وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه اربعون الف دينار فقتل رستما وانهزمت
العجم ٥ وروي ان قاتل رستم رجل بن فلان واما الضربه التي حكيناها التي جارت
تلك البيضه بما حوته من الراس فلم يسمع لمثلها في جاهليه ولا اسلام فحملها الروم
وعلقوها في بيعة لهم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم
فرحل ابطال الروم اليها ليروها وانما كانت العرب تفتخر في هذا الباب بقول
المؤمن بن ثعلب يصف ضربة سيف

اتى الحوادث والايام من نمر اسناد سيف قديم اثره بادي
تظل تحفر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والقيدين والهادي

وتنشد قول النابغة في السيف ايضا

يقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الحباحب

وان هذا من قد الحديد بما حواه من الراس وابن الثريا من الثرى وابن الحسام
من المحل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من امثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا
السيف ظل الموت والسيف لعاب المنيه والرمح رشا المنيه والسهام رسل الاعوار
من ارسلها والرمح اخوك وربما خانك والدرع مشغلة للراجل متعبة للفارس
وانها الحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

الباب الحادي والستون
في ذكر الحروب وحيلها واحكامها وتدبيرها

ومن حزم الملك الا يحتقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا
فكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

ولا تحقرن عدوا رماك وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان
تداركت اولها سهل اطفاؤها وان تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعف
لهيبها ومثله ايضا مثل الجرح الذي ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تعفن
عظمت بليته واعضل الاطبا برؤه واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب
كتبا ورتبوا فيها ترتيبا فلا تسع امة سائر الاقاليم اذ لكل امة في العالم نوع من
التدبير وضرب من الحيلة وصنف من المكيدة وجنس من اللقا والكر والفر وتعبية الجيوش

والمواكب

والمواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف منه اشيا تجري مجرى المعاقد لا يكاد
يختلف في ابتنا ازمنة الحروب وتبدل الايام اذ ذكره الله تعالى في القران قال الله تعالى
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والالة والحيلة
وفسر النبي عليه السلام القوة فقرا على الناس ترمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي الا ان القوة الرمي وكان بعض اصحابه اذا اراد الغزو لا يقص اظفاره ويتركها
عدة ويراها قوة فاول ذلك ان يقدم بين يدي اللقا عملا صالحا من صدقة
وصيام ورد مظلمة وصلة رحم ودعا مخلص وتغيير منكر وامر بمعروف وامثال ذلك
فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر بذلك وقال انما تقاتلون باعمالكم
وروي ان زيدا ورد عليه بفتح المسلمين فقال له عمر اي وقت لقيتم العدو قال غدوة
قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون اقام الشرك
للايمان من غدوة الى الزوال لقد احدثتم بعدي حدثا او احدث بعدكم حدثا والشان كله
في استجادة القواد وانتخاب الامرا واصحاب الالوية فقد قالت حكما العجم اسد يقود
الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد ولا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة
والنجدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريه رابط الجاش صادق الباس
ممن قد توسط الحروب ونازل الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع
القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب شحنه بالحماة والابطال من ذلك
بصيرا بصفوف العدو ومواقع الغرة منه ومواضع الشدة منه فانه اذا كان كذلك
وصدر الكل عن رايه كان جميعهم كانه مثله فان راى لمعان الكتائب وجهاو الارد

القسم الزرسه ٥ واعلم ان الحرب خدعة عند جميع العقلا واحزم ما يجب ركوبه
من عن الكتايب وحمل الجيوش بعضها على بعض فلتلك تصريف الحيلة في نيل الظفر
قال نصر بن سيار كنت امير خراسان من قبل مروان الجعدي اخر ملوك بني امية
قال كان عظما الترك يقولون ينبغي للقايد العظيم القياد ان يكون فيه عشره
اخلاق من اخلاق البهايم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة
الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذيب
وسمن بعير ومي دو بسمخراسان تسمى بغا التعب والشقاه وكان يقال اشد خلق
الله تعالى عشره فاشد خلق الله الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تاكل الحديد
والما يطفي النار والسحاب يحمل الما والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح
بحاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق
ربك الهم فاول ذلك ان يبث جواسيسه في عسكر عدوه ويستعلم اخباره مع
الساعات ويستعلم دوسايسه وقادتهم وذوي الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعدهم
وعدا جميلا ويوجه اليهم بضروب وجوه الخديعة ويقوي اطماعهم في ان ينال ما عنده من الهبات
الغزيرة والولايات السنية وان راى وجها عاجلهم بالهدايا والتحف وسامهم اما
الغدر بصاحبهم واما اعتزاله وقت اللقا وينشي على السنتهم كتبا مدلسة اليه
ويبثها في عسكره ويكتب على السهام اخبارا مزوره ويرمي بها في جيوشهم ويضرب
بينهم بما في الميسور من ذلك فان جميع ما ذكرنا يغني عنه الاموال والحيل واللقا يشفق
فيه الارواح والرووس ووجوه الخداع فيه لا تحصى والحاضر فيها ابصر من الغايب ولله
در المهلب لما كتب اليه الحجاج يعجله في حرب الازارقه رد الجواب فقال ان من البلا

ان يكو

ان يكون الراي عند من يملكه لا عند من ينصره ٥ وقال الحجاج ليزيد بن
انس حين ولاه الجزيرة ولدوه بقتال عبيد الله بن زياد امض الى عدوك براي غير مستبد
وحزم غير متكل ولا تركن الى الدوله فربما انقلبت واستشر من لا يطمع في عملك
ولا تنسر بقلبك واستخر الله تعالى قبل اقدامك توفق ٥ واوصت ام الربال العبسية
ابنها القتال وهو من اشد العرب يا بني لا تنشب في حرب الا وتثق بساقيك حتى تعرف
وجه للهرب منها فان النفس اقوى شي اذا وجدت سبيل الحيلة واضعف شي اذا ايست
منها واحمد الشده ما كانت الحيلة مدبره لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى نابذا لها واخلس
طيران من تجارب خلسة الذيب وطر منه طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور
عدو الشده ٥ وقال ابو السرايا وكان احد الفتاك لابنه يا بني كن بحيلتك اوثق
منك بشدتك وبحذرك اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب للمتهور وغنيمة الحذر
طول واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا اذن الله تعالى في البلا كانت
الافه في الحيلة وقالت الحكما اذا نزل القضا كان العطب في الحيلة واذا
انقضت مده الدول ادبرت سنه الغفلة من سنة الحذر وغلب الضعيف باقبال
دولته كما يغلب القوي بتقادم نيته ٥ وقالوا سعود الدول ونحوسها مقرونه
بسعود الملك ونحوسه ٥ وقالوا ان على كل امري دولة فاذا انقضت بدت
عورته ٥ وقال بعض الحكما اذا اولت دوله ولت امه واذا اتت دوله يسخي امه
وقالوا ادب حيلة املك المحتال نمى الحزم الكا لوف عند سو ابن الحروب ان تكون حماه
الرجال كحماه الابطال في القلب فانه مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظره
الى القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين ياوي اليه

كل منهم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك الطاير اذا انكسر
احدى جناحيه يرجى عودته ولو بعد حين فان كسر الراس ذهب الجناحان
ولا تحصى كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع النادون الى القلب
ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فافلح او تراجع اللهم الا ان تكون مكيدة من صاحب
الجيش فيخل الملك قصدا او تعمدا ولا يغادر به كبير امر حتى اذا توسطه العدو استعمل
بهم واطبق عليه الجناحان   ومن اعظم المكايد في الحرب الكمين ولا يحصى كثرة كم من
عسكر استبيحت بيضته وفل غربه بالكمين وذلك ان الفارس لا يزال على حميته في الدفاع
وحمي الذمار حتى يلتفت فيرى وراه بندا منشورا او يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص
نفسه ولكن بمينك وراءك وعليك بمدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال
فاصطنع ذوي البسالة والاقدام والجرءة ولا عليك الا يكثروا او يبعد عليك ان يكثروا
ولا تنس بيت الشاعر   والناس الف منهم كواحد وواحد كالالف ان امر عنا
بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة الاف   وساحكي لك من ذلك ما يقضى فيه العجب
فهو في الجيش وان كنا لا نحتاج في البيان فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية
ابن ردمير النصراني على مدينة وشقة في ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافين
كل واحد منهما يرتقي عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل ممن حضر
الوقعة من الاجناد قال لما دنا الطاغية ابن ردمير لعنه الله وهو ممارسته للحروب
من رجاله استعلم في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب
منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال منهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال
انظر الان من في عسكري من الجماعة المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدوهم

فوجدوهم

فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول
يا بياضنك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول احد منهم دبره
ولا برح عن مقامه حتى فني اكثر العسكرين ولم يبق واحد منهم قال فلما كان وقت
العصر ثم حملوا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا
وصاروا شطرين وحالوا بيننا وبين اصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا
ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشار مقدموا العسكر على السلطان ان ينجوا
بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم
والبصيرة من جمع يحتوي على اربعين الف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة
عشر رجلا وليعتبر نقصان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في ابطالهم رجل
واحد وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله يحكي قال سار المنصور بن ابي
عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فراى جيوش المسلمين بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل
يعرف بابن المصحفي فقال كيف ترى هذا العسكر ايها الوزير قال ابن المصحفي ارى جمعا كثيرا وجيشا
واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من اهل الشجاعة
والبسالة فسكت ابن المصحفي فقال المنصور وما سكوتك اليس في هذا الجيش الف مقاتل قال لا
قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال قال لا [illegible]
المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال افيهم خمسون قال
لا قال فسبه المنصور واستخف به وامر به فاخرج على اقبح صفة فلما ان توسطوا
بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في السلاح

يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فما ولا ساعة فقتله العلج

ففرح المشركون وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم خرج العلج يكر ويفر بين الصفين وينادي

هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فما ولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل

وينادي هل من مبارز ثالثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلج فصاح المشركون وذل

المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر

فقال له المنصور الا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال يعني جميع ما جرى فقال

وما الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان يكفي المسلمين شره قال نعم الان ثم قصد الى رجال

يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد شربت اوراكها من الادمة يحمل

قربة ما بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي الا

ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رايته فماذا ترى فيه قال اريد راسه الان قال نعم

فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فما ولا ساعة فلم يرى الناس الا المسلم

خارجا من الغبار يركض ولا يدرون ما سالك واذا الرجل يحمل راس العلج فالقى الراس بين يدي المنصور

فقال له ابن المصحفي عن مثل هولا الرجال اخبرتك انه ليس في عسكرك منهم الف ولا خمس مايه ولا

مايه ولا خمسون ولا عشرون ولا عشره فرد ابن المصحفي الى منزلته واكرمه واعلم ان اول

الحرب شكوى واوسطها نجوا واخرها بلوى الحرب شعثا عابسة شرها كالحة

حرود في حياض الموت شموس في الوطيس سعد ابا لنفوس اولها الكلام واخرها الحمام

الحرب مره المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم

الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيده وقايدها

الرفق وسايقها النصر وقال الرسول عليه السلم الحرب خدعه وقالوا الحرب غشوم

سميت

سميت بذلك لانها تخطي الى غير الجاني كما قال الشاعر

لم اكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صالي (وقال آخر)

رايت الحرب يجنيها اناس ويصلى حرها قوم براء (وقال آخر)

الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول

حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل

شمطا تنكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل

قال بعض الحكما قد جمع الله تعالى لنا اداب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا

لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ه واستوصى قوم اكثم بن صيفي في

حرب ارادوها فقال اقلوا الخلاف على امرايكم واعلموا ان كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن

اختلف وتثبتوا فان احزم الفريقين الركين ه وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترون اصحاب

محمد جثي على الركب كانهم خرص يتلمظون تلمظ الحيات ورايت غير واحد من اهل العلم في

الحرب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله تعالى في نفسه ه واعلم ارشدك

الله ان الله تعالى قد اوضح لنا في كتابه علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا ايها الذين امنوا

ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه واما الفرار فعلته

المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان

ببعض ما كسبوا اي بشوم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رتبه لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم وذلك انه عليه السلم رتب الرماة يوم احد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا ان

يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا

الغنايم فاقبلوا على الغنايم وتركوا المراكز فخرجت خيل المشركين من شمال واقبلوا
على المسلمين فكانت مقتلة احد ولتخف قايد الجيش العلامة التي هو مشهور بها
فان عدوه قد استعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا وليبدل
زيه ويغير خيمته ويخفي مكانه كي لا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمش في النفر
اليسير من قوم مخارج عسكره فان عنوان عدوه قد اذكيت عليه وعلى هذا الوجه لسر
المسلمون جيوش افريقيه عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم
العدو يمشي خارج العسكر يتميز عساكر المسلمين فجا الخبر الى عبد الله بن السرح وهو نايم في قبته
فخرج فيمن وثق من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح ه ولما عبر طارق
مولا نصير الى بلاد الاندلس ليفتتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا في الجزيرة الخضرا وتحصنوا
في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في الف وتسع مايه رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا
ثلثة ايام وكان على الروم تدمير استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى لذريق
يعلمه ان قوما لا يدري امن الارض هم ام من السما قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الي
بنفسك فاتاه لذريق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق على خيله مغيث الرومي مولا الوليد
بن عبد الملك فاقتتلوا ثلثة ايام فاشتد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام
فخطبهم على الصبر ورغبهم في امالهم وبسط في امالهم ثم قال اين المفر البحر من ورايكم والعدو امامكم
فليس الا الصبر منكم والصبر من ربكم وانا فاعل شيا فافعلوا كفعلي فوالله لاقصدن طاغيتهم والنصر
فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف حلية لذريق وعلامته
وخيمته ثم حمل مع اصحابه عليه حملة رجل واحد فقتل الله تعالى لذريق بعد
قتل ذريع في العدو وحمى الله المسلمين فلم يقتل منهم كبير شي وانهزم الروم فاقام المسلمون يقتلونهم

ثلثة ايام واحتز طارق راس لذريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد
الملك وصار مغيث الى قرطبه وصار طارق الى طليطله ولم تكن لهم همة غير المايده التي يذكر
اهل الكتاب انها مايده سليمان بن داود عليهما السلم فدفع اليمانيين لذريق المايده والتاج ملك الترك
فقومت المايده بماتي الف لما فيها من الجوهر التي لم ير مثلها ان وهذه الحيلة فعل البارسلان
ملك الروم وقبضه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجمع
لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ست مايه الف مقاتل كتايب متواصله وعساكر مترادفه
يتلو بعضها بعضا لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح
والمجانيق والالات المعده لفتح الحصون في الحرب وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر
والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدوله قد دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم
ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت اخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت بها ممالك الاسلام
فاحتشد للقايهم البارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان
فاستعد بما قدر عليه ثم خرج يومهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلايع المسلمين
الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يترآى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعه والقوم في عدد لا
يحصيهم الا الذي خلقهم وما لهم في المسلمين الا اكله جايع فبقي المسلمون واجمين لما دهمهم فلما اصبحوا
صباح يوم الجمعه نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما راوه من كثرة العدو وقوتهم والاتهم الف
فامر البارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر الف واداهم منهم كالرقمة في ذراع الحمار
فجمع ذوي الراي من اهل الحرب والتدبير والشفقه على المسلمين والنظر في العواقب فاستشارهم
في استخلاص صواب الراي فتشاوروا وابرموه ثم اجمع رايهم على اللقا فتوادع القوم وتحاللوا
وناصحوا الاسلام واهله ثم تاهبوا اهبة اللقا وقالوا للبارسلان سم الله وتحمل على القوم

فقال البارسلان يا معشر اهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون
يخطبون على المنابر يدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء
وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم بالصبر
وان يوهن عدوهم وان يلقي في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة
ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال للرجالة لا يتخلف منكم احد الا ان يفعل كفعلي
ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل فحملوا جميعهم
حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا اليه وقتلوا من حوله
واسروا ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم ان
ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون
اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان
ما كنت تصنع بي لو اخذتني قال وهل تشك اني كنت اقتلك فقال له البارسلان انت
اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه فيمن يزيد فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادا
عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين
وينادا عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع احد فيه شيئا حتى باعوه من انسان بكلب فاخذ
الذي كان يتولى ذلك من امره الكلب والملك وحملهما الى البارسلان وقال قد طفت جميع
العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيئا الا رجل واحد دفع لي فيه كلبا قال قد انصف
لان الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه
فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار فانظروا ما ابلغ الى الملوك اذا عرفوا
في الحروب من الحيلة والقصد بالمكيدة واعلم ان القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر

وقد قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك
وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف ولن يبلغ جيش يبلغ
اثني عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم فاما اذا اجتمعت صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رايناه
في بلادنا وهو ارجا تدبير نفعله في لقاء عدونا ان تقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال
والمزارق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم
في الارض وصدورها شارعة الى عدوهم وهم جاثمون في الارض وكل رجل منهم قد القم
الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم
الدروع والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئتها ولا
قام رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق
وصدور الرماح تلقاهم فاخذوا يمنة او يسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم
ما شاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلدي طرطوشة قال صاففت الروم
على هذا الترتيب فحملوا علينا فينا رجل ما كان في اخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه
علج من العدو فاصاب غرته فقتله ولما برز المقتدر بالله بن هود ملك الاندلس من
سرقسطة في ثغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردمير عظيم الروم وكان كل واحد منهم
قد احتشد بما في ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال وتصافوا ودام القتال
بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران فافزع المسلمين ذلك وفرق والمقتدر
المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من الثغور لم يكن في الثغور اعرف بالحرب منه
يسمى سعداده فقال له المقتدر كيف ترى هذا اليوم فقال هو يوم اسود ولكن قد بقيت لي

حيلة قد ضيّعت سعادته وكان نبيه زي الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة
مخالطتهم فانغمس في عسكر الكفار ثم قصد الى الطاغية ردميل فالفاه شاكًا
في السلاح مكتفيا في الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتحيله ويترصد غرته
الى ان امكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعا لليدين وللفم
ثم جعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشاع قتله في العسكر فتخاذلوا
وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله ولما استضعف الروم صقلية وضربوا
عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال الى العرب بافريقية ويستنجدون
بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا اهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز
وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلتقط الشيب من لحيته واذا بات عند العجوز تلتقط
الشعر الاسود من لحيته ليشبهها فيوشك ان دام هذا ان يصبح اطلس
كذلك حالكم معي ومع العرب اذا اديتم المال الي ولهم يوشك ان ينفد اموالكم فتفنوا فقرا
ضعفا فتسلمكم وتسلم البلاد ويروى انه لما تم حصار صقلية امر ان يبسط بساطا
في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطا
البساط علمنا انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل احد اليه فلما اعياهم ذلك طووا
ناحية من البساط من عنده وامر كل واحد ان يطوي مما يليه حتى طوى البساط فمدوا
ايديهم فاخذوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية فخذوا ما حولها من الحصون
والمدن الصغار والضياع والقرى حتى اذا ضعفت اخذتموها وكان بسرقسطة فارس
يقال له ابن فتحون وكان يناسبني في عقد حال والدي وكان اشجع العرب والعجم
وكان المستعين ابو المقتدر يرى له ذلك ويعظمه وكان يجري له في كل عطية خمس

مائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه فيحكى ان
الرومي اذا اسقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب او ابن فتحون رايت في الماء فحسده نظراؤه
على كثرة العطايا ومنزلته من السلطان فاغروا صدر المستعين فمنعه اياه ثم ان المستعين
انشا غزوة الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا فبرز علج الى وسط
الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي وصاح
الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي ثلاثا الواحد فلم
يستجر احد من المسلمين ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها الا الوليد
بن فتحون فدعاه واستلطفه وقال له اما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني قال فما
الحيلة فيه فقال ابو الوليد فما تريد قال اكف المسلمين شره فقال الساعة يكون ذلك
ان شاء الله فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف
وفي طرفه عقدا معقودة ثم برز اليه فعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على
صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس
ونزل الى الارض ولا شيء منه في السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط في عنقه فالتوى
على عنقه واخذ بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به يجره فالقاه بين يدي المستعين
فعلم المستعين انه كان قد اخطا في صنيعه معه فاكرمه ورده الى احسن احواله ايها
الاجناد قلوا الخلاف على الامرا فلا ظفر مع اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال
الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واول الظفر الاجتماع واول الخذلان
الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة وانما اتي علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوم
صفين وكان قد ظهر اهل العراق على اهل الشام وتضعضعت صفوف معاوية فاحس بالشر

وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعني عليا
فادار عمرو الحيله وامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون ندعوكم
الى كتاب الله فلما راى ذلك اصحاب علي كفوا عن الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه
اي قوم هذه مكيده مشهوره لم يبق في القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان
ذلك سبب التحكيم واعلموا ان من احزم مكايد الحرب اذكا العيون واستطلاع
الاخبار وافشا الغلبه واظهار السرور وابانه الحذر والاحتراس من العدو وان لا تخرج
محاربا الى قتال ولا تضيق امانا على مستامن وقال بعض المصنفين كثره التكبير عند اللقا
فشل غضوا الاصوات وتحلوا السكينه واكملوا اللوام واحموا الجن وادرعوا وغلبوا
الليل فانه اخفا للويل الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع الليل الذي الاعظم الحازم
يحذر عدوه على كل حال المواثبه ان قرب والغاره ان بعد والكمين ان انكشف
والاستطراد اذا ولى لا تجهل قوة الجره من اغتر بقوته فقد ومن يئس من القوه
المورط في الهوه لكن اشد ما كنت حذرا اما كنت عند نفسك اكثر قوه وعددا
من استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به عدوه اشعروا قلوبكم الجره فانها سبب
الظفر واذكروا الضغاين فانها تبعث على الاقدام والزموا الطاعه فانها حصن المحارب
ادفع اللقا بين القضا اذا التقى السيف زال الخيار رب مكيده ابلغ من نجده
رب كلمه سددت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع النصر اجعل اقبال عدوك
اخر حيلتك النصر مع الذبير لا ظفر مع بغي ولا تعتز بالاقويا الفضل قوتك على
الضعفا لا تجبنوا عند اللقا ولا تمثلوا عند القدره ولا تسرفوا عند الظهور
ولا تغلوا عند الغنايم ونزهوا الجهاد عن عرض الدنياه

للبلاد

الباب الثاني والستون
في القضا والقدر والتوكل والطلب

اعلم وفقك الله ان مذهب اهل الحق في القضا والقدر وخلق الافعال واراده
الكاينات منتشر ولا يخرج عن علمه وقضايه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا في القضا
والقدر وافقنا في العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه
وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمه لاستيفا ما قالوا
والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات واسفارا وانما نذكر في هذا الكتاب
احكاما ظاهره قريبه من العقول لتقريب الفايده على الناظر فيه فاعلم اولا ان
كل ما يجري في العالم من حركه وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعه
ومعصيه وكذلك فلا يطير طاير بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه
ولا تطير بعوضه ولا تسقط ورقه الا بقضايه وقدره وارادته ومشيته فما لا يجري
شي من ذلك الا وقد سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب
لا يتضادان وذلك ان تعلم ان كل ما قضا الله تعالى وقدره فهو كاين لا محاله كما
ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كاين ومن خالفنا في القضا والقدر وافقنا في العلم فرب
امر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب امر قدر وصوله اليك بعد
الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب
في انهما مقدوران فمن هاهنا قلنا انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب
لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا تضاد بين شيين في محلين بعد ما
تحقق العبد ان المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شي فبتقديره وان اتفق فبتيسيره

قال انس جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها واتوكل فقال اعقلها
وتوكل والتوكل والاعتصام بالقدر مستمدان من العقل والطلب والكسب
مستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى سوى الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما حكم
به فمن رام امرا من الامور ليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض امره الى
ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله
فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه بين درعين واحتفر خندقا حول المدينة يستظهر
به ويحترس من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس
لامة الحرب ويعبي الجيوش ويامرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقى وامر بالاسترقا
وتداوى وامر بالمداواة وقال انزل الدا الذي انزل الدوا فان قيل فقد روى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقا او اكتوى فقد برى من التوكل قلنا النبي
قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وساير ما ذكرناه انفا فان قيل فما الجمع بين
ذلك قلنا معناه من استرقى واكتوى متكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة
فهذا مخرجه من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فاما من
باشر الاسباب والادوية وتعاطا تدبير الامور بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سيرة
الله تعالى في ارضه وعادته في خليقته غير معتمد على شي من ذلك بل هو واثق القلب ان ما
حصل فبقدرته وما تعسر فبقدرته معتمدا في ذلك على المسبب لا على الاسباب
فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يمشي في ذلك كله مع الامر ولا يسلك طريقا فيه
معصية فليس يستمد ما عند الله تعالى بمعاصيه ٥ وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه من ابتغا امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجا واقرب لمجي ما اتقى ٥ ومن ظن ان الطلب

والاكتساب

والاكتساب ينافي التوكل فقعد في بيته واغلق بابه متوكلا على الله تعالى في
زعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهل والجا فقال له صحب من هذا اذا جعت
وحضر الطعام الا تمد يدك اليه وان لا تفتح فمك له فان تمادا على ذلك كان الى العقل
احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله ان يداووه الا ترى ان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجذع
النخلة فهلا امرها بالسكون ثم حمل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمن له دابة او بستان
يوم سقي البستان وحضره واصلاح شانه ويومر بان يعلف الدابة ويسقيها وانشدوا
الم تر ان الله قال لمريم اليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولو شا احنى الجذع من غير هزها اليها ولكن كل شي له سبب
وهكذا قال الرسول عليه السلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها في اوكارها بل الهمها طلبه
بالغدو والرواح وقد كان حصل رئيس الهند ما رأس بري من تصديق القدر وتكذيب
الطلب دون اهل زمانه من الملوك ما حجره عن الطلب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه
وقهروه على مملكته فقال له بعض الحكما ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس
وصاحبه صاير الى اخلاق ذوات الاجحرة من الحيوانات كالضب وساير الحشرات يستوا
في احجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على
ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ارجح مما في الاخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره
وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره ونمت بغيته وضربوا فيه مثلا اعمى ومقعدا فقالوا
ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قايد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان
في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزل الا

الا...

في عافية الى ان يملك المحتسب فاما بعده ابا ما فاشتد جوعهما وبلغ الضر
منهما جهده فاجمعوا ارايهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله المقعد على
الطريق ببصره ويستقل المقعد بحمل الاعمى فلما دارا في القرية يستطعمان اهلها
فنفعلا فنجح امرهما ولو لم يفعلا هذا لك هلكا وكذلك القدر سببه الطلب والطلب
سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فاخذ حيلة في الطلب فظفر باعدايه
ورجع الى ملكه فكان حيل يقول لا تدع الطلب اتكالا على القدر ولا تجهدن نفسك
بالطلب بوجوه التدبير المحموده مصدقا بالقدر فلت ما تحاول ولم يلتو عليك الامور
وان عملت بذلك فالتوا عليك امر من مطلوبك فذلك من اعاقة القدر وانك قد اتيت
دنيا ففقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب اتيته
بجارحة من جوارحك واخرج من كل ظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك فابلك الحظ وساعدك
القدر ان شاء الله ٥ واعلم ان على هذا الاصل الذي قررناه يخرج كل ما ورد في القران وحديث
الرسول عليه السلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض له من ذلك ان سليمان يوما
الخواص تلا قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الاية
ان يلجا الى احد غير الله تعالى ٥ قلنا معناه لا يلجا الى الاسباب اعتمادا عليها ولكن
يلجا اليها وانقيادا لله تعالى يفعل كما يشا كما امر النبي عليه السلم بعقل الناقة وليس در عبد
الا ترى ان من يطلب الزرع والولد فعجب في بيته لم يطا زوجته ولا بذر ارضه معتمدا
في ذلك على الله تعالى واتقانه ان يلد امراته من غير وقاع وينبت ارضه الزرع من غير
بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا وللائمة والحكما في القدر الفاظ
بارعة سلبه على التسبر والامتحان ٥ منها ما روي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه

سئل

سيل عن القدر فاعرض عن السايل فابا الا الجواب فقال علي اخبرني لخلقك الله تعالى
كما يشا او كما تشا فامسك الرجل فقال علي للحاضرين اترونه يقول كما اشا
اذا والله اضرب عنقه فقال الرجل كما يشا قال علي ايحييك كما تشا او كما يشا
قال كما يشا قال ايميتك كما تشا او كما يشا قال كما يشا قال ايحشرك كما
تشا او كما يشا قال كما يشا قال ايدخلك الجنة حيث يشا او حيث تشا قال حيث
يشا قال نعم فليس لك من الامر شي ٥ وروي ان رجلا قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدري
للمجوسي ما لك لا تسلم فقال المجوسي لو اراد الله تعالى لاسلمت فقال القدري قد اراد
الله ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسي فانا مع اقواهما ٥ وروي في الاسراييليات
ان نبيا من انبيا الله تعالى مر بفخ منصوب واذا بطاير قرب منه فقال الطاير يا نبي الله هل
رايت اقل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيدني فيه وانا انظر اليه قال فذهب عنه ثم
رجع واذا الطاير في الفخ فقال له عجبا لك اولست تقول انفا كذا وكذا فقال
يا نبي الله اذا جا الحين لم يبق اذن ولا عين ٥ وقال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب رضي
الله عنه ارايت من جنبني سبيل الهدى وسلك بي سبيل الردى احسن الي ام اسا فقال له
علي ان كنت استوجبت عليه حقا فقد اسا وان كنت لم تستوجب عليه شيا فهو
يفعل ما يشا ٥ وقال ميمون بن مهران لغيلان القدري سل فاقوى ما تكونون اذا سالتم فقال
غيلان اشا الله ان يعصى فقال ميمون ايعصى كارها فانقطع غيلان ٥ وروي ان رجلا
قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر فقال وما نصنع بالمناظرة في القدر رايت ظاهرا
استدل به على الباطن ورايت احمقا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس
الى العباد ٥ وقال ـــــ بعضهم ٥

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ... ويعطى الفتى من حيث يحرم طالبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال موسى ان الهدهد يهندس الماء في الارض الفيفاء ويبصر القريب منه من البعيد على بعد في النجوم ثم ينصب له الفخ بالدودة والحبة فلا يبصره حتى يقع فيه ٥ وفي الاسرائيليات ان الهدهد كانت رائد سليمان عليه السلام الى الماء فيقدم معسكره ثم ينظر الارض فيخبره يقول ان الماء على الف قامة او اقل او اكثر فيبادره الجن فتحفره فلا يلحق سليمان الا وقد استعد الماء واعلم ان الهارب مما هو مقضي مقدر كالمتقلب في كف الطالب وانشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا ... وفررت منه فنحوه تتوجه

ولبشار

طبعت على ما في غير مخير هواي ... ولو خيرت كنت المهذبا

اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد ... وقصر علمي ان انال المغيبا

واصرف عن قصدي وعلمي مقصر ... وامسي وما اعقبت الا التعجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة مر ابن ابي ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي منعة طيار

او ياتي الحتف على مقدار ... قد يصبح الله امام الساري

فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام الساري فلات حين مهرب وانشد بعضهم

اقام على المسير وقد انيخت ... مطاياه وعرى حاديانا

وقال اخاف عادية الليالي ... على نفسي وان لقا ردانا

ومن كتبت منيته بارض ... فليس يموت في ارض سواها

ولما

٧٢

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازلا فالطمانينة الى الدنيا حمق ٥ وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصري في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله ٥ وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلث رجل يريد يناول رزقه بتدبيره وهو يرى نقص تدبيره ورجل يشغله هم غده وعالم مفتون يعيب على جاهل مغبوط ٥ ومن عجيب ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته اياما فقبضه الشرط وحملوه الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وترامى في بير والمدينة مسربة تحت الارض باسراب يمشي الماشي فيها قائما تخترقها ويدورها لان سور دورها ابار على تلك السروب فما زال الرجل يمشي الى ان لاح له بير مضيئة فطلع فيها واذا البير في دار السلطان فادبه السلطان فكان فيه المثل السائر الفار من القضا الغالب كالمتقلب في يد الطالب ٥ وقال ابن مسعود ان الرجل ليشرف على الامر من الامارة والتجارة او غيرهما فيذكره الله تعالى فوق سماواته فيقول للملك اصرف عن عبدي هذا الامر فاني ان اليسره له ادخله به جهنم فيظل يتغيظ على جيرانه فيقول سبقني فلان وحسدني فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى وانشدوا ٥

قالوا اتقيم وقد احاط بك العدو ... ولا تفر

فاجبتهم والشيخ ما لم ينتفع ... بالعلم غر

لابك حين اما هبت ولا عدا في الامر شر

ان كنت اعلم ان غير الله ينفع او يضر

استاذن العقل على الجد فقال اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم فقال لانك تحتاج الي ولا احتاج اليك . واوصى حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا تخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود . وكان يقال افراط العقل مضر بالجد . وروي ان رجلا خيره امير فابا ان يختار وقال انا بجدي اوثق مني بعقلي فما فرعوان وفي الامثال اسع بجد لا بكد اسع بجد او دع كدك لا يدرك الجد لا الجد الجد اغنا من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السما الى الارض اقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من كتابي في الاسرار مثل التوفيق مكتسب او موهبة جله
بالاسباب بالامر عليه . ومن لطيف ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر ان الهارب من المقدور كالمنفلت في يد الطالب ما نزل بنا في مدينة الاسكندرية في قضية الجمل الذي تقدم ذكره .

الباب الثالث والستون

وهو جامع من اخبار ملوك العجم حكايات نظرها وهو مشتمل على خمس فصول الاول يشتمل على اخبار وقعت الينا بعد الفراغ من الكتاب فالحقناها . والثاني يشتمل على حكم حكيم الفرس خاصة . والثالث يشتمل على حكم حكيم السند خاصة والرابع يشتمل على حكم حكيم العرب خاصة . والخامس يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا ذلك لنظر في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب جاويدان

خرد الفارسي ثلاثة لا تصلح فسادهن شي من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفا والركاكة في العقول . وثلثة لا تستفسد صلاحهن شي من المكر والحيل العبادة في العلما والقنوع في المستبصرين والسخا في ذوي الاخطار . وثلث لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال . وقال ابن لقمان لابيه يا ابه ما الدا العيا قال رعونة مولودة قال فما الجرح الدوي قال المراة السو قال فما الحمل الثقيل قال الغضب . ولما قرا هذه الحكاية ابو عباد الكاتب وكان طريفا في الحدة قال لكن والله الغضب اخف علي من ريشة وكان اسرع الناس غضبا فقيل له اما علمت ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا اقوى على احتمال الغضب الا الجمل . وغضب يوما على بعض اصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فبلغ ذلك المامون فقال ويلك لا تحسن ان تقرا اية من كتاب الله تعالى قال بلى والله يا امير المومنين اني لاقرا من سورة واحدة الف اية فضحك المامون وامر باخراجه . وقيل لانوشروان ما العقل قال القصد في كل الامور قيل فما المروة قال ترك الريبة قيل فما السخا قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحمق قال الاغراق في الذم والحمد . وقيل لبعض الحكما ما الحزم قال سو الظن قال انما اراد سو الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض . وقال معوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان العثرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك فانها تودي الى الهلاك ومن مثل قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك

يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ما عسى ان يكون حبيبك يوماً ما ومن ذلك قول القائل

واحبب حبيبك حبا رويدا فليس يعولك ان تصرما

وقال آخر

ولا تيأس الاسو من حب كاشح ولا تأمنن الدهر صرم حبيب

وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة
قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق
قال حب مفرط وبغض مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه
احد من ملوك زمانه ما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفوي عند قدرتي ولِيني بعد
شدتي وبذلي الانصاف ولو من نفسي وابقائي في الحب والبغض مكانا للاستبدال

للموضع

وقال بعض الحكما واراد سفرا ارشدني لاحزم امري قال لا تمكن قلبك محبة الشي
ولا تستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في
القلب سرعة ترجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة
فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك ملكا استعباد قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكما ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما العايد المشفق
قال حسن النطق قيل فما العنا المعنى قال تطبيعك من لا طبع له وقال الفضل بن
مروان سالت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم قال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت
عليه القلوب رغبة ورهبة لا يظهر جنده ولا يخرج رعيته سهل النوال حزن النكال
الرجا والخوف معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظالم ويعطي كل ذي حق
حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب

فتغضي

فتغضي له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائي اليه واقبالي
عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال لترجمانه ما الذي يقول الرومي قال يصف
له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشي فقال لي الترجمان انه يقول ان ملكهم
ذو اناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة
عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته وقرنهم بعنيف عقوبته فهم يتراءونه ترائي
الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا قد وسعهم عدله وردعهم عنه سطوته
وكلمته فلا تتهمه مزحة ولا تؤيسه غفلة اذا اعطا اوسع واذا عاقب اوجع
فالناس اثنان راج وخايف فلا الراجي خايب الامل ولا الخايف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم
له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته قطا
رفرفت عليه صقور صوايد فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما
عندك قلت الفي درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المومنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امري ما يحسن افتعرف احدا من الخطبا البلغا
يحسن ان يصف احدا من خلفا الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال
فقد امرت لهما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العذر مادة بيني وبينهما على العود
فلولا حقوق الاسلام واهله لرايت اعطاهما ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه
وقال الفضل بن سهل كان عندي رسول ملك الروم وكان يحدثني عن اخت للملك
يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة اجتدم شواظها علينا بحرارة المصايف وصنوف
الافات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون ايها الملك
ان الحزم لا يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه وهو كفيل الملك على استصلاح رعيته

وراجوا الله عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لتفضل العجز عن الالتجا
الى من لا يؤيده الاساءة الى خلقه عنا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا
وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصى ولا بركوب الدائم من الزائل ولا بحسن
الرعية من الراعي ولم يزل في نعمه لم يغيرها نعمة وفي تضام لم يكدره سخط الجاري
القدر بما عمي عنه البصر ودل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب
فعد اليه يسلم النعم وعد به من قطع النقم فمن تلبسه بنسائك ولا تجعلن الجبار من
الذل للعز الذل شركا بينك وبين رعيتك مستحق مذموم العاقبة ولكن من نعم
وبعسك تصرف القلوب الى الاقرار لله بكنه القدرة وبتدليل الالسن في الدعاء
تمحض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيء فعل الى صالح عمل او لبعثه
على دوب شكر يجوز به فضل الجزاء فامرها الملك ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام فتعلق
فرج القوم عن ناية وقد علم الله تعالى منهم قبول الوعظ في الامر والنهي فحال عليهم الحول
وما بينهم مفتقد نعمة كان قبلها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف
الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة لها في المحبوب والمكروه
فهذا فعل الله تعالى باعدائه وصابرين نعمه لما شكروه اعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجع
وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدونه ويؤمنوا به لو صدقت نياتنا وصحت ضمايرنا
وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجد في جيبه
لوح من ذهب فيه مكتوب اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش
الاسقام واذا ظهرت الخيانات امتحقت البركات ٥ وقال ابو حاجي وجه انوشروان
رسولا الى ملك فدجمع على محادثته وامره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع

له

١٧٥

البـــــه فقال وجدت عنده
الهزل اقوى من الجد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان
رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك في محاربته بما هو عنده اضعف وافل واوضع
فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته ٥ وقال بزرجمهر
المزاح افة الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل
ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف به واذا انبسط الجور فسد سلطانه
وكان نقش خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة
والجور مفسدة ٥ وقيل لبعض اصحاب اسفنديار دخل من الترك فاصيب في عنقه
لوح ذهب فيه مكتوب افة الشدة التهيب وافة المنطق الحيا وافة كل شي الكذب ٥ وقيل
لبعض الحكما ما قيمة الصدق قال الخلد في الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال موت عاجل
قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور قال ذل الحياة ٥ قال وسال ملك
الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك في دولته قال له الجد في كل الامور
قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضا بما رزقت قال وما
غمها قال الحرص على ما لعلك لا تناله ٥ وقال بزرجمهر ثلث من سرور الدنيا وثلث
من غمها فاما السرور فالرضا بالقسم والعمل بالطاعة في النعم ونفي الاهتمام بالرزق
لغد واما الغم فحرص مسرف وسؤال مجحف وغنى ما تلهف ٥ ومر بعض الملوك بغلام يسوق
حمارا غير منبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام
يا ايها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه
وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله ويطول اكله

فاعجب الملك بكلامه وقال له قد امرت لك بالفي درهم قال رزق مقدور وواهب
ماجور قال وقد امرت باثبات اسمك في حشمي قال كفيت مؤونه ورزقت بها معونه
قال لولا انك حدث السن لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال
فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد المعرفه لتجربه ولا يعرف الانسان نفسه
حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا راي صايب وفهم ثاقب ومشوره تقع مواقع
التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ امره في الشرق والغرب
وبلغ منهما ما لم يبلغه احد قبله اكتب الي لفظا موجزا ينفع ويردع فكتب اليه اذا
استولت بك السلامه فجدد ذكر العطب واذا هنتك العافيه فحدث نفسك بالبلا
واذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهايه الامل فاذكر الموت فانك
احببت نفسك فلا تجعل لها في الاساة اليها نصيبا ه قال ووعظ بعض الحكما ملكا
فقال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخره دار ثواب ومن لا يعمل لا يجد فهن نفسك
حلاوه عيشها بترك الاساة اليها واعلم ان زمام العافيه بيد البلا وامن السلامه تحت جناح
العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاثه غير متوقع
لاضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكه فان الدهر عدو ابن ادم فاحترز من
عدوك بغايه الاستعداد واذا فكرت في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ
قال وكتب الاسكندر على باب الاسكندريه اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث
من الليل والنهار واذا انتهت المده حيل بينك وبين العده فاحتل قبل الندم واكرم اجلك بحسن
صحبه السابقين واذا انست السلامه فاستوحش بالعطب فانه الغايه واذا فرحت للعافيه
فاحزن للبلا فاليه تكون الرجعه واذا انبسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد

وال

واليه المورد ه وقال ابن الاعرابي حدثني من راي اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه
العافيه مقرونه بالبلا والسلامه مقرونه بالعطب والامن مقرون بالخوف
ولما ضرب انوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين المجوسيه وانتقل الى دين المسيح
عليه السلم وجد في منطقته كتابا فيه ثلث كلمات اذا كان القدر حقا فالحرص
باطل واذا كان الغدر طباعا فالثقه بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازل
فالطمانينه الى الدنيا حمق ه ولما تاب الله تعالى على النبي سليمن عليه السلم ورد عليه
ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافيه نزل البلا واذا اتمت السلامه نجم العطب
واذا تم الامن علي الخوف ه وحفر حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه اربعه اسطر
محفوره اولها ايها المعافي ابشر بالبلا والثاني ايها السالم توقع العطب ه والثالث
ايها الامن خذ اهبه الخوف ه والرابع ايها الموسر ان سعد عنك العسر ه ولما نزل ابو مسلم
مدينه سمرقند اتاه اسبهبذها فقال ايها الملك ان بالهند هاد حجرا مدفونا فيه ثلثه اسطر
وجدت في الكتب ان سليمن بن داود عليهما السلم بعث به ودفن في هذا الموضع ووجدنا انك
انت الذي تستخرجه وتعمل بما فيه فامر به فاخرج فاذا اول سطر منه الحزم انتهاز الفرصه
وترك الوفا فيما تخاف عليه الفوت ه والسطر الثاني الرياسه لا تتم الا بحسن السياسه
والسطر الثالث لم تعتل الابا من ترك الابنا ولم يحب من لم يحب فكان ابو مسلم يقول علم
جليل به تتم هذه الدوله ان لم يزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل العراق
فاغناه القدر عن الاستعانه بالحذر فقتله ابو جعفر المنصور ه ولما خرج ابو مسلم قيل له ان
بالحيره نصرانيا قد اتت له مايتا سنه وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فاتي به فلما
نظر الى ابي مسلم قال قدمت بالكفايه ولم تنل في الغايه وقد بلغت النهايه احرقت

نفسك لمن سيسكت حسك وكان قد عاينت دمشك فيها ابو مسلم فقال لا
بك فانك لم توت من حزم وثيق ولا من راى دقيق ولا من تدبير نافع ولا من سيف
قاطع ولكن ما استجمع لاحد امله الا اسرع في تقريب اجله قال فمتى تراه يكون
قال اذا تواطا الحلفتان على امر كان والتقدير في يدى من يبطل معه التدبير فان رجعت
الى خراسان سلمت واراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضي ووجه اليه من تحته
فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وبعث على التيقظ
في الحذر والاحتيال في الحرب على ان لكل نفس غايه ولكل امر نهايه ه وقيل لحنا بنوش
وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة الا تعالج فقال اذا كان الدا
من السما بطل الدوا واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدوا الاجل وبئس الدا الامل
وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فراينا فيه صوره اسد من حجر مكتوب عليه
الحيله خير من الشده والتاني افضل من العجله والجهل في الحرب احزم من العقل والتفكر
في العاقبة ملاك الجزع ه وقال احمد بن سهل وجه ملك الروم الى المامون الرشيد بثلثه
اسياف مع هدايا كثيره وعلى سيف منها مكتوب ايها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر
في العاقبه فتهزم ه وعلى الثاني منها مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالخطو لك
وعلى الثالث مكتوب التاني فيما خاف عليه الفوات افضل من العجلة الى ادراك الامل
وقال الحسن بن سهل قرات في كتاب جاويدان خرد ثلث تبطل مع ثلث الشده مع الحيله
والعجله مع التاني والاسراف مع القصد ه وقال الحسن بن علي قرات بمعدن حجرا عليه
مكتوب عليه بالحميريه ايها الشديد احذر الحيله ايها العجول احذر التاني
ايها المحارب تايس من التفكر في العاقبه ايها الطالب موجودا لا تقطع املك من بلوغه

وكتب قيصر الى كسرى اخبرني باربعة اشيا لم اجد من يعرفها وانا اخالها عندك
اخبرني بما عدو الشده وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه
الحيله عدو الشده والصبر صديق الظفر والتاني مدرك والجود مفتاح الفقر ه وقال
بعض الملوك لحكيم واراد سفرا اوقفني على اشيا من حكمتك اعمل بها في سفري فقال
له اجعل نائبك زمام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك وانا
ضامن لك قلوب رعيتك ان لم تحرجهم بالشده عليهم او تبطرهم بالاحسان اليهم وقال
الحسن بن علي قرات في كتاب جاويدان خرد وهو اجل كتاب للفرس الحيله انفع من اقوى
الشده واقل التاني اجدى من اكثر العجله والدوله رسول القضا المبرم واذا استبد الانسان
برايه حمت عليه المراشد ه وكان التحكان ابو بزرجمهر خامل القدر وضيع الحال
مفهم المنطق فلما اتت لبزرجمهر خمس عشره سنة حضر مجلس الملك وقد جلست الوزرا
على كراسيها والمرازبه في مجالسها ووقف بحيا الملك ثم قال الحمد لله المامول نعمه
الموهوب نقمه الدال عليه بالرغبة اليه الوهب الملك بسعوده في الفلك حتى رفع شانه
وعظم سلطانه وانار به البلاد واعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير
فن عاد رعيته بفضل نعمته وحماها الموبقات واوردها العشبات وذادها عن الاكلين
واللفها بالرفق واللين انعاما من الله تعالى وتثبيتا لما في يديه واساله ان يبارك له فيما
اتاه ويخير له فيما استرعاه ويرفع قدره في السما وينشر ذكره تحت الما حتى لا يبقا له
بينهما مناوي ولا يجد له فيهما مدانى واستوهب له حياة لا ينغص فيها وقدره
لا شاذ عنها وملكا لا بؤس فيه وعافيه تدوم له البقا ويكثر له النما ويعز يومنه من
انقلاب رعيته او هجوم نلية فانه مولا الخير ودافع الشر فامر الملك فحشي فمه بثمين

الجواهر ورفيعه ولم يدفع جدا انه سنة مع نبيل كلامه ان استوزره وقلده
خيره وشره فكان اول داخل واخر خارج ٥ وقال عمر بن عبد العزيز ما لله على العاقل
نعمة بعد الاسلام افضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هذا ما
عرف الله تعالى الا بالجهل الا ترى ان الله تعالى خاطب ذوي النهى وذوي الالباب
وذوي الابصار ويجب على العلية ان يحمدوا الله تعالى على مباينتها هذه السفلة
بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم ٥ وقيل لمروان بن محمد وهو
اخر ملوك بني امية ما الذي اصارك الى هذا قال الاستبداد برايي لما كثرت علي
كتب نصر بن سيار ان امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار
من الاموال والجند بما يظهر لي من فساد الدولة قبله وشبهات من ان ينقض علي
خراسان فانقضت دولته من خراسان ٥ وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما
دعي للمامون في كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة
ووجه ملك كابلستان شيخا فقال له ذوبان فكتب يذكر انه قد توجه بهدية
ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا انبل ولا افخر منها فعجب المامون وقال سل
الشيخ ما معه فسالته فقال ما معي شي اكثر من علمي قلت واي شي علمك قال
راي ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع قال فسر المامون بذلك فامر باكرامه وانزاله
وكتمان امره فلما اجمع على التوجه الى العراق لقتال اخيه قال لذوبان ما ترى في
التوجه الى العراق قال راي وثيق وحزم مصيب وملك قريب والسير ماض فامض
ما انت ماض قال له فمن توجه قال الفتى الاعور الطاهر الاطهر بسيره ولا يعثر
قوي مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكم يوجه معه من الجند قال اربعة الاف صوارم

الاسياف لا ينقص خبر العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المامون بذلك
ووجه بطاهر بن الحسين فقال ذوبان في اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع لك
الامر وتصير الى النصر نصر سريع وقتل ذريع وتفريق تلك الجموع والنصر له لا عليه
ثم يرجع الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان له النصر وقتل علي بن عيسى وزير الامين
واستولى على عسكره وكان اموالها فامر المامون لذوبان بمائة الف درهم فلم يقبلها وقال
ايها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك لانقصك مالك فلا تجعلن ردي لنعمتك تسخطا
وساقبل ما يفي بهذا المال واريد طلبه قال المامون وما هو قال كتاب يوجد بالعراق
فيه مكارم الاخلاق وعلوم الافاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء الصدور
من صنوف الاداب مما ليس في كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن اريب يوجد تحت ايوان
المداين فيقاس بالذراعين في وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فاقلع الاجر واحفر
المدر فاذا وصلت الى الساجة فاقلعها تجد الحاجة ولا يلزم لغيرها فيلزمك غب ضررها
فارسل المامون الى ايوان كسرى فحفروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج
اسود عليه قفل منه فحمل الى المامون فقال لذوبان هذه بغيتك قال نعم ايها الملك
فاخذها وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها
فسقط منها اوراق فعدها فاذا هي مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شي غيرها فاخذ
الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسالته وقال هذا كتاب
جاويدان خرد تاليف نحو رود برملك ايرانشهر فطلبت منه شيئا فدفع الي ورقات
منه وترجمها الى الحضرتي علي ثم اجترت المامون فقال احمل الي الورقات فحملتها اليه
فقراها وقال هذا هو الكلام لا ما نحن فيه من لي السنتنا في فجوات اشداقنا ولولا

ان العهد حبل طرفه بيد الله وطرفه بايدينا لا ناخذنه منه ه

فصل من نوادر حكيم الفرس قال نصحني النصحا ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتاديبا فلم يعظني احد مثل شيبتي ولا نصحني مثل فكري ولقد استضات بنور الشمس وضو القمر فلم استضئ بشي اضوى من نور قلبي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني غير هواي وعاداني الاعدا فلم ار اعدا الي من نفسي اذا جهلت واحترزت لنفسي من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها انفس الانفس لنفسها ورايت انه لا ياتيها الفساد الا من قبلها وزحمتني المضايق فلم يزحمني مثل الخلق السو ه ووقعت من ابعد البعد واطول الطول فلم اقع في شي اضر علي من لساني ه ومشيت على الجمر ووطيت على الرمضا فلم ار نارا احر من غضبي اذا تمكن مني وطالبني الطلاب فلم يدركني مدرك مثل اساتي ه ونظرت ما البلا القاتل ومن اين ياتي فوجدته من معصية ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم ار شيا اروح لها من تركها ما لا يعنيها وركبت البحار ورايت الاهوال فلم ار هولا مثل الوقوف على سلطان جاير وتوحشت في البرية والجبال فلم ار اوحش من قرين السو وعالجت السباع والضباع والذياب وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السو واكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم اجد شيا الذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم ارع الا من الانسان السو واكلت الصبر وشربت المر فلم ار شيا امر من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الاقران فلم ار قرنا اغلب من المراة السو وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم ار حملا اثقل من الدين

والطر

ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم ار اذل من ذي فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم ار انفذ من الكلام السو يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني مثل ما هدمني من الغم والهم والحزن ه واصطنعت الاخوان وانتجبت الاقوام للشدة والعدة والنايبة فلم ار شيا اخير من التكرم عندهم ه وطلبت الغنا من وجوهه فلم ار اغنا من القنوع وتصدقت الذخاير فلم ار صدقة انفع من رد ذي ضلالة الى الهدى ه ورايت الوحدة والغربة والمذلة فلم ار اذل من مقاسات جار السو ه وشيدت البنيان لاعز به واذكر فلم ار شرفا ارفع من اصطناع المعروف ولبست الكسا الفاخرة فلم البس شيا مثل الصلاح ه وطلبت احسن الاشيا عند الناس فلم اجد شيا احسن من حسن الخلق ه وسررت بعطايا الملوك وحبايهم فلم اسر بشي اكثر من الخلاص منهم

فصل من حكم شاناق الشيبي من كتابه الذي سماه منتحل الجواهر للملك بن قمايض الهندي ه يا ايها الوالي اتق عثرات الزمان واخش تسلط الايام ولوم غلبة الدهر واعلم ان للاعمال جزا فاتق العواقب وللايام غدرات فكن على حذر وللاقدار مغيبات فاستعد لها والزمان متقلب لو لي فاحذر دولته لئيم الكرة تخف سطوته سريع العثرة فلا تامن دولته ه واعلم ان من لم يداوي نفسه من سقام الايام في ايام حياته فما ابعده من الشفا في دار لا دوا لها بها ه ومن اذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه ابان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في اطراف البلاد ونواحي المملكة ابعد من الضبط فليبدا الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدوه احق ان يبداه بالقهر من نفسه ثم يشرع في قهر

ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوه الواحدة منهن دون صواحباتها قد يأتي
على النفس القويه الحذره فكيف اذا اجتمعت خمس انفس على واحدة واعلم ان لكل
واحدة منهن شرة ليست للاخرى فاقهرها تسلم من شرها وانما يهلك الحيوان
بالشهوات الا ترى ان الفراش تكره الشمس فتسكن من حرها وتعجبه ضيا النار فيدنوا
منها فتحرقه والظبي على نفار قلبه وشدة حرصه ينصت للسماع الوتر الملهي فيمكن
القانص من نفسه ودباب الورد للتبع لطيب الارايج يطلب ما يقطر من اذن الفيل
لطيب رايحته فانه في طيب رايحة المسك فيلهيه طيب الرايحة عن الاحتراس من تحريك
اذنه فيتبح في اصل اذنه فيقع عليه ضربة الاذن فيقتله والسمك في البحر يحمله لذة
الطعم ان يبلعه فيحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حتفه وذكر هذا الحكيم ان خصالا
معروفة قتلت بالافراط فيها ملوكا معروفين فالصيد مات فيه يزيد الملك
والافراط في القمار مات فيه [illegible] الملك والافراط في السكر مات فيه حارث الملك
وشدة الحرص مات منه [illegible] الملك والغضب [illegible] الملك والطمع [illegible] والفرح
[illegible] والانعه [illegible] والتواني [illegible] واخلق بخصال اهلكت ملوكا ان يجتنبها
الملوك واعلم ان الرعيه [illegible] الى الملك العادل استمطا اهل الجدب الى الغيث
ويتغنون بطلعته عليهم كما تنتعش النبات بما يناله من القطر بل الرعيه بالملك العادل
انعم منها بالغيث لان منفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على الدوام لا يتغير
لوقت ويحسن بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطبايع ثمانيه اشيا منها الغيث
والشمس والقمر والريح والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في
اربعه اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده واعوانه

في الاربعة اشهر تقديرا لشهر السنة فيجعل رفيعهم ووضيعهم في الحق الذي يستوجبونه
بمنزلة كما يستوي المطر بين كل اكمه مشرفة وغايط مستفل ويغمر كل [illegible] من
مايه بقدر حاجته ثم يستخفي الملك في الثمانيه الاشهر خوفه من غلابهم [illegible]
كما تختفي الشمس بحر ما يحتاج فعلها [illegible] الغيث في الاربعة اشهر الامطاره واما
شبه الريح ان الريح لطيفه المداخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا يفوتها مكان كذلك الملك
ينبغي ان يتوج على قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يخفون عنه شي حتى يعرف
ما يأتمرون به في بيوتهم واسواقهم وكالقمر اذا استهل ايامه فاضا واعتدل نوره
على الخلق وسر الناس بضوه ينبغي ان يكون الملك ببهجته وزينته واشراقه في مجلسه
ولباسه وعينه بشره فلا يخص شريفا دون وضيع بعدله وكالارض في كتمان
السر والاحتمال والصبر والامانه وكالنار على اهل الدعارة والفساد وكعاقبة
الموت في الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن اقامة حق ولا يتجاوزه وكالماء
في لينه لمن لاينه وهدمه واقتلاعه عظيم الشجر لمن حاربه واعلم انه قد يكتنف
السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستبشع ويستكره كالحيات
تكتنف الصندل فيقتلها الصندل بطيب رايحته وبرده وبلسه وينتفع الصندل
بها اذ لا يقرب منه من يريد قطعه ولكن فيك مع تلطفك تشددا لئلا تجترئ عليك
فان القمر يستفاد بضوه ويظهر له لكن الشمس يستظل من حرها ويسكن لها وقد قالت
العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ اجعل لكل طبقة من اعدائك اشباههم
من اعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لا حيله في اخراجه بارفق من الماء الذي هو من
جنسه اذا عاديت رجلا فلا تعاد كل جنسه واستبق من دونه احدا فعسى ينفع به

فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقي ولا تطمع في الكذوب والمطبوع
على الشر ان تعطفهما بالاحسان فانهما كالعقرب كلما عززتها بطعام الحلاوة
والدنيم اذا ازداد وجهه قبحا قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما
يرد جوشن شعاع الشمس اذا كان واقيا غايه ادمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا
لكن رميه عاقل ذي يقتل الجيش باسره والملك الشريف العاقل لا تستفزه قدح اهل
البغي من انقطع اليه ولزمه كالجوهر المضيء يزوده لا تطفيه عصوف الرياح من كان
تاركا لما يورد عليه في بدايته الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ريح
لينه ثم لا يلبث ان عصفة الرياح ان يطفيها تدبير الملك الحازم في بنيانه كتعاهد
صاحب البستان في بستانه يخرج قاحل عيدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره ودرعه
ليقيه من الشر والفساد كما تجب الملك اهل التسليم والشوكة فيجعلهم في
اقاصيه وحدوده ردا للمملكة ولكن الملك احذر ما يكون امن ما يكون قالت وقد صدق
الشاعر الهين ريب المنون فيمن لم يبت خوف مكمن في امان
قال الا ترى ان بهرشان الملك امنت المراة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب
عليه فقتله وبا سراج الملك ملته امراه بخلخال مسموم ودروف الملك قتلته امراه
بمدية خبتها في عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات
الامن وانما ترصده لك في حالات الامن والمواضع التي يظن ان العدو لا يمكن فيها
من احذر ما تكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمناها في تراجم كتابنا هذا
فصل قال غيره لا ينبغي للملك ان يكون له اياما معلومة يظهر فيها فان في ذلك
خصالا مذمومة منها انه قد يعوق ذلك اليوم مستعد مهم او بعض الكسل او لذه مغتنمة

ولزمه

فيلزمه الخروج على كره :: ومنها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لامر ما تطاولت
الاعناق من الرعية وكثر كلامها وقالوا امرض او مات او اصابته افة فيسلك
العدو جرأة وسرورا او يكتسب الولي حزنا وحيشاه ومنها انه قد اعد عدوه ليوم
يلقيان فيه فلا ينبغي ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث
الرعيه وعن هذا قالت الحكما اذا كان الجمل كثير القفز كان نصيب الذئب
فصل من نوادر العرب من كلام اكثم بن صيفي وهذا رجل كان له عقل وعلم
ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة والفوائد تصانيف من كلمه
قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء افضل من السوال ركوب الاهوال
من حسد الناس بدا بمضرة نفسه العدم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر
ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفا لمن ليس له حيا قد شهر السلاح في بعض
المزاح من فاز بالعهد فاز بالحمد الموت بك ثوا والمر لهوا طول الغضب يورث الوصب
رب عيق شر من رق :: من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما الكذب بهت والحلف مقت
من لم يكف اذاه لقي ما ساه الحر يتغافل لك نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وخبه ليس
بانسان من ليس له اخوان ات مزريبنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجامله لمن
لا تدوم له مواصله في الاسفار يبدوا الاختبار افسد كل حسب من ليس له ادب افضل
الفعال صيانه العرض بالمال ليس من عادى الجهول بذي معقول ليس للحيف مثل الورد
من جالس الجهال فليستعد لقيل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفى عنك
الهمتان مثل البرهان لا نجا من الموت غني لماله ولا فقير لاقلاله اذا اردت طرد الحر
فمه الهوان كثرة التعلل ابة البخل كفر النعمة لوم وصحبة الاحمق شوم

إن من الكرم لين الشيم ٥ إياك والخديعة فإنها خلق لئيم ٥ امحض أخاك النصيحة
حسنة كانت أو قبيحة ٥ رب سباب قد هاجه العتاب الصدود آفة
المقت سبب الحرمان التواني ٥ من سأل فوق قدره استحق الحرمان
ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ٥ إن من الفساد إضاعة الزاد
من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك ٥ رب بعيد أقرب من قريب
المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار عنك خير
من يمين غيرك من أجد المسير أدرك المقيل استر عورة أخيك لما يعلم فيك
لا تكثر من المزاح فتذهب هيبتك ولا من الضحك فيستخف بك ٥ من أكثر
من شيء عرف به ٥ كفى بالحلم ناصرا ان المنة تهدم الصنيعة ٥ نعم الشيء الهدية بين
يدي الحاجة ٥ ربما نصح غير النصيح وربما غش المستنصح ٥ الكلام فيما ينفعك خير من
السكوت والسكوت عما يضرك خير من الكلام ٥ لا يغرنك من جاهل قرابة ولا
جوار ولا الف فان أقرب ما تكون من النار قربا أقرب ما تكون منها تلهبا ارفض
أهل الدناءة تلزمك المهابة ٥ دع مجالسة أهل الريب على كل حال فانك ان تسلم
دينك لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة ٥ أكرم الصنائع
سلامة الصدور ٥ لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك ٥ من عدم الإيمان لم يرده الرواية
فقهها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة ٥ كثرة النوم إماتة القلب
شدة الحذر تدل على ضعف اليقين ٥ محادثة الحمقا والسفها تورث سوء الخلق
الدليل على الحمق إعجاب المرء بعقله ٥ من لم يرغب الحديث فادفع عنه مؤنته
من حدث من لا يفقه كمن قدم مائدة لأهل القبور من قطع عليك الحديث فلا
يحدثه

بالكذب
تحدثه فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه ٥ من وصل من يحسده قوى عدوه وأضر بنفسه اعتزاله صديقك
من غضب من غير شيء رضي من لا شيء من غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل
عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير
هلاكه شح الغني فضيحته من لم يتورع في كلامه أظهر فجوره كل شيء لا يوافق
الأحمق فاعلم أنه صواب إذا غلبتك امرأتك فجاهدها فإنها عدوك من لم يعرف الخير
من الشر فالحقه بالبهائم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاورة
البحر لا تخاف العطش وجار البخيل في المفازة هالك إذا لم تنتفع بمصادقة الأحياء فأت
أهل القبور من عادى من فوقه أبغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من
كثرت لائمته على المكايدة غش بطنه وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة الجاهل يستطيع الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرغب في
الثنا فليس له نصيب في المروة إذا كان لك جار أو صديق لا ينتفع به فصيره مثله في
الحائط فإنه أرزن للحائط وأخف للمؤنة العاقل يرغب في الأدب والجاهل يهرب منه
العاقل إذا فاته الأدب لزم الصمت لا تستنطق من تكذبه العاقل يتهم رأيه في نفسه
والجاهل يقيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه من أظهر محاسنه ودفن
مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشار عدوه في صديقه
أمر بقطيعته مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك
التهمة فيرجع لك عن النصيحة إذا انقطع رجاؤك عن صديقك فالحقه بعدوك
من طلب مرضاة الإخوان بغير شيء فليصادق أهل القبور العاقل ليس في مصادقته

بحادعه وانّ مال الاحمق الخديعه وقايدته الغضب والحليم راس ماله
الصمت وقايدته الحلم اذا جهل عليك الاحمق فالبس سلاح الرفق واللطف
صديق كل امرى عقله وعدو كل امري حمقه من انزل نفسه عاقلا
انزله الناس جاهلا من قنع بكذب الثنا اظهر للناس رقاعته السكوت عن
الاحمق جوابه السكوت يزين الاحمق والكلام يشينه من استطال عليك بملبسه
بخلا بفضله فلا اكثر الله في الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا حملك
البخيل مونة اداك الحرمان والعداوه البخيل يمنع ما عنده ويبخل على الجواد بجوده
من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل للبخيل صلته ورفع عنه مونته دامت
له مودته ضيف البخيل امن من التخمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك
في المفازه عده الكريم نقد وعده اللئيم تسويف الكريم يواسي اخوانه في دولته واللئيم
يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذي يبذل لك ماله عند الحاجه
ونفسه عند البليه ويحفظك عند المغيب وينفعك عند الرجا اذا صادقت
الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك في الصداقه فعاده من غشك في العداوه
فلا تلمه من كان الناس عنده سوا لم يكن له اصدقا من صادق الاخوان بالمكر
كافوه بالغدر من لم يواسي الاخوان في دولته خذل عند ما منه اياك ان تبتغي
في موده من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يسمع حديثك الحاسد
يفرح بزلتك ويعيب صوابك اذا رايت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فنم عليه
امورك من صبر على موده الكاذب فهو مثله كل شي شي وموده الكاذب لا شي
من بذل لك جهله فكافه بحلمك نعمه اول المروه طلاقه الوجه والثانيه التودد

والثالثه الفصاحه الفاجر لا يبالي ما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل
مشغولا فقد اظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سخنه عينه من لم يغلب
الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل
والهوان لا تحقر الفقير السري ولا ترغب في الغني الدني من تشبه بالسراة
وغلبت عليه الدناه فلا تكرمه من اغضبته انكرته من اعتبته اعطفته
من تعرض لصاحب الدوله انقلب بهزيمه من صانع بما الم الحشم من طلب حاجته من
صاحب الكتاب مولوه ومن عادا لم انكروه ومن شمخ عليهم بانفه وطمح ببصره ولم يدخل عليك
فضيلته فلتهن عليك سبيله السفيه يقطع موده لم تزل ويكتسب عداوه لم تكن
حمل المروه ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجار لوم ورجال البلا قليل احفظ اخوانك
تذل اعداك ما اجمل الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره
نشبه لا قوي اقوى ممن قوي على نفسه ولا عاجز اعجز ممن عجز عنها الخير في اهله
غريب ما ضعف قوه من يغالب من لا يغلب

الباب الرابع والستون

مشتمل على حكم منثوره

اعلم ايها المريد ان الله تعالى يمتحن انبياه واصفيايه باعدايه ويضطر اولياه واحباه
الى اعدايه رفعة وتقريبا لانبيايه وتمحيصا لدرجات اوليايه وذخرا لهم عنده وزلفا
لديه تعظيما لاقدارهم [illegible] وتشريفا لمنازلهم وترفيعا لدرجاتهم
قال الله سبحانه وتعالى تعزيه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم العظيم ما كان
يلقاه من سطوات اعدايه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن

يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سيرتنا
فيمن نحبه ونحبنا فالبلا على وجهين احدهما كفارة ذنب والاخر رفع
درجة وتوفير اجر ولذلك كان اشد الناس بلا الانبيا ثم الصالحون ثم
الامثل فالامثل فالبلا لان بلا رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ
فضيلة وعلو منزلة وبلا عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية لن يخلوا
المكاره ان يكون لحادث رحمة ولا رغبة عما انعم الله به منها او لسيئة عند اضاعة
ولا غنا عن زاجر عنها ولاي ذلك كان خلو لها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة
كان جعفر بن محمد رضي الله عنه اذا وقع في شي يكرهه يقول اللهم
اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان المومن في راس جبل لقيض الله له من يوذيه ٥ يا من ضاق صدره
وحرج قلبه وسا تخلقه من عدو اقلقه وحاسد حسده طب نفسا وقر
عينا وانعم علينا بشهادة الرسول لك بالايمان ولعدوك بالنفاق نج ان
عقلتها اما لك في الانبيا اسوة اما لك في الصالحين قدوة فلو لم تلق الله
عز وجل من الحسنات الا بما اقترفناه لختيار اللقينا الله تعالى بفقر ام الحسنات
نقلا من السيات قال الشاعر

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقال بعض الحكما الذي راينا مما نحب فيما نكره اكثر مما راينا المحب فيما ك
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين

١٦٧

السجون قبور الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا واسعد الناس من كان
الفضل له مساعدا ولو كان لمساعدته اهلا غلب على الكريم من يبذر اليه الشماتة
لوم عوام الناس عند تخاوصهم يجي القدر بسبق الحذر من سخر من شي حاق به
من غير من شي يلي به الخلق نهب المصايب مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها اول ما
في طلب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليها
من المعاقب له عليها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة النعمة منحة كفاك
ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية سوبوب الجهل الانفة قوام السفه
قل انف لم يعقب ذلا العادة كمين لا يوبو من ازدحام الكلام مضلة الصواب
علو القدر قبل سو الظن والخلق السيئة اعجب ما في هذا الانسان قلبه وله مواد
من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به
الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد
به الغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان
اتسع له الامن استلبته الغرة وان حدثت له نعمة اخذته العزة وان امتحن بمصيبة
فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنا وان عضته فاقة اشغله البلا وان
اجهد به الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل
تقصير به مضر وكل افراط له مفسد افضل القوى يد بها امن وردت في مقام
خوف اشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي يرى به اولى ما اخذ الله
طاقة احد الا رفع عنه طاعته من العجب الا ترضى عمن استعاذ رضاك واعجب من
ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالاعراض

عند المذاهبه لا تغاروا وحتى تروا لا تعزوا وحتى تفعلوا لا تانفوا حتى تظلموا
اوجه الشفعا بواه الساحه من لزم الصحه والاستقامه لزمته الغبطه
والسلامه قصص الاولين مواعظ الاخرين البحث يوضح الحق كما يوري النار
القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحه ولا مع السخط غنا قال جعفر
بن محمد الصادق رضي الله عنه عجبت لمن بلي باربع كيف يغفل عن اربع
لمن ابتلي بالضر كيف يذهب عنه ان يقول مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله
تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن بلي بالغم كيف
يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وعجبت لمن خاف
شيا كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سو وعجبت لمن مكر به كيف يذهب
عنه ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول
فوقاه الله سيات ما مكروا وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها
كيف يذهب عنه ان يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوه
الا بالله كذا سنه الله سبحانه فيمن صدق في التجايه اليه ولم يتوكل في
مهماته الا عليه الميز ملمه او مندمه الذ الموارد منجاه من متلفة او قادم عايب
تحدارجات بالياس منه الركايب واشر الصادر ظفر على قنوط الطبيعه مخالفه
للمروه فاصبر لحق وجب عليك وان خالف هواك بها المجلس الشريف بالرجل
الفاضل اليقين راحه وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كسيها الياقوت واللولو

وكان

في تيجان الملوك ما انور الهدى ما اظلم العمى ما اكرم التقا ما اخدع الهوى
ما اتعب المنا ما اسرع الصبى الجود ان تهضم للروح حظ الجسد والاسراف
ان تهضم للجسد حظ الروح والعدل ان تعطي كل واحد منهما حظه والشح ان
تكف حظوظهما عنهما عدو يخاف الله فيما تكره خير من صديق لا يخافه
فيما تحب من العجب ان تطلب في صحة كل علم ما يقنعنا ونسل العلم الى الله تعالى
من غير بحث عن صحته لا يزعك الباطل مما انت مايه ولكن احذر ان تصدع
عليك بالحق فتشهد عليك عيناك ووجهك من بطل رشاوه بطل مدحه الراغب
فقير بقدر رغبته الحق يعطي ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس ليحتج عليهم
واجتنب الذنوب ليقل حجتهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمام مفسده الحميه احدى
العليين الفرق يشبه الحجه حابي العليه في كلامك وسو بينهم وبين السفله
في احكامك موت في عز خير من حياه في ذل الاكفا بين كل نمط منا عوك
ما ضاع امرؤ عرف قدر نفسه الدعه الهنيه تكون بعد انقضا العمل لن يفارق
الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن قدره الحاسد يظهر وده
في كلامه وبغضه في افعاله فاسم الصديق ومعنى العدو فالربا يفسد العلانيه
والعجب يفسد عمل السريره اذا كثرت القدره قلت الشهوه من عرف قدر نفسه
كفاك نفسه كفى بالظفر شفيعا للذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حتفه
لا ظفر مع بغي ولا صحه مع نهم ولا ثنا مع كبر ولا صداقه مع خب من لم يعرف
قدر نفسه كفاك نفسك احق ما رد ما خالف شهادة العقل قطع ظهري
وافسد الامر رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدع الناس الى جهله بنسكه

وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه من قوى سواه ضعف حزمه من ظهر
غيظه قل كيده كفى بالظلم طاردا للنعمه وداعيا للنقمه من قبل صلتك
فقد باعك مروته الهديه تفقا عين الحكيم عفو الراي خير من استكراد الفكر
ما استنبط الصواب بمثل المشوره ولا حصنت النعم بمثل المواساه من لم يومن
بالقدر فقد كفر ومن حمد الله فقد فخر ما اكتسبت البغضا بمثل الكبر من
استغنى بالله افتقر الناس اليه التقصير يخلل عن الصواب الافراط يقحمك في
الخطا ثلث خصال ما اجتمعن الا في كريم حسن المحضر واحتمال الزله وقله الملامه
كفى مخبرا عما بقي بما مضى وكفى عبرا لذوي الالباب ما جربوا التهاون
بالمطلوب اول اسباب حرمانه الشبهه ظلمه لن يضيع امر صواب القول حتى
يضيع صواب العمل خير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته لا شرف مع
سو ادب ولا بر مع شح ولا احتساب محروم مع حرص ولا محبه مع زهو باجالة الفكر
ينجح الراي المصيب وبحسن التاني تدرك المطالب وبالنصفه يكثر المواصلون
الفاحشه عار الابد وعقوبه غد الشماته تعقب الندامه من سخر ابتلى قال
الله تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا فقد المفضلون هلك
المتجملون رب صبابه غرست من لحظه وحرب جنيت من لفظه ما شاهد على غايب
بادل من طرف على قلب شر المال ما لا ينفق منه افضل المال ما صين به العرض
وبالافضال تشرف الاقدار الذي يكون سببا لفساد نفسه اذل ممن تفسده
عدوه او دبيره لا تعدن وديعه مالا الشهوه رق الحرص كلب يغير على الانسان
اللسان وعلى الموده العيان لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى
ولا شفيع اغنى من التوبه اولى الناس بامر من حافظ عليه الخير موضوع لمن

اراده

اراده موفور لمن عمل به الرغبه مفتاح الطلب ومطيه الحسره الحرص داعي
الى الحرمان التفضل بالحسنه ينفي السيه المكافاه بالسيه دخول فيها البغي سايق
الى الحين اصلاح الرعيه انفع من كثره الجنود حق المذموم التايب وحق المرحوم
للعونه من الجهل والجفا اظهار الفرح عند المحزون المحزون يحقد على الفرح ويشكر للكييب
من طلب السلامه تذب افاعي الافات اعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه
قدرا ما احدث محدث بدعه الا ترك بها سنه عزايم الامور خيارها ومحدثاتها
شرارها الملك يكتسب من انفاقه والعامه تنفق من تكسبها من افنى عمره في جمع
المال مخافه العدم فقد اسلم نفسه للعدم قال الشاعر

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافه فقر فالذي صنع الفقر

من لم يقدر على جمع الفضايل فليكن فضايله ترك الرذايل اذا لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا
تفسد استصلاح بعض العدو افضل من اهلاكه من سعاده المرء ان يطول عمره
ويرى في عدوه ما يسره خير الكتب ما اذا اعاد قاريه النظر فيه زاد حسنه
او وقف على خبره اثقل الاحمال من اتسعت مونته وقلت مقدرته استحي من
الله بقدر قربه من عقلك واطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك
واعصه بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر بقايك فيها واعمل للاخره بقدر
بقايك فيها الملك ينفق للتكسب والعامه تنفق الطاعه بقدر الفاقه تفحش لكسب
زوال النعم اذا زال معها التجمل اولى الامور بك اوجبها عليك الدنيا العافيه
والشباب الصحه اذا اقبل الامر نسيه واذا ادبر صرح اذا عدل السلطان
ملك قلوب الرعيه واذا جار لم يملك منهم الا الريا والتصنع الصدقه من

سعه وابدا بمن تعول اذا اضرت النوافل بالفرايض تركت النوافل وقدمت الفرايض
قدر الرجل على قدر همته وصداقته على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته
على قدر غيرته من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن جعل لنفسه حظا من حسن
الظن روح عن قلبه شر مالك ما لزمك اثم مكتسبه وحرمت منفعة انفاقه
رب مغبوط بليله قامت بواكيه في اخرها لا ترجوا خير من لا يرجوا خيرك ولا
تامن جانب من لا يامن جانبك تارك الطلب ضجرا ارجا للعودة من تاركه خورا
ثمرات الشهوات لمحاذي الحصول منه مرض القلب اعم الاشيا نفعا فقد الاشرار من
استكفى الكفاه كفى الاعدا خير مالك ما اعانك وخير منه ما وقاك
قوله الكريم صلعم ذنب اسد خير من راس كلب يحيبه الحجر بعد الحجار فالربن
من استبد برايه خفت وطاته على اعدايه انما الكلام رسالك ما اصلحت به مثواك
من امن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كما يجب ان تكون المراه اصوى من
الناظر فيها فكذلك ينبغي ان يكون المودب خير ممن يودب من ترك العمل بما ينبغي
عمل بما لا ينبغي ليس في الشر اسوه ولا في الخطا قدوه لن يكون لله ناصحا حتى تحب عدوك
اذا اطاع الله في عداوتك على عداوته وتقلع عما عاداك عليه وتبغض وليك اذا
عصى الله في موالاتك وتنزع عما والاك عليه لا تكن على الاساة اقوى منك على الاحسان
السخي من جمع لغيره وضن على نفسه شر اخلاق الكريم ان يمنع خيره من كانت
الاخره راس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا راس ماله كانت الاخره
خسارته افضل العلم وقوف الرجل عند علمه افضل المال ما قضيت به الحقوق
البدع فخاخ محبوبه قد علقت عليها الفاظ ظاهره رجا العامه امنيه على ضلاله

ورجا

ورجا الخاصه يقين على ثقه القليل من الملك كالكثير من غيره عطا الملك زينه
وسواله شرف وفي الامثال جاور بحرا او ملكا اذا كذب السفير بطل التدبير احث
الازمنه زمن لا يتميز فيه الصواب لا تنطقوا في الفضول ما خيتم العجز عن الحقوق
الاذان اقماع تودي والقلوب قوابل تعي من احب ان يتسمى داهيا لم يطلعه دهاه لا دليل اهدى
من التوفيق الجلا البلا من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من ساء به الظن الحفظ قيد
العلم المدارسه اذكا للفهم المباحثه احيا للفطنه استدم النعمه بالشكر والقدره
بالعفو والطاعه بالتاليف والنصر بالتواصل لله والرحمه للخلق استقلال الكثير تعرض
للتغيير ثلثه اشيا تدل على عقول اربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول
على عقل مرسله والهديه تدل على عقل مهديها الحكم على العقول حاكم كالعبر
واحكمها محكم كالتجربه من عاب سفله فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد
وضع نفسه احق الناس ان يومن على الدنيا امل الاخره صح من صحت سرايره وسلم
من سقمت طوامره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل
ملاك اموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن اعراضكم الحلم اذا اعطيت
ما لا ترضى فارض بما اعطيت كلما ازداد الخزن كثره كان الخارج منه اكثر
حسره وبقدر السمو في الرفعه يكون وجبة الوقعه الابقا على العمل اشد من العمل
من التوقي ترك الافراط في التوقي تورث الحرمه والذمام سنه في المروه كما ان
وراثه البركه فريضه في الديانه لا تمدحن امرا باكثر من قدره فتكون مهينا
لنفسك كذابا على غيرك لا تفرحن بسقطه عدوك فانك لا تدري متى يحلها
الزمان بك من الجفا الكلام في الامر الجسيم من غير مشاوره اكثر

الناس مخادعه لنفسه في امر جسده عند الحميه وفي امر دينه عند الشهوه وفي امر
دينه عند الشبهة المصايب بعثات العاقل المدبر ارجا من الاحمق المقبل اشرف
الصنايع ما لم تكن مكافاه لماض ولا رجا لباق ارض النظير ثم كافه وابن الملهي ثم
استمع منه لم تكن غوايه ولا هدايه الا واليهما سابق وعنهما ناكص لحسانك
الى الكريم بعثته على معاوده المسله ليس يحق الاديب بان يكون فاعلا الخير انما يمتحن بان اصل اللئيم
يكون تاركا للشر من صنع خيرا فاضعفه له والا فلا تعجز ان تكون مثله
الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع
النغله من الحسد ويدع صحيحه الظرف فطنة مازجها عباده مع حذر وتوقي
فاذا خلت الفطنه من التوقي فصاحبها لا يستمتع به اهل المروه واذا خلت الفطنه
من العباده وقارنها ملاحه فصاحبها طيب الظرف فطنه معها بعض الاسا
الالفاظ التي ترتفع عنها اهل الجلاله من المخلصين في باطن الدنيا والمتزين بظاهر
الحال ٥ وسمعت القاضي ابا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصره يقول اول من
نطق بهذه الكلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه اتي بسارق فقال له اسرقت
قال لا فقال الرجل لا فقال عمر انك لظريف جهد البلا الاقلال والعيال ينبغي للعاقل
ان يتطامن للحاسد بقدر ما رفعه الله عليه العقل افقر الى الحكمه والادب من الجسد
الى الطعام والشراب اعظم الناس غما من زالت نعمته وبقيت شهوته وكافت
بعد دابه فله العيال احدا ليسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود
من عدم الحياه عند الفضيحه والصبر عند النصيحه سهلت عليه المعاصي كلها
العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه من يقدم بحسن النيه نصره التوفيق

لم ١٢

١٨٦
لن تكون لله باصحا حتى تحب ان يكون له عدوك مطيعا اذا اطاع الله من اذا الناس
بلا سلطان كان مصيره الى الهوان مادحك بما ليس فيك مخاطب لغيرك فجوابه
وثوابه ساقطان عنك المكر والخديعه في النار الاحداث تاتي من على مامنه يوتى الحذر
الماكول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو ومن غضب على من لا يقدر على غمه
عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان في ترك ما لا
يعنيك درك ما يعنيك من انكا الاشيا لعدوك ان تريه انك لا تعاديه كل ات
قريب الاستغنا عن الشي خير من الاستغنا به ومن خير خيران تسمع بالمطر لا خير فيما
يزول ولا غنا فيما لا يبقى شر العيوب ما كان مضمنا للعيوب شر الذنوب ما كان علة
الذنوب ابلغ الرسل الكتب حاول الامر بالنصفه وانا زعيم لك بالظفر من اراد جمالا
لا تهدمه الايام فليصحب المروه والصيانه فهما ذروه الشرف رب امر له ما بعده
من سبق اليك كان له صفوه من شروط المروه التغابن للضعيف المروه ترك الريبه
يكاد استقصا القوي على الضعيف ان يكون ظلما يكاد استيفا الغني من الضعيف ان
يكون جورا القران ظاهره انيق وباطنه عميق اوله حلم واخره علم المحادثه على الطعام
تزيد في الشهوه وتذهب الحشمه وتزيل الانقباض لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما
تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب ذهاب البصر خير من كثير من النظر لا
تعد الغنم غنما اذا ساق غما مع الراي الاول افهم النظره بعد النظره تعقب لما قبلها
وتزيد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تزكيه انعم الناس من كفي امر دنياه ولم يهمه
امر دينه الغريب من يفقد اخوانه ونظراه وان كان في وطنه الغريب من لا صديق له
الغريب الفقير الغريب الاحمق الغريب من لا ناصر له شيان لا يستحي العاقل منهما ٥

المرض وذو القرابة العقرب من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب قطيعته
فاحذر ان تجعلها صلة بينك وبين احد علامة الاسرار ان من خالطهم لا يسلم منهم وسيطا
ومن تركهم لا يضروا شرهم عنه واما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن غالطهم
ترك رشده البر ثلثه الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة
من عتب على الزمان طالت معتبته سنساق الى كل ما ان لاق اذا صحبا الارشاد
للرشاد وحل المراد ما عتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعز من احتمل ما في المعصية
من الذل ولا احرج من الدناة من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الطعام رب المسله
اخر المكسبه ما عد من اهل الحجا من كان من اهل الهوى ولا كان من اهل التقا من حاد
عن سبل الهدى من ذم اذى الاحسان لا مسلاع اقصاه لم يحمد شيا منه من دواعي
الهلكه اضاعه المعرفه واعجبا لمن سنى داه وجسمه يهدمو ولمن يرم امور الدنيا وامور
في بعته نحل ٥ قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من لم يكن معنا كان علينا والساكت
اخو الراضي الكاتم للعلم كمن لا علم له او موغير واثق فيه بالصواب المرء مخبو تحت لسانه
فيه كل امرئ ما يحسن العلم بما في المصيبة من الثواب ينسي المصيبه شر من المصيبة
سو الخلق منها الحكمه ربيع القلوب الخصومه تكشف العوره وتورث المعره
بلا المومن من عافيته كالنار حرها من نورها قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا
من لم يرفع قدره عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذله مع القله تجوع الحره ولا
تاكل بثديها موت عاجل خير من ضنا اجل الغضب عند المناظره منساه للحجة الاختصار
ابين للمتكلم وافهم للسامع الكلب في الحاضره ينبح الضيف ويدفع الزاير ويرد السايل
والكلب في البادية يعين الصاحب ويبدا بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول
الجاهل

الجاهل انك في يدك لولوه وانت تعلم انها بعره مثل الصلاه مع ساير العبادات
مثل السفينه مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان اصيبت اصيب الكل الحب والبغض
فيه طلب المطمع حزم وطلب المويس عجز قد ينصر المنطق من يعمابه اذا فسد الزمان
كسدت الفضايل وضرت ونفعت الرذايل ونفقت وصار خوف الموسر اكثر من خوف
المعسر لقا الخير عماره القلوب لا تصيد الكثير من لا تصيد نفسه الواحده بالعمل الحسن
المنطق وبالقوه يتم العمل الفكره مراه من اعظم الناس حسابا من قل ماله وكثر مجده الادب مع
العقل كالشجرة المثمره والعقل بلا ادب كالرجل العقيم الا الين من القلب والقلب اقسا
من الحجر وقد يثلم الماء في الحجر اذا كثر انحداره عليه اشد الاشيا اخفا الفاقه اذلا الناس بالرحمه
عالم يجري عليه حلم جاهل لم يعب من شهد رايه ولم يفن من بقي اثره ولم يمت من خلد علمه وقد يسبق
المثل ليس بها لك من ترك مثل مالك كما انه يصح اذا ادركنا الجبل ان نجري سا حبث ادامه دون
ان ندبرها كذلك ينبغي ان نجري البدن والنفس بالعقل حيث ارادت من الشهوات اشق الامور
معرفه المرء نفسه غايب الحجتج عليه محجوج ليس شي من البر الا ودونه عقبة من الصبره
ضرب الانسان عار باق ووتر مطلوب ٥ قيل للحليم مثل للغضب ماذه تحسبه قال نعم ان يعلم
الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يخدم ابدا ولا يجب ان يحتمل خطاوه ابدا
ولا يجب ان يصبر عليه ابدا بل قد يطيع ويخدم ويحتمل الخطا ويصبر على النوايب فاذا فعل ذلك
لم يغضب وان غضب فقليل السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه لا ينفع كثره
العلم لمن لا يعلم كما لا يغني ضو الشمس عمن لا يبصره رضي بالذل من كشف ضره بترك
التورع وازرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فخوخ يسترها زخرفة الكلام وخدع
المقال الناس في الدنيا بالاخوان وفي الاخره بالاعمال صديق الرجل عقله وعدوه جهله

من اجتمعت له النعمه اذ يمت له الرغبه يحفظ الاحمق من كل شي الا من حمقه
لا جود الا بامال ولا اصدقا فه الا بوفا ولا افقه الا بورع العليل الذي يشتهي ارجا
من الصحيح الذي لا يشتهي قلوب الرجال وحشيه فمن تالفها اقبلت عليه اجعلوا بينكم
وبين الحرام سترة من الحلال لقا الرجل اخلاه مسلاة للفهم من لم يصلح على تدبير الله لم
يصلح على تدبير نفسه والاحلام فرح وهم كاذب والعامل بها كالمعتمد على الظل الزايل
الدنيا دول فما كان منها لك اتاك وما كان عليك لم تقو على دفعه العافيه خير من الواقيه
الكريم لا يستحي من اعطا القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنه واللوم سو
التغافل اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوى به من حق النعمه ان يرى اثرها من
كان شبعه في الطعام لم يزل جايعا ومن كان غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده
نحو الخلق لم يزل محروما ومن استعان في امره بغير الله لم يزل مخذولا من خاف من
فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه ما لا تحسنه ولا تعمل به لغيرك
نوره وعليك بوره والعجب من المذله في طلب ما يفنى على العز في طلب ما يبقا من حذرك
كمن بشرك الشفيع جناح الطالب اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق فانها لا تفنى
واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقا قال الشاعر وهو

فانفق اذا ايسرت غير مقتر وانفق على ما خيلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والحظ مقبل ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر

ولغيره

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فلن يضرها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

فايدة

١٩٠

الغرب في كل مكان مظلوم من سلك الجلد امن العثار لم يجر راكب القصد عجبا
للبيم يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الكرم الذي اياه يطلب فيعيش في الدنيا عيش
الفقرا ويحاسب في الاخرة حساب الاغنيا من بطل ذا بلة يكثر وباله وقال علي رضي الله عنه
من بطل فعل الله ينطق به عنك خير من يمين عنترك ان احببت ان لا يفوتك ما تشتهي
فاشته ما يمكنك من قصد اسهل ومن سرف اوعر القصد احد الحمام شر السير الحقحقه بوي
لنفسك في المجالس مجلسا لا يقصر بك ولا انقام عنه اقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من
صدرك وازجر المسي بثوابه المحسن لكي يرغب في الاحسان لن يهلك من مالك ما وعظك
الخلاف يهدم الراي خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عند من اصبح
مصرا على ذنب مستور يصبر الخلق بالاجتهاد والاعتياد الحر العضب في البنيان رهن
على الخراب ربما شرق شارب الما قبل ريه رب راي انفع من مال وحزم اوفا من رجال من
استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمد الاخوان بتقلب الاحوال
تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان ومن عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد
رسولك ترجمان عقلك الطاعه غنيمة الاكياس عند تفريط العجزه كلما اشتد
الظلام حسن ضو السراج الثنا باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق
عي او حسد اولا الناس بالرحمه من احتاج اليها محرومها من لم يدر قدر البليه لم يرحم اهلها
كفاك ادبا لنفسك ما كرهته لغيرك مجالسة الاحمق عز والقيام عنه ظفر لا تسل
عما لم يكن فان الذي قد كان شغل البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى
كل شر اذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد
والاجتهاد اربح بضاعه التوفيق خير كمال العمل التوفيق من ترفق في

استتمام الحظ من البغيه ادرك وبلغ   مقاربة الناس في اخلاقهم امنا من غوايلهم
لا تسطو الى احد بالموضع الذي رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بعينه في الحقيقه فانه بمكانه
الطبيعي   ابعد الناس سفرا من سافر في طلب اخ صالح   ليست البركه في الكثره لكن الكثره
من البركه   وقال داود عليه السلم ان كان ما ترى من الجهل يغبطك اذا يكثر
الجهل ويطول غمك ٥ قيل لبزرجمهر ما لكم لا تعاتبون الجهله قال لانا ما نريد
من العميان ان يبصروا   العشق مرض نفس فارغه لا همه لها   اجالة الفكر واستخراج
الفطنه تبع الاساءة والندم وتبع الندم بالاقلاع   الامن بالبراه وكثرة الصديق
بالتواضع واعم الاشيا نفعا فقد الاشرار   من بذر عداوة حصد ندامه   السمنه للنسا غلمه
وللرجال عقله ٥ قال المسيح عليه السلم ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوه من لم يرد
الغضب وما عباده من لم يتواضع للرب سبحانه   عيادة النوكى الحمى في غير وقت
والجلوس فوق القدر   اذا وقعت الضروره ارتفعت المشوره   قيل لحكيم اخرج الهم من
قلبك قال ليس باذني دخل   من اعتز بحاله قصر في احتياله   اياكم وطلب الامور من
غير وجوهها فيعييكم طلبها ولا تدركوا حظا منها   هيبة الزلل تورث الحصر   قيل
للحكيم لاي شي تزوجت امراه ذميمه وانت وسيم قال الحرث من الشر اقله   وقيل لحكيم
ما تقول في الزواج قال لذه شهر وهم دهر   فتنه عالم الى ابليس خير من غوايه الف جاهل
تمحى المعايب ولا تمحى للعاذر   الموالاه في الاسلام بمنزلة الحلف في الجاهليه   سب الجاهل
للحكما تشريفا لهم عند اهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله   كما ان الحكيم
يتالم بحديث الجاهل كذلك الجاهل يتالم بسماع الحكمه   اغنى الناس عن الحقد من
عظم قدره عن المجازاه   الكبير الهمه من الرجال من كان عنف الناصح عنده الطف موقعا

من علق

من علق الكاشح   ان كانت الحدود هي الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور ليست
بايديه فما بال السرور وان كانت الدار غداره فما بال الطمانينه ٥ وقال الشعبي ما رايت
الله سبحانه وتعالى اعطا عبادة اجل من الحلم ٥ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشي من امر الدنيا والاخره ٥ من لم يعرف الوثيقه في ارومته والدمامه
في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والمخافه عند ربه ٥ قال ابو عبيده بن حمدون
كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى
قصورها ثم خرج فراى ديرا قديما هناك حسن البناء بين مزارع وانهار واشجار فدخله فبينا هو يطوف
اذ بصر برقعه قد الصقت في صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا   تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس   ولم تتبختر في فنايك حور
وابناء املاك غواشم سادة   صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس   وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم   وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافه قاطن   وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذا العيش غض والخلافه لدنه   وانت طروب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر   وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحايب   عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيك فبكيتهم   بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى   لها ذكر قومي انه وزفير

لعل زمانا جاريوما عليهم لها بالذي تهوي النفوس يدور

فيفرح محزون وينعم بائس ويطلق من ضيق الوثاق اسير

رويدك ان الدهر يتبعه غد وان صروف الدائرات تدور

فلما قراها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره ثم دعا صاحب

البريد فسأله عمن كتبها فقال لا علم لي به.

واما الكتب وصفاتها

فيجل عن الوصف لقد احسن ابن الجهم في قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا فؤادك مما فيه من الم الوجد

يفيدك علما او يزيدك حكمة وغير حسود او مصر على الحقد

ويحفظ ما استودعته غير غافل ولا خائن عهدا على قدم العهد

زمان ربيع في الزمان باسره تحل روضا غير ذاو ولا جعد

يزيد ادبا نادرا بدائع احسن ولا بالنفوس من الورد

وانشد بعض العجم

اذا ما خلا الناس في دورهم بخمر سلاف وخود كعاب

وانستهم حساب الليالي لغير الندامى وزمو الشباب (زمو السحاب)

خلوت وصحبي كتب العلوم وبيني وبين سمير الكتاب

ودرس العلوم شراب العقول فدوروا علي بذاك الشراب

وما يجمع المرء في دهره سوى العلم يجمعه للتراب

ومن مليح ما ينشد في الكتب

اذا ما خلوت من المونسين جعلت المؤانس لي دفتري

فلم اخل من شاعر محسن ومن عالم صالح منذر

ومن حكم بين اثنائها فوائد للناظر المفكر

وان ضاق صدري باسراره واودعته السر لم يظهر

وان صرح الشعر باسم الحبيب لم احتشمه ولم احصر

وان عدت من ضجرة بالهجا وسب الخليفة لم احذر

ونادمت فيه كريم العتب لندمانه طيب المخبر

فلست ارى مونسا ما حييت عليه نديما الى المحشر

وانشد ابن حزم لبعض الادبا

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا واستبدوا بالراي دون الجليس

او صحبنا التجار عدنا الى الفقر وصرنا الى حساب الفلوس

فلزمنا البيوت نستخرج الحبر ونملا به وجوه الطروس

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا من امانينا بعلق نفيس

غير ان الزمان اغنى بنيه حسدونا على حياة النفوس (غيره)

انست الى العزلة طول عمري فمالي في البرية من انيس

جعلت محادثي ونديم نفسي وانسي دفتري بدل العروس

فما استغنيت عن فرس برجلي اذا سافرت او بغل كبوس

ولي عرس جديد كل يوم يطرح الهم في امر العروس

فبطني سفرتي والرجل جسمي وميداني فمي ابدا وكيسي

وبيتي حيث يدركني مسائي وابلى كل ذي عقل نفيس

ولين كان الناطقون قد وصفوا الجود وقالوا لو انا بلغوا فلقد قصروا واجل

ممدوح من استقصر في مدحه المشهي واستنبر في بغيته الجحفل وكيف لا والكتاب

نعم الانيس ساعة الوحده ونعم المعرفه ببلاد الغربه ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير

والنزيل وعاء ملي علما وظرف حشي ظرفا واناء ملي مزاح وجد ابستان يحمل في ردن نسخة

وروضة تقلب في حجر هل سمعت بشجرة توتي اكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم

متباينه هل سمعت بشجرة لا تذوي وزهر لا يتوي وثمر لا يفنى ومن لك بجليس لا

يبتديك الشي وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت الموني

عليه لم يغضب وان سخطت عليه لم يجب اكتم من الارض وانم من الريح واله

من الهوى واخدع من المنى وامنع من الضحى وانطق من سحبان وابلغ واعيا من باقل

هل سمعت بمعلم واحد تحلى بحلل كثيره وجمع اوصافا عزيزه عربي فارسي

سندي هندي رومي يوناني ان وعظ اسمع وان الها امتع وان ابكى ادمع وان

ضرب اوجع يفيدك وستفيد منك ويزيدك ويستزيدك ان جده فيسر وان مدح

نزهه قبر الاسرار وحرز الودايع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومونس

لا ينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من ابنا الاخرين هل سمعت في الاولين

او بلغك عن احد من السالفين من جمع هذه الاوصاف مع قلة مونته وخفه محمله لا

يرزاك شيا من دنياك نعم الذخر والعقده والمستغل والحرفه جليس لا يضرك ورفيق

لا يملك يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويطيعك في السفر طاعته في الحضر ان ادمت

النظر اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك

وفخم الفاظك ان اللفظة خلد على الايام ذكرك وان درسته رفع في الخلق قدرك

والطويه

١٩٢ وان حملته نوه عندهم باسمك يقعدك العبيد في مقاعد السادة وجلس السوقه

في مجالس الملوك فاكرم به من صاحب واعزز به من مرافق وقد قال فيه الاول

لنا جلسا ما نمل حديثهم ... الباما مونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... ورايا وتاديبا ومجدا وسوددا

بلا فتنة تخشى ولا سو عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا

فان قلت اموات فما انت كاذب ... وان قلت احيا فلست مفندا

هذا ما اردنا ان نمليه في هذا الكتاب

فاكتبوا ان شيتم انفاسه ان كانت الانفاس مما تكتب

تم سراج الملوك بحمد الله وعونه وخفي لطفه

وصلى الله على سيدنا محمد اله وسلم تسليما كثيرا

وهو حسبنا ونعم الوكيل ه

نظر في هذا الكتاب العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن عوض غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

عن عبد الله بن ... قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا
من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذاك
يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله عز وجل فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
قالوا وكيف ذاك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل
على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن له زوجة وولد فعلى يدي
قرابته قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما
لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة والله اعلم

انشد فيما يقال للظالم اذا بغى كتبه على ...

ايها المستطيل بالبغي اقصر ربما طاطا الزمان الرؤوسا
وتذكر قول الاله تعالى ان قارون كان من قوم موسى

كلام من الحكمة عن ذات الشباب
اذا اقبلت الدنيا على رجل اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه

دعاء الاستخارة لبعض مشايخ السلف رضي الله عنهم وهو
اللهم ان العلم عندك وهو محجوب عني ولا اعلم امرا فاختاره لنفسي فكن انت المختار لي
فقد فوضت اليك امري ورجوتك لفاقتي وفقري فارشدني اللهم الى احب الامور اليك
وارضاها عندك واحمدها عاقبة فانك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد وانت على كل شيء قدير وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كلام من منثور الحكمة
يجب على كل واحد من المترافقين في السفر ثلاث حقوق لرفيقه ان خاف على نفسه وماله
كلاه [illegible] وان احتاج الى عون بالبدن اعانه وان تعب او جاع حمله ومانه
فان [illegible] في الحضر اندرجت هذه الثلاثة في ثلاثة مسامحة بصغاير ذنوبه
ونصيحته في كباير عيوبه ونفعه في مشهده ومغيبه فان ترقيا من ذلك الى
درجة المصادقة اندرجت هذه الستة في ثلاثة هي شفقة الاسرار وقبول
الاعذار وحصول الانس الذي لا يتخلله نفار فان ترقيا من ذلك الى درجة
الاخوة جمعت التسعة في ثلاثة استباحة المال بلا استيمار ومحو الذنوب بلا اسف
والمساعدة ببذل النفوس والمال على جلب المسار ودفع المضار فان ترقيا من ذلك الى
درجة الاخلاء وجب الاتحاد وتسقط ابه التفرق والتعادي وفي ذلك يقول
[illegible] ... خلطوا ان خلى شي سواي فما هو قلت قد ظل سعيكم باحاك
[illegible] لنا بل انا هو